

## الرد على المسيحية التقليدية

عوض سمعان

يطلب من

مكتبة الأخوة

٣ شارع انجه هامم - شبرا مصر

كنيسة الأخوة

أخذت بإذن رسمي من صفحة بيت الله. جميع الحقوق محفوظة لمكتبة الأخوة ولا يجوز إعادة نشر أو طباعة أي من الكتب أو المقالات بأي طريقة طباعية أو إلكترونية أو وضعها على الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الأخوة و صفحة بيت الله. يمكنك أن تحتفظ بالكتب أو المقالات للاستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب

## فهرس المحتويات

١. الغرض من المعمودية:  
 (أولاً) الآيات الكتابية ومعناها الحقيقي. ٥  
 (ثانياً) الآراء الطائفية والرد عليها. ٢٤
٢. الغرض من العشاء الرباني:  
 (أولاً) الآيات الكتابية ومعناها الحقيقي. ٤٠  
 (ثانياً) الآراء الطائفية والرد عليها. ٤٥
٣. شروط حلول الروح القدس:  
 (أولاً) حلول الروح القدس والتقوى. ٥١  
 (ثانياً) حلول الروح القدس وزيت الميرون. ٥٧
٤. الانتماء إلى الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية:  
 (أولاً) أقدمية الأرثوذكسية والكاثوليكية. ٦٧  
 (ثانياً) سلطان الحل والربط. ٧٤
٥. الاعتراف:  
 (أولاً) الآيات الكتابية ومعناها الحقيقي. ٨٣  
 (ثانياً) الاعتراضات والرد عليها.
٦. الاعتقاد بإمكانية خلاص الخطاة بعد موتهم:  
 (أولاً) أساس الاعتقاد بإمكانية خلاص الخطاة بعد موتهم. ١٠٠  
 (ثانياً) الحجج الخاصة بجواز خلاص الخطاة بعد موتهم. ١١٣
٧. مشيئة الله وخلص البشر:  
 ١٢٣
٨. الخلاص وآراء القدماء المختلفة بشأنها:  
 (أولاً) أسباب التمسك بآراء بعض القدماء، وخطأ التمسك بها. ١٢٣  
 (ثانياً) الخلاص لدى الأرثوذكس والكاثوليك.

(ثالثاً) نقض بعض القدمات لآراء الأرثوذكس والكاثوليك.

## مقدمة

اتضح لنا من كتابي "طريق الخلاص" و"الإيمان والأعمال" أن الإنسان لا يستطيع بكل أعماله الصالحة أن يخلص نفسه من قصاص خطاياها، أو يجعلها أهلاً للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية، حتى يكون أهلاً للتمتع بغفرانه والقبول لديه إلى الأبد، ذلك لأن الخطايا التي تصدر من الإنسان هي إساءة إلى حق الله الذي لا حد لقدره، بينما الأعمال الصالحة مهما كثرت هي محدودة في قدرها، والأمور المحدودة في قدرها لا تستطيع أن تفي مطالب أمر لا حد لقدره. ومن جهة أخرى لأن الأعمال الصالحة مهما كثرت لا تستطيع أيضاً أن تحرر الإنسان من سلطة الخطية الكامنة في نفسه وتجعله أهلاً للتوافق مع الله في صفاته المذكورة، إذ أن سقوط الإنسان في الخطية أورثه قصوراً ذاتياً جعله عاجزاً عن هذا التوافق بقدرته الشخصية.

ومن ثم فإن الخلاص من قصاص الخطية لا يكون إلا بكفارة المسيح، لأنها هي التي وفّت مطالب عدالة الله إلى الأبد، وإن القدرة على التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية، لا تكون إلا بحياة المسيح الروحية في النفس، لأنه هو الذي بسبب كماله المطلق يستطيع أن يسمو بها إلى درجة التوافق مع الله في صفاته هذه. وإذا كان ذلك كذلك، يكون الخلاص من قصاص الخطية والتوافق مع الله، ليس بمجهود الإنسان بل بفضل الله، ويكون السبيل للتمتع بهما، هو قبول المسيح رباً وفادياً في النفس، أو بالحرّي الإيمان الحقيقي بشخصه.

لكن هناك آيات في الكتاب المقدس يقول بعض المسيحيين أنها تدل على أن الخلاص يكون بالمعمودية والعشاء الرباني وزيت الميرون، كما يكون بالانتماء إلى

الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية والاعتراف للكهننة الذين فيهما، وصلاة هؤلاء الكهننة لأجلهم بعد موته أيضاً. وهناك آيات غيرها يقول بعض آخر من المسيحيين أنها تدل على أن الخلاص يتوقف على مشيئة الله وليس على إيمان الناس أو أعمالهم أو خدمات رجال الدين لأجلهم، فالله في نظر هؤلاء المسيحيين يرسل إلى الفردوس من يشاء، ويرسل إلى الجحيم من يشاء، دون سبب من الأسباب.

ولما كان موضوع الخلاص من الخطية والتوافق مع الله والتمتع به إلى الأبد، هو أعظم الموضوعات أهمية لأنه جوهر الكتاب المقدس وخلاصته، جمع الكاتب الآيات والحجج التي يعتمد عليها هذان الفريقان من المسيحيين، وناقشها بكل تدقيق وإخلاص في هذا الكتاب حتى تظهر الحقيقة بكل وضوح وجللاء والله هو القادر أن يرافقه بنعمته لأجل مجده وخير الراغبين في خلاصه.

المؤلف

## ١

## الغرض من المعمودية

بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الغرض الرئيسي من ممارسة المعمودية هو إشهار الإيمان بالمسيح. أو بالحري الاعتراف الرسمي بالموت معه والقيامة معه. فقد قال الرسول "مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أَقِمْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ بِإِيمَانٍ عَمَلِ اللَّهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ" (كولوسي ٢ : ١٢)

وهذا الاعتراف يضعنا تحت التزام أن نعيش أمواتاً بالنسبة إلى الخطية وأحياء بالنسبة إلى الله "كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً أَحْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ أَحْيَاءٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية ٦ : ١١)، ولكن هناك بعض المسيحيين يعتقدون أن الغرض من المعمودية هو خلاص من ينزل فيها من الخطية، وولادته وولادة روحية من الله. وفيما يلي حججهم الخاصة بهذا الموضوع، مصحوبة بالرد عليها.

## أولاً - الآيات الكتابية ومعناها الحقيقي:

١. قال المسيح لنيقوديموس "أَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُوَلَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يوحنا ٣ : ٥)

المعنى (أ) أن حديث المسيح هذا ليس خاصاً بالمعمودية<sup>١</sup>، بل بولادة النفس من الله وولادة روحية، وذلك للأسباب الآتية: (الأول) أن المسيح لم يقل لنيقوديموس إن كان أحد لا يعتمد، بل قال له أن كَانَ أَحَدًا لَا يُوَلَدُ، والولادة (أو بالحري الولادة الروحية من الله) تختلف كل الاختلاف عن العماد. فالأولى يراد بها الحصول بالإيمان الحقيقي على طبيعة روحية من الله تؤهل المرء للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية<sup>٢</sup>، أما العماد فيراد به النزول في الماء والصعود منه باسم الآب والابن والروح القدس كعلامة رسمية للإيمان بالمسيح، أو بالحري للموت معه والقيامة معه (رومية ٦: ٤) كما ذكرنا، ومما تجدر الإشارة إليه أن حرف الجر (ب) في كلمة "اسم" في الأصل اليوناني بمعنى "إلى"<sup>٣</sup> فهو يختلف عن حرف الجر المترجم "ب" في (يوحنا ٥: ٤٣، ١٠: ٢٥، كولوسي ٣: ١٧)، ومن ثم يكون العماد هو لله أو إلى الله، وذلك بالمقابلة مع العماد قديماً فإنه كان لموسى النبي (١ كورنتوس ١٠: ٢).

(الثاني) أن المسيح لم يقل لنيقوديموس إن كان أحد لا يولد بالماء والروح على نسق قول يوحنا لتلاميذه "أَنَا أَعْمَدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ" (متى ٣: ١١)، بل قال له "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح"، وهناك فرق كبير بين حرفي الجر "ب" و"من":

<sup>١</sup> كلمة "المعمودية" عربية من الكلمة السريانية "معموديتو"، ومعناها "الغسل لأجل التطهير"، وهي نفس الكلمة المترجمة "غسل" في (مرقس ٧: ١-٥) و(لوقا ١١: ٣٧-٣٩) و(عبرانيين ٩: ١٠) ومن كلمة المعمودية اشتقت كلمتا "اعتمد" و"عماد" وغيرهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن جماعة السنين من اليهود كانوا يعمدون بالماء كل ونسي يهود (للدلالة على تخلصه من وزر الوثنية)، وذلك قبل ظهور يوحنا المعمدان ببضع سنوات.

<sup>٢</sup> : تحدثنا عن هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب "طريق الخلاص".

<sup>٣</sup> : ولذلك نرى في الترجمة الإنجليزية (مثلاً) أن الحرف الأول هو (with) أما الثاني فهو (of).

فالأول يدل على العمل بواسطة خارجية، أما الثاني فيدل على التكون من كائن له وجود سابق ومن ثم فالأول يتناسب مع العماد، لأن ماء المعمودية يستعمل كواسطة خارجية، أما الثاني فيتناسب مع ولادة النفس من الله، لأن بهذه الولادة تتكون لدى النفس طبيعة روحية جديدة منه.

(الثالث) أن المسيح قال لنيقوديموس شرحاً لطريقة الولادة من الله "الرَّيْحُ تَهْبُ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا لَكِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ". وهذا الشرح لا ينطبق على المعمودية، لأن المرء يمكن أن يعرف كل الترتيبات التي عملت أو تعمل أو ستعمل لعماده، أما الولادة من الله فتحدث دون أي ترتيب أو انتظار من أحد، لأنها من أولها إلى آخرها من عمل الله، فقد يواظب إنسان على سماع كلمة الخلاص سنوات كثيرة بل ويعظ بها الآخرين مرات متعددة، ومع ذلك لا تتأثر نفسه بها. بينما قد يسمع غيره هذه الكلمة مصادفة مرة واحدة، فتنفذ إلى أعماق قلبه، ومن ثم يسلم نفسه لله تسليمًا كاملاً، ويولد منه ولادة روحية تؤهله للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية في العالم الحاضر والآتي معاً.

(الرابع) أن المسيح وبخ نيقوديموس لعدم معرفته بمعنى الولادة من الله (١ يوحنا ٣: ٩-١٢) وبما أن المسيح لا يوبخ إنساناً إلا إذا كان لا يعرف أمراً سبق الله وأعلنه له، لذلك لا يمكن أن يكون حديث المسيح مع نيقوديموس عن الولادة من الله، خاصاً بالمعمودية المسيحية التي نمارسها الآن، لأن هذه المعمودية لم تؤسس إلا بعد موت المسيح



وقيامته (متى ٢٨ : ١٩) <sup>٤</sup> أما الولادة من الله فكان تعالى قد أعلنها في العهد القديم من قبل، فقد قال "وَأَرَشُ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِرًا<sup>٥</sup> فَتَطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أَطَهَّرَكُمُ. وَأَعْطَيْكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزَعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأَعْطَيْكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ<sup>٦</sup> وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا" (حزقيال ٣٦ : ٢٥-٧).

كما أن كل قديسي العهد القديم قد عرفوا هذه الولادة وتاقوا إليها بكل قلوبهم. فقد قال داود النبي (مثلاً) لله "قَلْبًا نَقِيًّا اخْلُقْ فِيَّ يَا اللَّهُ وَرُوحًا مُسْتَقِيمًا جَدِّدْ فِي دَاخِلِي" (مزمو ٥١ : ١٠)، ومن ثم كان من المناسب أن يوبخ المسيح نيقوديموس لجهله إياها.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، فما المراد بكلمة "الماء" في قول المسيح لنيقوديموس "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح"، وفي قوله قديماً "وأرش عليكم ماء طاهراً"؟

الجواب: بالرجوع إلى (يعقوب ١ : ١٨) و(١ بطرس ١ : ٢٣) و(١ كورنثوس ٤ : ١٥)، يتضح لنا أن الولادة من الله تكون بواسطة "كلمة الله" فمكتوب عن الله "شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه" ومكتوب عن المؤمنين أنهم "مولودين ثانية

---

<sup>٤</sup> : أما المعمودية التي كان تلاميذ المسيح يقومون بها في بدء خدمته على الأرض، (يوحنا ٤ : ١)، فكان مثلها مثل المعمودية يوحنا العمدان، إذ كان الغرض منها إعداد التائبين في إسرائيل لقبول ملكوت السموات على الأرض، أو بالحرى قبول المسيح ملكاً عليهم فيها كما يتضح من الكتاب المقدس.

<sup>٥</sup> : "الماء العادي" لا يوصف بأنه طاهر أو نجس، لأن الطهارة هي الخلو من الخطية، والنجاسة هي التلوث بها، والماء لا يخطئ ولا يبتعد عن الخطية. ولذلك فإن "الماء الطاهر" المذكور أعلاه هو إشارة إلى شيء يطهر، أو بالحرى يطهر القلب. وهذا الشيء (كما سيتضح فيما يلي) هو "كلمة الله"، لأنها هي التي تقوم بهذا العمل.

<sup>٦</sup> : عبارة مجازية يراد بها نزع القساوة من نفوسهم، وغرس روح الطاعة فيها.

لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد" وأن الرسول ولد المؤمنين في كورنثوس بالإنجيل، أو بالحري "بكلمة الله". وبالرجوع إلى (يوحنا ٣: ٦)، يتضح لنا أن الولادة من الله تكون أيضاً بواسطة "روح الله"، فمكتوب "المولود من الروح هو روح".

ومن هاتين المجموعتين من الآيات، يتضح لنا أن الولادة من الله تكون بواسطة كلمة الله وروح الله معاً. أو بالحري بواسطة مرافقة الروح القدس لكلمة الله في التأثير على نفوس الذين يقبلونها، تأثيراً يخلقها خلقاً جديداً، فيتحقق القول "هو ذا الكلُّ قد صارَ جديداً" (٢ كورنثوس ٥: ١٧). وبما أن الآية التي نحن بصددنا تعلن أن الولادة من الله تكون من "الماء والروح"، إذًا يكون المراد بالماء هنا، هو كلمة الله، لأنه هو المقابل للفظ "الكلمة" في الآيات: (يعقوب ١: ١٨) و(١ بطرس ١: ٢٣) و(١ كورنثوس ٤: ١٥) التي أشرنا إليها فيما سلف.

(ج) ومما يثبت هذه الحقيقة أيضاً الأدلة الآتية: (١) لا يمكن أن تكون هناك وسيلتان مختلفتان للولادة من الله، إحداهما من الماء والروح، والأخرى من الكلمة والروح (٢) هناك شبه كبير بين تأثير كلمة الله وبين تأثير الماء، فكلمة الله تنقى القلب والماء ينقى الجسد (يوحنا ١٥: ٣) (٣) أن الماء المادي لا يبعث حياة روحية إلى النفس (أو بالحري لا يجعلها تولد من الله)، لأن الذي يقوم بهذه المهمة هو كلمة الله بسبب وجود هذه الحياة فيها، فمكتوب "لأنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَتِيَاتِهِ" (عبرانيين ٥: ١٢) (٤) أن روح الله لا يقترون في أي عمل من أعماله مع الماء المادي،

لأنه (أي روح الله) ليس مادة حتى يقترن بالشيء المادي. ولكن نظراً لأن كلمة الله روحية يمكن أن يقترن بها روح الله ويعمل معها<sup>٧</sup> (٥) أن الولادة من "الماء والروح" وردت مرادفة للولادة من "فوق"، فقد قال المسيح لنيقوديموس "يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْقُ" (يوحنا ٣: ٧) وبما أن الماء من حيث هو مادي، لا وجود له في المجال المعبر عنه بـ "فوق" أو بالحري حضرة الله نفسها، (لأن هذه الحضرة لا أثر للماء المادي فيها، إذ أن كل ما هناك روح في روح)، تكون الولادة من "فوق" أو من "الماء والروح"، هي الولادة من كلمة الله وروحه كما ذكرنا، لأنهما هما اللذان يمكن إسنادهما إلى فوق، حيث الله في روحانيته المطلقة (٦) إن "الولادة من الماء والروح" وردت أيضاً مرادفة للولادة من الروح وحده (كما يتضح من يوحنا ٣: ٦)، وبما أنه لو كان المراد بالماء هنا، الماء المادي، لما جاز أن تكون الولادة منه ومن الروح، هي ولادة من الروح وحده، لأنهما يكونان في هذه الحالة شيئين مختلفين لا شيئاً واحداً، إذا فالمراد بالماء هنا، هو "كلمة الله"، لأنهما تقترن مع روح الله كل الاقتران، وعمل أحدهما هو عمل الآخر تماماً<sup>٨</sup> (٧) كما أن "الكلمة" وردت في الكتاب المقدس بدلاً من "غسل الماء" فقد قال الوحي عن المسيح إنه يقدر الكنييسة (أو بالحري المؤمنين الحقيقيين) مطهراً إياها

<sup>٧</sup>: حقاً إن روح الله هو الذي بعث الحياة داخل الماء في أول الأمر، فتكونت فيه الكائنات الحية، لكنه لم يقترن بالماء أو يتحد به. فضلاً عن ذلك فهناك فرق لا حد له بين بعث الروح القدس للحياة أو الحركة في الماء، والذي لم يكن يتطلب أكثر من الرفرفة الخارجية عليه (تكوين ١: ٢)، وبين بعث الحياة الروحية في النفوس العاقلة، والذي يتطلب سكنى الروح القدس فيها، حتى تصبح أهلاً للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية.

<sup>٨</sup>: فالخلق (مثلاً) يسند إلى كلمة الله، كما يسند إلى روح الله، فقد قال داود النبي "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةٍ فِيهِ (أي روحه) كُلُّ جُنُودِهَا" (مزمو ٣٣: ٦)

بِعَسَلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ (أفسس ٥ : ٢٦) ٩. (٨) فضلاً عن كل ما تقدم فإن الماء ورد رمزاً لكلمة الله في العهد القديم الذي كان يحفظه نيقوديموس. فقد قال تعالى فيه "أَنَّهُ كَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ وَالْتَّلُجُ مِنَ السَّمَاءِ وَلَا يَرْجِعَانِ إِلَى هُنَاكَ بَلْ يُرَوِّيانِ الْأَرْضَ وَيَجْعَلَانِهَا تَلْدًا وَتُنْبِتُ وَتُعْطِي زَرْعًا لِلزَّرَّارِ وَخَبْرًا لِلْأَكْلِ هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لَا تَرْجِعْ إِلَيَّ فَارِغَةً بَلْ تَعْمَلْ مَا سُرَرْتُ بِهِ وَتَنْجَحْ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ" (إشعياء ٥٥ : ١٠-١١). وإذا كان ذلك كذلك، تكون الولادة من الماء والروح هي قطعاً الولادة من "كلمة الله وروح الله"، ويكون من المفروض في نيقوديموس أن يعرف هذه الحقيقة تماماً. ١٠

(د) فضلاً عن ذلك، فإن الولادة من الله تختلف عن المعمودية من النواحي الآتية:

٩: وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن غسل الأرجل الذي قام به المسيح لتلاميذه، هو مثال لغسل القلوب مما يعلق بها من شر، وذلك بوضعها تحت تأثير كلمة الله الفعالة. والدليل على ذلك أن المسيح قال لبطرس "إِنْ كُنْتُ لَا أَعْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ" (يوحنا ١٣ : ٨)، والذي يحرم المؤمن من أن يكون له نصيب مع المسيح، ليس عدم غسل رجله بل عدم نقاوة قلبه. وقس على ذلك قول النبي "أَغْسِلْ يَدَيَّ فِي النِّقَاوَةِ" (مزمو ٢٦ : ٦)، فإنه يراد بالغسل الوارد فيه، الغسل بالكلمة، لأنها هي التي تنقى الإنسان وتؤهله للوجود مع الله، لاسيما وأن النبي لم يقل (أغسل يدي بالماء)، بل قال "اغسل يدي بالنقاوة". والنقاوة أمر معنوي لا مادي.

١٠: ولكن مما يؤسف له أن نيقوديموس بمعلوماته الناموسية الضخمة، لم تكن له فطنة روحية أكثر من السامرية وعامة اليهود. فالسامرية ظنت أن الماء الذي وعدها المسيح به هو الماء المادي (يوحنا ٤) وبعض عامة اليهود ظنوا أن المسيح سيقدم لهم جسده ليأكلوه بأفواههم (يوحنا ٦)، وهكذا الحال من جهة التلاميذ أنفسهم، فقد ظنوا أن الخمير الذي حذرهم المسيح منه هو الخبز العادي (متى ١٦ : ٦)، وأن السيف الذي طلب من كل منهم أن يشتريه هو السيف المادي (لوقا ٢٢ : ٣٨).

(١) الأولى يقوم بها الله وحده<sup>١</sup>، أما الثانية فيقوم بها الكارز بالإنجيل (٢) والأولى تتم بواسطة تأثير كلمة الله وروحه في النفس<sup>٢</sup>، أما الثانية فتتم بواسطة نزول الإنسان بجسده في الماء والصعود منه<sup>٣</sup> (٣) والأولى تمنح المرء طبيعة روحية تؤهله للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية في العالم الحاضر والآتي معاً، ومن ثم لا يهلك على الإطلاق (ابطرس ١: ٣-٥) أما الثانية فلا تؤهل من يمارسها إلا للانضمام الظاهري إلى جماعة المسيحيين على الأرض. ولذلك فإن كثيرين من الذين اعتمدوا بالماء فحسب، أشخاص أشرار لا نصيب لهم إلا العذاب الأبدي، كما كانت الحال مع سيمون الساحر (أعمال ٨: ٢١-٣٠)

<sup>١</sup> : فقد قال بطرس الرسول أيضاً "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي، بقيامة يسوع المسيح من الأموات" (ابطرس ١: ٣).

<sup>٢</sup> : وقد أشار يوحنا المعمدان قديماً إلى هذه الحقيقة فقال لليهود "أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (متى ٣: ١١)، ومن ثم يكون عماد القلب بالروح القدس (أو بالبحري ولادة الإنسان من الله ولادة ثانية) هو العماد الأساسي الذي يحتاج إليه الناس قبل كل شيء آخر، لأنه هو الذي يؤهلهم للتوافق مع الله والتمتع به إلى الأبد.

<sup>٣</sup> : مما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة أنه جاء في كتاب "الذيدياخي" الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثامن (كما يقال): "إن المعمودية تكون في ماء حي (أو بالبحري ماء جار مثل ماء الأنهار) فإن لم يكن عندك ماء حي، عمد في ماء آخر. وإن لم تستطع في ماء بارد، ففي ماء دافئ. وإن لم يكن لديك كلالهما، فصب الماء على الرأس ثلاثاً باسم الآب والابن والروح القدس" (الأباء في القرون الثلاثة الأولى ص ٥١). ولعل هذا هو السبب في أن بعض الطوائف المسيحية في الوقت الحاضر تعتمد بواسطة الرش في بعض الأحيان، وإن كانت القاعدة الكتابية هي النزول في الماء والصعود منه.

(٤) والأولى كانت معروفة عند مؤمني العهد القديم ولذلك كانت لهم علاقة روحية مع الله وحياة أبدية معه، أما الثانية فلم يعرفها إلا مؤمنو العهد الجديد، لأنها مرتبطة بموت المسيح وقيامته (متى ٢٨ : ١٩).

(٥) أن بولس الرسول لم يعمد من أهل كورنثوس إلا كريسبوس وغياس وبيت اسطفانوس (اكورنثوس ١ : ١٤-١٦)، ومع ذلك يقول لجميع المؤمنين في كورنثوس "لَأَنِّي أَنَا وَالدُّنْيَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ بِالْإِنْجِيلِ" (١ كورنثوس ٤ : ١٥)، الأمر الذي يدل بوضوح على أن المعمودية شيء، وأن الولادة الروحية من الله شيء آخر.

(هـ) فإذا أضفنا إلى ما تقدم أنه لو كان حديث المسيح مع نيقوديموس خاصاً بالمعمودية، لكان نيقوديموس قد طلب من المسيح أن يعمده، كما طلب الحبشي من فيلبس المبشر فيما بعد (أعمال ٨ : ٢٦-٣٩)، أو على الأقل سأله إن كانت المعمودية المسيحية تشبه معمودية يوحنا أم تختلف عنها. اتضح لنا أن نيقوديموس لا بد أنه أدرك في النهاية أن حديث المسيح معه خاص بالولادة من الله التي تتم بالإيمان الحقيقي بشخصه. ومما يثبت هذه الحقيقة أن المسيح ختم حديثه مع نيقوديموس بالقول "لَأَنَّ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكِي لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّة. لِأَنَّه لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينِ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُسَ بِهِ الْعَالَمُ. الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُدَانُ وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لِأَنَّه لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ" (يوحنا ٣ : ١٦-٢١)

(و) هذا، وقد عرف المسيحيون منذ القديم أن الولادة من الله ليست هي المعمودية، بل هي التغيير الذي يحدث في النفس بواسطة تأثير كلمة الله وروحه عليها،

ولذلك قالوا "إنه بمساعدة الولادة الجديدة، زالت عنا وصمة السنوات القديمة وأشرق علينا نور من العلاء. إنه نور صاف جميل اخترق أعماق قلوبنا. وهذه الولادة الجديدة هي التي جعلتنا ننطلق ونشرق بنور المسيح على الآخرين"<sup>١٤</sup>. (الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص: ٧٥) كما قالوا "إن ولادة النفوس ولادة حقيقية من الروح القدس تقودها إلى ملكوت السموات. وإنه بدون الروح القدس تكون هذه الولادة غير ممكنة". وقالوا إن "ربنا يسوع المسيح أتى إلى العالم لكي يجدد النفوس التي فسدت بالأهواء والشهوات" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ٢٣٣ و ٢٣٩، والخريفة النفيسة ج ١ ص ٩٤) كما عرفوا أن ماء المعمودية هو فقط رمز للضمير الصالح، أو بالبحري رمز لعمل كلمة الله في هذا الضمير، لأنها هي التي تطهره وتجعله صالحاً (تاريخ كنيسة أنطاكية ج ١ ص ٤٦٠)

وفي العصر الحديث نادى كثير من الأرثوذكس بأن الولادة من الله شيء غير المعمودية، فمثلاً جاء في (كتاب عصمة الكتاب المقدس ص ١٧٨، للواعظ الأرثوذكسي يسي منصور) أنه "عندما يتوب الإنسان ويؤمن بكفارة المسيح، يشعر بسلام تام لتمتعه بغفران خطاياها. وفي هذا الاختبار ينال التجديد (أي الولادة الروحية من الله) وينفصل عن ماضيه السيء ويتمتع بحياة جديدة مقدسة، ولا تسود عليه الخطية بعد، بل يكرهها، من كل قلبه. كما نادوا بأن "كلمة الله" هي التي تخلق المرء خلقاً

---

<sup>١٤</sup>: ظن بعض المؤرخين أن هذه العبارة هي عن المعمودية بالماء، ولكنها في الواقع عن معمودية الروح القدس (أو بالبحري الولادة الثانية من الله)، لأنها هي وحدها التي لها الأثر المذكور أعلاه.

جديداً وتلده مرة ثانية (كما ذكرنا). فقال الآب الفاضل متى المسكين ما ملخصه "كلمة الله هي قوته المرسله إلى العالم كطاقة روحية خلاقة لتجدد الإنسان: إنها حياة منبعثة من الله تتفاعل بذهن الإنسان وروحه فتتحد به، ويصير الإنسان بواسطتهما حياً بالله وفي الله. فالكلمة مصدر الحياة الروحية للإنسان وواسطة اتحاد سري بالله. وهي البذرة التي تولد منها مرة ثانية" (كتاب كلمة الله ص ٢١، ٦٠).

قال بولس الرسول "أَحَبُّ الْمَسِيحِ أَيْضاً الْكَنِيْسَةُ وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِهَا، لِكِي يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّراً إِيَّاهَا بِغَسْلِ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ" (أفسس ٥: ٢٥، ٢٦). كما قال "لَكِنْ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلَهِنَا" (١ كورنثوس ٦: ١١) وقال "لِنَتَقَدَّمَ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الْإِيمَانِ، مَرشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شَرِيْرٍ، وَمُعْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءِ نَقِيٍّ" (عبرانيين ١٠: ٢٢). وقال بطرس الرسول "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لَا مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِنْ مِمَّا لَا يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللَّهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الْأَبَدِ" (بطرس ١: ٢٣)، وهذه الكلمة هي الكلمة الفعالة في المعمودية، والتي بما ينحدر الروح القدس على الماء.

المعنى (أ) بالتأمل في الآية الأولى، يتضح لنا أن "الكلمة" مستعملة فيها بدلاً من "الماء"، ولا غرابة في ذلك، فأوجه الشبه بينهما كثيرة كما ذكرنا فيما سلف. ومن ثم يكون معنى الآية أن المسيح بعد ما بذل حياته من أجل المؤمنين لكي يقدهم لنفسه، فإنه يطهر قلوبهم من وقت إلى آخر مما يعلق بها من شر، بواسطة كلمته (لأنها هي التي تقوم بهذه المهمة)، حتى يكونوا في كل حين في الحالة اللاتقة بنسبتهم إليه.

(ب) وبالتأمل في الآية الاتية، يتضح لنا أن الاغتسال الوارد فيها ليس بماء المعمودية، بل باسم الرب يسوع وبروح إلهنا - وهذا الاغتسال (كما يتضح من



الكتاب المقدس) قد تم مرة واحدة إلى الأبد. فقد قال يوحنا الرسول عن المسيح انه "أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ" (رؤيا ١: ٥). ومن ثم يراد بالاغتسال هنا المعنى المجازي لا الحرفي.

(ج) ومن جهة الآية الثالثة نقول: أن اغتسال الجسد لا يهيئنا للاقتراب إلى الله، بل الذي يهيئنا لذلك، هو اغتسال القلب. فمكتوب "طُوبَى لِلْأَتْقِيَاءِ الْقُلُوبِ لِأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ" (متى ٥: ٨) واغتسال القلب لا يكون بالماء بل بكلمة الله، ومن ثم يكون الرسول قد استعمل عبارة "الماء النقي" بدلاً من "كلمة الله" لأوجه الشبه الكثيرة بينهما، ويكون قد استعمل كلمة "الجسد" بدلاً من "القلب" من باب إطلاق اسم الكل على الجزء، للدلالة على وجوب تطهير الحياة بأسرها.

(د) أما الآية الأخيرة فإنها تقول صراحة أن الولادة الثانية هي بعمل كلمة الله، لأن هذه الكلمة لها فعاليتها الكفيلة بتوجيه القلب إلى الله، ومن ثم تلده منه مرة ثانية. أما التعليق الوارد بعد هذه الآية، فلا أساس له في الكتاب المقدس، بل هي من رأي المعارض لتأييد اعتقاده بأن المعمودية هي التي تلد النفوس ولادة جديدة. والحال أن كلمة الله لا تفعل مع الماء لولادة النفوس من الله، ولا الروح القدس يعمل مع الماء هذه الغاية، كما ذكرنا فيما سلف.

٣ - قال المسيح "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يَدْنُ" (مرقس ١٦: ١٦) وقال الوحي عن يوحنا المعمدان إنه "يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرُرُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (مرقس ١: ٤) وقال حنانياً لشاول "قُمْ وَاعْتَمِدْ وَاغْسِلْ خَطَايَاكَ دَاعِيًا بِاسْمِ الرَّبِّ" (أعمال ٢٢: ١٦)

المعنى: (أ) من جهة الآية الأولى نقول: أن الإيمان (أو بالبحري الإيمان الحقيقي) هو السبيل الذي عينه الله لنا للتمتع بالخلاص والغفران<sup>١٥</sup>، ولذلك فالسبب في إضافة المعمودية إلى الإيمان هنا، يرجع إلى أن العماد هو إظهار الإيمان وإعلانه، أو بالبحري الاعتراف الرسمي بالموت مع المسيح والقيامة كما ذكرنا<sup>١٦</sup>. وهذا الإظهار

<sup>١٥</sup>: فقد قال الوحي "لأنكم بالنعمة مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ" (أفسس ٢: ٨) كما قال "آمين بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصُ أَنْتِ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" (أعمال ١٦: ٣١)، وقال "الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ (أي بالمسيح) لَا يُدَانَ وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ" (يوحنا ٣: ١٨) وقال "لأنك أن اعترفتَ بِفِيكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَأَمَنْتَ بِقَبْلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ خَلَّصْتَ" (رومية ١٠: ٩) وقال "ثالثين غَايَةَ إِيمَانِكُمْ خَلَّصَ الثُّفُوسَ (أو بالبحري نفوسكم أنتم)" (١ بطرس ١: ٩) وقال "أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ (أي بالمسيح) يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أعمال ١٠: ٤٣) وقال "حَتَّى يَنَالُوا بِالْإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أعمال ٢٦: ١٨) – أي غفراناً عن كل الخطايا، وليس عن خطية آدم وحدها، كما يظن بعض المسيحيين.

أما السبب في أن الخلاص والغفران هما بالإيمان (أو بالبحري بالإيمان الحقيقي)، فيرجع إلى أن المسيح بموته على الصليب كفر عن كل خطايا المؤمنين الحقيقيين وحقق كل مطالب عدالة الله وقداسته من نحوهم (عبرانيين ٩: ١٢)، ومن ثم أكملهم إلى الأبد (عبرانيين ١٠: ١٤) وإذا كان ذلك كذلك، لا يكون المسيح قد ترك لهم عملاً يقومون به للحصول على الخلاص والقبول أمام الله، سوى الإيمان الحقيقي به – وهذا الإيمان (كما يتضح من الكتاب المقدس) ليس مجرد الاعتراف بالمسيح، بل هو قبوله في النفس قبولاً تولد به من الله ولادة ثانية تجعلها أهلاً للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية.

<sup>١٦</sup>: فضلاً عن ذلك، فالمعمودية دليل على الانسحاب إلى المسيح (غلاطية ٤: ٢٧) والتطهر القلبي بدمه الكريم (رؤيا ١: ٥) وهبوط خطايانا في الأعماق وعدم امكانية ظهورها بعد أمام الله (ميخا ٧: ١٩، عبرانيين ٨: ١٢) كما كانت الحال مع فرعون وجيوشه قديماً. كما أن المعمودية بوصفها قد حلت محل الحتان القديم، هي علامة لحتان القلب والتحرر من الجسد (أعمال ٧: ٥١، تثنية ١٠: ١٦)، والحنم الظاهري على أن المؤمن أصبح ملكاً لله (رومية ٤: ١٢) وبالإضافة إلى ذلك فإنها اعتراف بأن الله هو الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨: ١٩)، وبأن للمؤمن امتياز التمتع بكل بركات الله في المسيح (أفسس ٣: ١ – ٦) ومن ثم فالإيمان هو الجوهر والمعمودية هي المظهر (أو كما قال أحدهم: أن الإيمان مثل اللحن الكامن في نفس الموسيقي، والمعمودية مثل توقيع هذا اللحن في الخارج) لكن كما أن الحتان لم ينفع اليهود

ضروري لإثبات صدق الإيمان، لأن كثيرين كانوا يؤمنون، لكنهم كانوا يرفضون العماد لنلا يتعرضوا للضيق والاضطهاد، ومن ثم فإن إيمانهم يكون باطلاً، ولا يكون لهم خلاص على الإطلاق.<sup>١٧</sup>

(ب) ومن جهة الآية الثانية نقول: أن يوحنا المعمدان كان ينادي للناس بالتوبة، وكان يعمد الذين يستجيبون حسب الظاهر له، ولذلك سميت معموديته معمودية التوبة<sup>١٨</sup>. والتوبة هي أول خطوة في سبيل التمتع بغفران الله، لأنه لا مجال للغفران على الإصرار عن السلوك في الخطية كما يتضح من (مرقس ١: ١٥، ٢ بطرس ٣: ٩). لكن مما تجدر الإشارة إليه أن التوبة في حد ذاتها لا تغفر الخطايا (لأنها لا تستطيع التكفير

---

بشيء إلا مع حفظ ناموس (رومية ٢: ٢٥) هكذا الحال من جهة المعمودية، فإنها لا تجدي على المرء خيراً أن لم يكن مؤمناً حقيقياً.

أخيراً نقول: إذ تأملنا الآيات "جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ، كَمَا دُعِيتُمْ أَيْضاً فِي رَجَاءِ دَعْوَتِكُمْ الْوَاحِدِ. رَبٌّ وَاحِدٌ، إِيْمَانٌ وَاحِدٌ، مَعْمُودِيَّةٌ وَاحِدَةٌ. إِلَهٌ وَآبٌ وَاحِدٌ لِلْكَلِّ، الَّذِي عَلَى الْكُلِّ وَبِالْكَلِّ وَفِي كَلِّكُمْ" (أفسس ٤: ٤ - ٦)، اتضح لنا أن المعمودية هي أيضاً (إحدى الروابط الهامة التي تربط جميع المسيحيين وتجمعهم معاً (على الرغم من اختلاف طوائفهم) تحت علم واحد هو علم المسيح.

<sup>١٧</sup> : هذا مع ملاحظة أنه ليس كل من يعتمد يكون مؤمناً حقيقياً، لأن العماد شيء والإيمان شيء آخر، والسدليل على ذلك أن كثيرين من المعتمدين يعيشون بعيداً عن الله، الأمر الذي لا يتوافق مع الإيمان الحقيقي، ومن ثم فإنهم سيهلكون إلى الأبد على الرغم من عمادهم.

<sup>١٨</sup> : فعمودية يوحنا تختلف إذاً عن المعمودية المسيحية اختلافاً كبيراً. فالأولى كانت للدلالة على هتمة المعتمدين التائبين لقبول ملكوت السموات على الأرض أو بالحري لقبول المسيح ملكاً عليهم فيها (متى ٣: ١ - ٢)، أما المعمودية المسيحية فللدلالة على أنه كما يغسل الماء الجسد يظهر دم المسيح القلب، كما أنها للاعتراف بأن الله هو الآب والابن والروح القدس ... و... كما ذكرنا فيما سلف. ولذلك فالذين اعتمدوا مرة بمعمودية يوحنا، اعتمدوا مرة ثانية بالمعمودية المسيحية عندما آمنوا بالمسيح (أعمال ١٩: ٥).

عنها أو تأهيل النائب للتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية) بل قبيء فقط النائب للحصول على الغفران إذا وجد الفادي الذي يقوم بمذنبين العملين، كما ذكرنا بالتفصيل في كتاب قضية الغفران. ولذلك كان يوحنا يحرض الذين يعتمدون منه على الإيمان بالمسيح (أعمال ١٩ : ٦) ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأنه لو كانت المعمودية التي كان يوحنا ينادي بها، تغفر الخطايا وتوهل للتوافق مع الله والتمتع به إلى الأبد، لما كان هناك داع لكفارة المسيح، بل ولما كان هناك داع لمجيئه إلى العالم.

(ج) ومن جهة الآية الثالثة نقول: أن غسل الخطية (أو بالحري التطهير منها) قد حققه المسيح لنا بموته الكفاري على الصليب عوضاً عنا، ونحصل عليه في الوقت الحاضر بواسطة الإيمان الحقيقي بشخصه. فقد قال الوحي عن المسيح، "إذ طَهَّرَ بِالْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ" (أعمال ١٥ : ٩)، كما قال عنه إنه "صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا" (عبرانيين ١ : ٣)، "الَّذِي أَحْبَبْنَا، وَقَدْ غَسَلْنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ" (رؤيا ١ : ٥)، ومن البديهي أن يكون الغسل أو التطهير هو بدم المسيح دون سواه، لأنه هو وحده الذي كفر عن خطايانا إلى الأبد، وأن يكون السبيل للحصول على هذا الغسل أو التطهير هو الإيمان الحقيقي فقط، لأن هذا الإيمان هو الذي يهيء القلب لقبول بركات الله وهباته كما ذكرنا. أما المعمودية فلا تطهر القلب على الإطلاق والدليل على ذلك أن كثيرين من الذين اعتمدوا أشخاص أشرار كما نعلم جميعاً.

وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن قول حنانيا لشاول: "اعتمد واغسل خطاياك"، لا يراد به أن يغسل خطاياها من أمام الله، بل أن يغسلها من أمام المؤمنين الذين كان عتيدياً أن ينضم إليهم، لأنه بالعماد (أو بالحري بإشهار الإيمان) يحو شاول عن نفسه

من أمامهم، عار خطاياها التي كان يقترفها باضطهاده للمسيح، ويعلن أنه أصبح على استعداد لأن يتحمل الاضطهاد، بل والموت أيضاً من أجله. كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن غسل الخطايا من أمام الله، لا يسند إلى الإنسان مهما كان شأنه بل يسند إلى المسيح وحده (رؤيا ١ : ٥)، اتضح لنا أن غسل الخطايا المسند إلى شاول في الآية التي نحن بصددنا، يراد به قيامه بمحوها من أمام المؤمنين كما ذكرنا.

٤ - قال بطرس الرسول "ثُوبُوا وَلِيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أعمال ٢ : ٣٨)

المعنى (١) بالتأمل في هذه الآية يتضح لنا أن التوبة هي الخطوة الأولى للحصول على الغفران. أما الخطوة الثانية للحصول عليه فهي العماد باسم يسوع المسيح، أو بالبحري الإيمان المشهور به، لأن الذي يؤمن بالمسيح دون أن يعتمد لا يكون مؤمناً حقيقياً، إذ يكون خائفاً من التعرض للاضطهاد. ومما يثبت أن الخلاص هو بالإيمان الحقيقي وحده، وليس بالإيمان والمعمودية معاً، أن بولس الرسول لم يعتمد كل الذين كانوا يؤمنون بالمسيح، بل كان يترك أمر عمادهم للذين يأتون بعده<sup>١٩</sup> حتى يتفرغ هو للكرازة بالإنجيل المسيح (١ كورنثوس ١ : ١٤)، إذ أن الإنجيل (كما أعلن الرسول من

<sup>١٩</sup> : مما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة أن الشمامسة، أو بالبحري الأشخاص الذين كانوا يقامون لرعاية الأرامل والأيتام في القرون الأولى (أعمال ٦ : ١ - ٦)، كانوا هم الذين يعمدون الداخلين إلى المسيحية، كما كانوا هم الذين يقدمون العشاء الرباني لهم وللمؤمنين عامة (الخريدة النفيسة ج ١ ص ١٤٧-١٥٦ وآباء الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى ص ٣٢) الأمر الذي يدل على أن المسيحيين القدماء كانوا لا يعتقدون أن المعمودية والعشاء الرباني سران الهيان. لأنهم لو كان يعتقدون أنهما كذلك، لكانوا قد أسندوا القيام بهما، إلى الأشخاص الذين أقاموهم كهنة فحسب.

قبل) هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن (رومية ١ : ١٦)، وهذا دليل على أن العماد ليس عملاً مضافاً إلى الإيمان بالمسيح نحصل به على خلاص الله، بل إنه فقط إشهار الإيمان كما ذكرنا.

(ب) كما أن الإيمان وليس العماد هو الوسيلة التي يحل بها الروح القدس فينا، فقد قال الرسول للأفسسيين "إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس" (أفسس ١ : ١٣) وقال للغلاطيين "أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان" (غلاطية ٢ : ٢) وقال المسيح من قبل "من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس" (يوحنا ٧ : ٣٨ - ٣٩) ومما يثبت أيضاً أن الروح القدس يحل بواسطة الإيمان وليس بواسطة العماد، أنه لم يحل على سيمون الساحر مع أنه اعتمد (أعمال ٨ : ٢٠)، بينما حل على كرتيبيوس قبل أن يعتمد (أعمال ١٠ : ٤٤ - ٤٧)، ذلك لأن الأول كان مؤمناً بالاسم، أما الثاني فكان مؤمناً بالحق.

(ج) وهنا يسأل سائل: إذا كان الروح القدس يحل بمجرد الإيمان الحقيقي، فلماذا جعل الرسول العماد في الآية التي نحن بصددنا شرطاً للحصول على هذا الروح؟ ولورد على هذا السؤال نقول: أن هذه الآية وجهها الرسول إلى اليهود، وهؤلاء كانوا متمردين كما كانوا متقلبين، فهم الذين صلبوا المسيح بعد أيام قليلة من هتافهم أمامه "أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي" (متى ٢١ : ٩) ومن ثم

كان من الواجب أن يشهروا إيمانهم علناً بالمعمودية حتى يتبين إخلاصهم وصدقهم، قبل أن يحل الروح القدس عليهم.

(د) أما القول (إن الروح القدس حل على المسيح بعد العماد، ومن ثم فإنه لا يحل على أحد من المؤمنين إلا بعد العماد أيضاً) فلا مجال له على الإطلاق، لأن حلول الروح القدس على المسيح بعد العماد، لم يكن الغرض منه أن يسكن فيه كما هي الحال معنا (١ كورنثوس ٦: ١٩)، كلاً لأن المسيح كان مملوءاً به من قبل بسبب ولادته به (متى ١: ١٨) بل كان الغرض من حلوله عليه بعد العماد هو مسحه (أو بالحري تعيينه بصفة علنية) لمهمة الخلاص التي أتى إلى العالم لأجلها حتى يعرفه الناس ويؤمنوا به. ولذلك قال يوحنا المعمدان لليهود "إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ (أي على المسيح) وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلًا وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْمَدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ" (يوحنا ١: ٣٢ - ٣٤)

٥ - قال بولس الرسول: "وَلَكِنْ حِينَ ظَهَرَ لَطْفٌ مُخْلِصِنَا اللَّهُ وَإِحْسَانُهُ - لَا بِأَعْمَالٍ فِي بَرٍّ عَمَلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ - خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ (لنا)" (تيطس ٣: ٤)

المعنى (أ) أن الخلاص (كما يتضح من هذه الآية) هو بواسطة رحمة الله، وأن الله يعطينا إياه بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس وليس بواسطة أعمالنا التي ندعوها الصالحة - والكلمة المترجمة هنا بـ "الميلاد الثاني"، لا يراد بها المعمودية أو الولادة الثانية، بل يراد بها، كما يتضح من الأصل اليوناني "التجديد" أو بالحري "الحالة

الجديدة" وهذه الكلمة لا ترد في الكتاب المقدس إلا في هذا الموضع، وفي (متى ١٩ : ٢٨)، حيث قال المسيح "أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي فِي التَّجْدِيدِ مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ تَجَلْسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ" - غير أن التجديد الذي تحدث عنه المسيح يراد به الملك الألفي (رؤيا ٢١) <sup>٢٠</sup> الذي سيعدده بإزالة المعاصر من وجه الأرض، ورد كل شيء إلى أصله الطيب (متى ١٣ : ٤١، أعمال ٣ : ٢١) أما التجديد الذي تحدث عنه الرسول هنا، فيراد به الحالة الجيدة التي يتبوأها المؤمنون الحقيقيون أمام الله بنقلهم بواسطة الإيمان الحقيقي من الخليقة العتيقة إلى الخليقة الجديدة، أو بالحري من الوجود في آدم الساقط إلى الوجود في المسيح الكامل (اكورنثوس ١٥ : ٢٢)، وقد وصف الرسول هذه الحالة بشيء من التفصيل في (أفسس ١ : ٣-١٢). ولذلك فكلمة "غسل" في العبارة "غسل الميلاد الثاني" لا يراد بها المعنى الحرفي بل المعنوي.

(ب) وهذا التجديد "لا يشمل فقط المقام الخارجي لهؤلاء المؤمنين أمام الله كما يظن بعض المسيحيين، بل يشمل أيضاً الحالة الباطنية لهم، لأن الروح القدس بواسطة عمله المستمر في نفوسهم يصرفهم عن الأهواء والشهوات ويقودهم من وقت إلى آخر للوجود بقلوبهم في السموات [فقد قال الرسول "لأنَّ نَامُوسَ رُوحِ الْحَيَاةِ فِيهِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنَ نَامُوسِ الْخَطِيئَةِ وَالْمَوْتِ" (رومية ٨ : ٣)، كما قال "فإنَّ

---

<sup>٢٠</sup> : وقد نادى بهذا الملك أعظم علماء الدين في القرون الثلاثة الأولى مثل بايباس ويوستينوس وإيريناوس. كما نادى به كثيرون من الإنجيليين والأرثوذكس في العصر الحديث. نذكر من الفريق الثاني ابن كاتب قيصر (قانون الأرثوذكسية ص ١٨٠-١٨٣) وعريان مفتاح (الدرة البهية ص ٦٢) - وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتاب "الإيمان والأعمال"، ولذلك نكتفي هنا بهذه الإشارة.



سِيرَتْنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَاوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضاً نَنْتَظِرُ مَخْلَصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ،  
٢١ الَّذِي سَيُعَبِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا (أَوْ بِالْحَرِيِّ جَسَدِ الضَّعَةِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ فِي الْعَالَمِ  
الْحَاضِرِ بِسَبَبِ مَا يَكْمُنُ فِيهِ مِنْ شَرٍّ) لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (فيلبي ٣ : ٢٠)  
الأمر الذي يجعل حالة المؤمنين الباطنية ملائمة لمقامهم أمام الله في المسيح.

٦ - قال بطرس الرسول "إذ كان الفلك يبني الذي فيه خلص قليلون أي ثماني  
أنفوس بالماء (أو بالحروري خلال الماء ٢١) الذي مثاله يخلصنا نحن الآن (أي  
المعمودية)<sup>٢٢</sup> [لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله] بقيامه يسوع المسيح  
الذي هو عن يمين الله" (ابطرس ٣ : ٢-٢٢)

المعنى (١) إذا تأملنا هذه الآيات بشيء من التدقيق، يتضح لنا أن العبارة التي وضعناها  
بين [ ] هي عبارة عرضية، يدفع بها الرسول، ما عساه أن يظراً على أذهان السامعين  
من أن الغرض من المعمودية هو مجرد الاغتسال الجسدي كما كانت الحال مع  
الغسلات التي كان اليهود يمارسونها في العهد القديم<sup>٢٣</sup>.

<sup>٢١</sup>: ولذلك وردت في النسخ الإنجليزية (مثلاً) **through**.

<sup>٢٢</sup> الترجمة الكاثوليكية لهذه الآية هي "... بالماء الذي المرموز إليه به أي المعمودية المراد بها لا إزالة القدر عن الجسد بل  
اختبار الضمير الصالح لدى الله، يخلصكم الآن بقيامه يسوع المسيح" - ومن هذه الترجمة يتضح لنا أن ماء الطوفان هو رمز  
أو مثال لماء المعمودية، وأن الخلاص هو بقيامه المسيح وليس بالمعمودية، كما سنذكر أعلاه.

<sup>٢٣</sup>: فقد كانت هناك المرحلة أمام القدس والماء الممزوج برماد البقرة الحمراء (عدد ١٩ : ١-٩) لكي يتطهر به السذين  
يتنجسون، كما كانت هناك أجران الماء في البيوت (يوحنا ٣ : ٦)، لكي يغتسل الناس بعد عودتهم من أعمالهم ومن  
معاملاتهم مع الآخرين.

ولذلك يكون مفهوم هذه الآيات أن الله يخلصنا نحن الآن بقيامة يسوع المسيح من الأموات. وهذا حق، لأن المسيح هو الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا (رومية ٤ : ٢٥) وإذا كان الأمر كذلك يكون السبب في الإشارة إلى المعمودية هنا، هو كونها (كما يقول الوحي) مثالا للخلاص الذي يناله المؤمنون الحقيقيون بالمسيح في الوقت الحاضر، لأنه بالنزول في المعمودية والصعود منها يعلنون أنهم اعتبروا أنهم ماتوا مع المسيح (أو بالحري حلت عليهم دينونة الخطية شرعاً، ولن تعود تحل عليهم فيما بعد)، وأهم قاموا أيضاً معه بحياة روحية جديدة تؤهلهم للشركة الروحية معه إلى الأبد. فقد قال الرسول في موضع آخر "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مِّنْ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ فَدُنِينَا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الْأَمْوَاتِ بِمَجْدِ الْآبِ هَكَذَا نَسَلُكُ نَحْنُ أَيْضاً فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ" (رومية ٦ : ٣ ، ٤)

(ب) وأوجه الشبه التي أوردها الرسول بين الوسيلة التي خلص الله بها نوحاً وأسرته من الطوفان قديماً، وبين الوسيلة التي يخلصنا بها نحن من الدينونة في العهد الجديد، تثبت الحقيقة التي ذكرناها، كما يتضح مما يلي:

(١) أن الفلك كان رمزاً للمسيح، لأنه كما أن الأول أنقذ الأشخاص الذين كانوا فيه، فإن الثاني يخلص جميع الذين يلجئون إليه بالإيمان الحقيقي.

(٢) أن الطوفان تماثل على الفلك دون أن يمس الساكنين فيه، ودينونة الخطية حلت على المسيح وحده دون أن تمس شخصاً واحداً من المؤمنين الحقيقيين به.

(٣) أن الفلك اجتاز بالذين فيه خلال ماء الطوفان، وبعد ذلك رسا بهم عالياً فوق

جبل أراراط في سلام وأمان. والمسيح اجتاز بالمؤمنين الحقيقيين (وكأنهم في قلبه) وسط

دينونة الخطية الرهيبة التي احتملها نيابة عنهم على الصليب، ثم رسا بهم بعد ذلك ليس على جبل أراط، بل في السماء حيث الأمان الذي ليس بعده أمان. فمكتوب "وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَاجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أفسس ٢: ٦) ومن ثم فإننا ندخل في المعمودية ونجتاز فيها، وبعد ذلك نخرج منها، للدلالة على أن الله أجازنا شرعاً وسط دينونة الخطية الرهيبة (المرموز لها بماء الطوفان)، ثم أخرجنا أحياء إلى الأبد بقيامة المسيح من بين الأموات.

(ج) إن الضمير الصالح الوارد في العبارة "سؤال ضمير صالح عن الله (أو بالحري من نحو الله)" لا يراد به (كما يتضح من القرينة) الضمير الذي يبكت المؤمنين على الخطايا التي تصدر منهم أحياناً، والذي أشار إليه بولس الرسول في قوله "لِذَلِكَ أَنَا أَيْضاً أُدْرَبُ نَفْسِي لِيَكُونَ لِي دَائِماً ضَمِيرٌ بِلَا عَثْرَةٍ مِنْ نَحْوِ اللَّهِ وَالنَّاسِ" (أعمال ٢٤: ١٦)، بل يراد به الضمير المتحرر من الشعور بذنب الخطايا وجرمها أمام الله، بفضل موت المسيح وقيامته (الذين يشير إليهما النزول في المعمودية والصعود منها) وهذا الضمير هو الذي أشار إليه بولس الرسول في قوله "وَالِإِلَّا، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدِّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنْ الْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لَا يَكُونُ لَهُمْ أَيْضاً ضَمِيرٌ خَطَايَا" (عبرانيين ١٠: ٢) أو بالحري لا يكون لديهم أي شك بينهم وبين أنفسهم من جهة غفران خطاياهم على أساس الكفارة التي كانوا يقدمونها، مع أنها لم تكن كما نعلم إلا كفارة رمزية<sup>٢٤</sup>. غير أن المؤمنين الحقيقيين، وإن لم يكن لهم ضمير خطايا، لكنهم يتألمون في نفوسهم لأقل

---

<sup>٢٤</sup>: وإذا كان ذلك كذلك، فأي راحة يجب أن تكون لنا في ضماننا نحن الذين نعتمد ليس على ذبائح حيوانية، بل على ذبيحة المسيح نفسها، هذه الذبيحة التي وفّت جميع مطالب عدالة الله إلى الأبد.

هفوة تصدر منهم ويجتهدون كل حين أن يكونوا بلا لوم في سلوكهم، كما أنهم بلا لوم في مقامهم أمام الله في المسيح.

(د) مما تقدم يتضح لنا أنه ليست هناك آية واحدة في الكتاب المقدس تدل على أن الغرض من المعمودية هو الحصول على الخلاص أو الغفران ٢٥ فإذا أضفنا إلى ذلك (أولاً) أن مؤمني العهد القديم واللص الذي آمن بالمسيح على الصليب وكثيرين أيضاً من الشهداء المسيحيين، دخلوا السماء جميعاً دون أن يعتمدوا ٢٦ (ثانياً) أن القول بأن المعمودية تغفر الخطايا، يحول السبيل إلى الغفران من عمل باطني بالإيمان الحقيقي، إلى

<sup>٢٥</sup>: إننا لا ننكر أن بعض المسيحيين القدماء كانوا يقولون أن المعمودية واسطة للحصول على الغفران. ولكننا لسنا تحت التزام أن نعتقد بما كانوا يعتقدون، لأننا لا نبي إيماننا على أقوال البشر، بل على كلمة الله وحدها. إذ أن البشر مهمما كانت تفواهم ليسوا معصومين من الخطأ سواء في السلوك أم في التعليم. وعلى كل، فالاعتقاد بأن المعمودية واسطة لغفران الخطايا لم يظهر إلا في النصف الأخير من القرن الرابع، لأن نص هذا الاعتقاد لم يضم إلى القانون المسمى "قانون الإيمان" إلا بواسطة مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م. وفي هذا الوقت (كما نعلم من تاريخ الكنيسة) كان قد اختفى عند الكثيرين التعليم الكنائي بأن الغفران هو بالإيمان الحقيقي بالمسيح، وحل محله أن هذا الغفران يكون بالصوم والصلاة أو بالصدقة وشفاعة القديسين، أو بالاعتراف لرجال الدين والتناول من العشاء الرباني، الأمر الذي يدل على أن كل فريق من المسيحيين كان يسير وقتئذ وراء آراءه الشخصية وليس وراء كلمة الله.

<sup>٢٦</sup>: أما القول (إن مؤمني العهد القديم دخلوا السماء لأن المسيح كرز لهم في الهاوية بعد صلبه)، فضلاً عن أنه لا نصيب له من الصواب كما يتضح من الفصل الرابع فهو شهادة من أصحابه على أن قبول الكرازة وليس ممارسة المعمودية، هو السبيل للتمتع بالله في سماءه. كما أن القول (بأن اللص خلص لأنه بموته على الصليب قد اعتمد بمعمودية الدم، وهذه المعمودية تحل محله معمودية الماء)، هو تأليف بشري لتبرير الاعتقاد بأن الخلاص يكون بالمعمودية، إذ أن الكتاب المقدس يعلن لنا أن اللص المذكور قد خلص لشعوره بخطيئته واعترافه باستحقاقه للموت بسببها، وإيمانه بعد ذلك بالمسيح إيماناً حقيقياً. وهكذا الحال من جهة الشهداء القديسين (الذين لم يعتمدوا)، فهم خلصوا ليس لأنهم سفكوا دماهم من أجل المسيح، بل لأنهم آمنوا بالمسيح الذي سفك دمه لأجلهم.

عمل سطحي لا يؤثر على القلب إطلاقاً، لا يبقى أمامنا مجال للشك في أن المعمودية هي فقط لإشهار الإيمان كما ذكرنا.

### ثانياً – الاراء الطائفية، والرد عليها

١- [إن الرسول بعدما قال للسجان "أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخَلَّصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" عمده بالماء (أعمال ١٦ : ٣١ - ٣٥) - وهذا دليل على أن إيمانه لم يكن إلا الخطوة التمهيديّة لخلاصه، وأن خلاصه لم يكن يتم إلا بالمعمودية. ومما يثبت ذلك أن الفعل "فتخلص" ورد في الأصل اليوناني في صيغة الاستقبال].

الرد: (أ) إن أساس الخلاف بين القائلين أن الخلاص هو بالإيمان، وبين القائلين إنه بالإيمان والمعمودية معاً، يرجع إلى اختلافهم من جهة مفهوم الإيمان. فالفريق الثاني يعتقد أن كل من يعترف بالمسيح يكون مؤمناً، أما الفريق الأول فيعتقد أن الاعتراف بالمسيح لا يجعل الإنسان مؤمناً به، إن لم يكن لهذا الاعتراف أثر واضح في قلبه، وذلك بناء على قول الرسول "لأنك إن اعترفتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَأَمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللَّهَ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ خَلَّصْتَ" (رومية ١٠ : ٩). ومن ثم فالمؤمن (أو بالحري المؤمن الحقيقي) الذي له التمتع بخلاص الله (في نظر هذا الفريق) هو الذي ولدت نفسه من الله ولادة روحية حصل بها على الروح القدس وأصبح شريكاً لله في طبيعته الأدبية، وذلك بناء على ما جاء في (يوحنا ١ : ١٢، ١ بطرس ١ : ٣، ٢ بطرس ١ : ٣-٤)، ومن ثم

فإن من لا يختبر هذا الاختبار الروحي لا يكون مؤمناً بالمسيح (حتى إذا اعترف به علناً، وحفظ الكثير من أقواله، ووعظ الناس عنه، وعمل أيضاً الكثير من الأعمال الصالحة ويكون مثله أمام الله مثل الوثني تماماً، وإن أردنا أن نميزه في نظر المجتمع عن الوثني، لا نستطيع أن نقول أكثر من أن إيمانه بالمسيح هو إيمان ميت أو إيمان اسمي فحسب، وإيمان مثل هذا لا يخلص صاحبه على الإطلاق<sup>٢٧</sup>.

(ب) فقول بولس الرسول للسجان "أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" يراد به أنه إذا آمن (إيماناً حقيقياً) يخلص أمام الله من دينونة الخطيئة، ويكون سبباً لخلاص أهل بيته أيضاً منها. ومن ثم لا يبقى عليه بعد إلا أن يعتمد وأن يعتمدوا هم معه كذلك، لأن العماد هو إشهار الإيمان أو بالحري هو الاعتراف بالموت مع المسيح والقيامه معه والتطهر بدمه كما ذكرنا فيما سلف.

(ج) أما قوله "فتخلص" أو ستخلص" فلا يراد به أنه سيخلص عند المعمودية أو بعدها، بل أنه سيخلص إذا آمن، لأنه لم يكن قد آمن بعد عندما قال له الرسول العبارة التي نحن بصدددها. ومما يثبت أن الخلاص يتم بمجرد الإيمان أن الأفعال الخاصة به ترد في صيغة الماضي أو الحاضر، فقد قال بولس الرسول "إِنْ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَأَمَنْتَ بِقَلْبِكَ. خَلِّصَتْ" (رومية ١٠ : ٧) كما قال "وَنَحْنُ أَمَوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَاْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، وَأَقَامْنَا مَعَهُ، وَأَجَلَسْنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أفسس ٢ : ٥

---

<sup>٢٧</sup>: مما تجدر الإشارة إليه في هذه المناسبة أن الناس في بعض البلاد المسيحية يفرقون بين المؤمن الحقيقي وبين المؤمن بالاسم بكل سهولة، فإذا قابلت شخصاً من عائلة مسيحية، يواظب على الذهاب إلى الكنيسة دون أن يكون مولوداً من الله وسألته: "هل أنت مسيحي؟" أو "هل أنت مؤمن؟" يجيبك على الفور "لا!" أو "أتمنى!".

١٠ - وقال يوحنا الرسول "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ قَدْ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (١ يوحنا ١٤ : ١٤) و "أَنَّ اللَّهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَةً، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ" (١ يوحنا ٥ : ١١ - ١٣) وقال المسيح من قبل "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ (أَي لهُ الْآنَ) حَيَاةً أَبَدِيَةً وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يوحنا ٥ : ٢٤)

(و) ولكي لا ندع مجالاً للشك أمام أحد القراء من جهة استعمال الفعل "تخلص" في صيغة الاستقبال في اللغة اليونانية نقول: إن استعمال فعل المستقبل هنا هو من ضروريات قواعد هذه اللغة. فليس من الجائر لغوياً أن يقال (آمن بالرب يسوع المسيح، خلصت، أو تخلص بصيغة المضارع) ولنا في الكتاب المقدس أكثر من دليل على هذه الحقيقة. ففي الآيات "«أَسْأَلُوا تُعْطُوا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. افْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحْ لَهُ" (متى ٧ : ٧-٨) ترد أفعال جواب الأمر في الأصل اليوناني في صيغة الاستقبال، مع أن الله يستجيب صلاة المؤمنين في التو والحال. فقد قال "وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بَعْدَ أَنَا أَسْمَعُ" (إشعياء ٦٥ : ٢٤)

٢ - [لا يمكن أن تكون المعمودية علامة ظاهرية، لأن مخلصنا لا تهمه العلامات الظاهرية، بل تهمه القلوب وما يحدث فيها من تغيير نتيجة لفعالية الروح القدس الذي يستدعي بالصلاة. فيحل في ماء المعمودية ويكسبه القدرة الخالقة على ولادة الإنسان الذي ينزل فيه، بطريقة غير منظورة من فوق من غير نطفة، كما ولد ناسوت المسيح تماماً. كما يسكن الروح القدس في هذا الإنسان ويأخذ مما للمسيح ويعطيه - ومن ثم فالمعمودية تعطيه أيضاً استنارة روحية وتلقنه الإيمان بالروح القدس].

الرد: إننا نوافق كل الموافقة على أن الله لا تهمه المظاهر الخارجية بل تهمه القلوب وما يحدث فيها من تغيير نتيجة لفعالية الروح القدس فيها. ولكن نرجو أن نضع قبالتنا أن المسيحي الحقيقي لا يبني عقيدته الدينية على ما يسمعه من الناس أو يقرأه عنهم (لأن الناس مهما كان شأنهم ليسوا معصومين من الخطأ في التعليم أو السلوك)، كما أنه لا يبنينا على ما يراه صواباً بينه وبين نفسه (لأننا لسنا كاملين في ذاتنا، ومن ثم قد ينحرف تفكيرنا عن جادة الصواب دون أن ندري)، بل يبني عقيدته الدينية على كلمة الله وحدها. إذ فضلاً عن أن هذا المسيحي مولود من الله، والمولود من الله يعتمد على كلمة الله و يحبها مثل اعتماده على الله ومحبه له تماماً، فإن هذه الكلمة لا تزول وإن زالت السماء والأرض وكل ما فيهما، كما أنها هي الأساس الوحيد الذي يعاملنا الله على مقتضاه. ولذلك ففي ضوء كلمة الله وحدها نقول:

(أ) حقاً إن الله يستجيب الصلاة التي يرفعها إليه المؤمنون الحقيقيون، لكن على شرط أن تكون متفقة مع مشيئته (١ يوحنا ٥: ١٤)، ولذلك طالما أنه لم يأمرنا أن نصلي لأجل حلول الروح القدس في ماء المعمودية لكي يخلص من ينزل فيها ويولد ولادة روحية، تكون الصلاة لهذا الغرض مرفوضة رفضاً تاماً. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الروح القدس لا يستخدم كلمته لهذا الغرض، اتضح لنا أن هذا الرأي ليس بصواب.

(ب) فضلاً عما تقدم، فإن الروح القدس (كما نعلم ليس غازاً من الغازات التي يمكن أن تحل في الماء وتكسبه خاصية ليست من خصائصه الأصلية. ولو فرضنا جداً أنه يحل فيه ويكسبه خاصية ما، فإن هذه الخاصية تجعل الماء يؤثر على جسد الإنسان الذي ينزل فيه دون نفسه، إذ أن النفس لا تتأثر متأثراً روحياً إلا إذا التحت إلى الله



وخضعت له وقبلت كلمته وروحه في داخلها. وإذا كان ذلك كذلك، فالقول (إن الروح القدس بحلوله في ماء المعمودية يكسبه خاصية الخلق الروحي) هو قول شخص ترك الحقائق الروحية والعلمية والعقلية. ثم حلق في جو الخيال لإثبات عقيدة دينية لديه. (ج) كما أن الرأي الذي نحن بصدده لا يصدر بكل أسف إلا من شخص مال بتفكيره نحو الجسدانية، أو من شخص لم يختبر بعد ما هي الولادة الروحية من الله، لأن هذه الولادة لا يترتب عليها تكوين جسد مادي في من يولد بها، حتى يقول سيادته أنها تتم بدون نطفة مثل ناسوت المسيح. إذ أن كل ما يترتب على الولادة المذكورة أنها تم من يولد بها بطبيعة روحية أو بالحرى بميول واتجاهات روحية تتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية كما يدهشنا أنه وهو شخص يعيش كل حياته بين الطقوس والعلامات الدينية الخارجية يتنكر للقول [إن المعمودية علامة خارجية للدلالة على الموت مع المسيح والقيامة معه] مجرد إثبات العقيدة الدينية التي يعتنقها. ولكن لو رجع إلى الكتاب المقدس، لوجد أن هذا القول هو الذي يعبر عن الآية "لأنه أن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته (في المعمودية) نصير أيضا بقيامته" (رومية ٦ : ٥) فالمعمودية إذا هي علامة، لكن ليس مجرد علامة (لأن الله لا يعطي علامة لكي تكون مجرد علامة)، بل علامة لها معناها الروحي الذي يؤثر فينا طوال وجودنا على الأرض<sup>٢٨</sup> ومن ناحية أخرى فإننا مهما بحثنا في الكتاب المقدس لا نعرش على آية تثبت أن من ينزل في

<sup>٢٨</sup> كما أننا إذا تطلعنا إلى الكتاب المقدس نرى أنه أشار إلى علامات خارجية تدل على معان روحية فمثلاً: رفع الأيدي أثناء الصلاة (١ تيموثاوس ٢ : ٨) علامة لرفع القلب إلى الله. والسجود أمامه (يوحنا ٤ : ٢١) علامة لسكب القلب بالحب والولاء له، فهل نطل استعمال هاتين العلامتين لأنهما مجرد علامتين، أم ندعي أنهما حقيقتان روحيتان لا تستجاب الصلاة إلا بواسطتهما، كما يقول الأرثوذكس والكاثوليك من جهة المعمودية إنه لا خلاص بدونها؟!

المعمودية يخلص ويولد من الله ولادة روحية، الأمر الذي يدل على أن العماد هو علامة للموت مع المسيح والقيامة معه كما ذكرنا.

(د) أخيراً نقول إنه يؤلمنا أشد الألم أن الشخص المذكور في سبيل محاولته إثبات عقيدته الخاصة، يتجاهل الواقع تماماً. فأى شرير نزل في المعمودية وخرج منها قديساً؟! وأي جاهل نزل فيها وأصبح حكيماً؟! وأي شخص غير مؤمن نزل فيها وخرج منها مؤمناً؟! وأي شخص بعيد عن الله نزل فيها وخرج منها ملتصقاً به؟! ولكن الذي يغير حياة الناس وسلوكهم هو التوبة الصادقة عن الخطية، والإيمان الحقيقي بالمسيح، أو بالحري قبوله في النفس رباً وفادياً. وقد شهد بهذه الحقيقة القديسون القدماء، كما ذكرنا فيما سلف.

أما لو سلّمنا جدلاً بأن المعمودية تقوم بهذا التغيير، لكان عملها أقرب إلى السحر منه إلى عمل الله، وكانت المسيحية ديانة ميكانيكية لا روحية، وشكلية لا حقيقية، وهذا ما لا يوافقنا عليه شخص فيه روح الله، أو حتى شخص لديه ذرة من التفكير السليم، وإذا كان الأمر كذلك، وكانت فكرة التغطيس في ماء مقدس أو أنهار مقدسة (لغسل الذنوب والتطهير والتقديس، أو للتجديد وكسب مناعة وحصانة خاصة) ليست أصلية في المسيحية بل هي من صميم العقائد اليهودية والوثنية، اتضح لنا أنه إذا لم يكن الرأي الذي نحن بصددنا ناشئاً عن اعتبار الولادة من الله هي المعمودية بسبب عدم التمييز بينهما، فإنه يكون بكل أسف قد نقل إلى بعض المسيحيين في القرون الأولى بواسطة اليهود والوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية وقتئذ، ثم امتزج لديهم بالعقيديتين المسيحيتين الخاصتين بالمعمودية والولادة من الله.

٣. [إن الحكم صدر علينا بالموت بسبب خطايانا، ولذلك لا بد أن نموت. لكن المسيح في رحمته الغنية مات عوضاً عنا، من ثم فإلخلاق بدأ بالموت ويصل إلينا بواسطة موتنا مع المسيح وقيامتنا معه. فقد قال الرسول عن المسيح "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهها بموته" وقد وضع المسيح المعمودية في كنيسته الطريق البديل الذي يتم به قضاء الله علينا بالموت فنشترك مع المسيح فعلاً في موته كما حكم الله، وذلك بطريقة جوهرية باطنية في المعمودية، ونحن مستترون في استحقاقات المسيح. فقد قال الرسول "أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلٌّ مِّنْ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِهِ فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ" (رومية ٦: ٣-٤)، وموتنا مع المسيح هو الذي يجعلنا نشترك في قيامته، فقد قال الرسول "لأنه أن كنا قد صرنا متّجدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته" (رومية ٦: ٥) ومن ثم نقوم في جدة الحياة لابسين بره.

ومن الواجب أن نشترك مع المسيح في موته حتى نكون مستحقين لموته، إذ لا يجوز أن نترك المسيح يموت وحده عنا، دون أن نشترك معه في موته، أو على الأقل بشبه موته، فالمعمودية إذا لازمة للإلخلاق لأنها شركة في موت المسيح الذي به لنا الحياة. ولذلك فالذين يقولون أن الإلخلاق يتم بالإيمان وحده لم يفهموا بعد ما هو الإيمان. لأن الإيمان هو أن نؤمن أن الخطية أجزتها الموت، ونؤمن أن المسيح قد مات عوضاً عنا، ونؤمن أنه يجب أن نموت معه لكي نحيا أيضاً معه].

الرد:

(أ) حقاً إن الإلخلاق من دينونة الخطية بدأ بموت المسيح، ولكنه لم يبدأ لكي نكملة نحن، بل إن المسيح قد أكمله، وذلك بقيامته من بين الأموات فقد قال الرسول عنه إنه "أسلم"

مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأَقِيمَ لِأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رومية ٤ : ٢٥) وبما أن الخلاص قد أكمل، لذلك لا يتطلب الأمر منا إلا أن نقبله هبة مجانية من إلهنا الطيب، وذلك بالإيمان الحقيقي بالمسيح (رومية ٦ : ٢٣، يوحنا ٣ : ١٦) والشكر العميق له (كولوسي ١ : ١٨) فهو تبارك اسمه أعد الوليمة حسب كرمه الذي لا حد له، ومن ثم فليس على المدعويين إلا أن يأتوا إليه شاكرين لكي يتمتعوا بها أو بالحري لكي يتمتعوا به فيها (متى ٢٢ : ١-٢٠) ومن ثم فالقول [إن الخلاص بدأ بالموت ويصل إلينا بموتنا مع المسيح وقيامتنا معه] لا نصيب له من الصواب. إلا إذا كان الغرض منه الإعلان بأننا بالإيمان الحقيقي بالمسيح اعتبرنا أننا متنا معه شرعاً وقمنا بعد ذلك معه بحياة جديدة. وإذا كان ذلك كذلك فالقول [إننا بالمعمودية نشترك مع المسيح فعلاً في موته كما حكم الله بطريقة جوهرية باطنية] صوابه [إننا بالمعمودية نعلن أننا متنا شرعاً مع المسيح، ومن ثم عبرت عنا الدينونة إلى الأبد]، لأننا لا نموت في المعمودية فعلياً بل شكلياً فقط.

(ب) كما أن العبارة [إن المسيح وضع في كنيسته الطريق البديل الذي يتم به قضاء الله علينا بالموت]<sup>٢٩</sup> ليست بصواب لأن البديل الذي تم فيه قضاء الله علينا هو ربنا يسوع المسيح نفسه، وبتخاذنا إياه نائباً عنا بالإيمان الحقيقي نجو من هذا القضاء ونجسو إلى الأبد (إشعيا ٥٣ : ٤-٦، يوحنا ٣ : ١٦)، ومن ثم فالقول الذي نحن بصددده ليس

<sup>٢٩</sup> - مما تجدر الإشارة إليه أن هذا القول يشبه قولهم عن العشاء الرباني (إن المسيح ضحي بجسده ودمه بطريقة سرية في الخبز والخمر اللذين أعطاهما لتلاميذه قبل صلبه، حتى أن كل من يتناول منهما تكون قد حلت عليه الدينونة التي يستحقها بسبب خطاياها، وبذلك تغفر له)، ونظراً لأننا تحدثنا عن هذا الموضوع بإسهاب في كتاب العشاء الرباني، لا نجد داعياً لإعادة ما كتبناه الآن عنه.

بصواب. فضلاً عن ذلك فإننا إذا وضعنا أماننا أن أجره الخطية هي عذاب أبدي (متى ٥ : ٥٢) اتضح لنا أننا إذا أسلمنا أجسادنا لحريق النار لا نكون مستحقين للتمتع بخلص الله (لأن الاحتراق بالنار الأرضية لا يوازي العذاب في جهنم إلى الأبد)، أو بالحري لا نكون مستحقين أن يموت المسيح نيابة عنا، ولكنه تبارك اسمه قام بهذا العمل تفضلاً منه علينا وإحساناً منه إلينا (هوشع ١٤ : ٤) ولذلك قال الرسول لنا "لأنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلِّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتُخِرُ أَحَدٌ" (أفسس ٢ : ٨) ومن ثم فالقول [يجب أن نموت، بمعنى: نغطس في ماء المعمودية، أو نموت عن الخطية لكي نكون مستحقين لموت المسيح] ليس بصواب أيضاً. لأننا مهما عملنا من بر فنحن عبيد بطالون (لوقا ٧ : ١٠)

(ج) أما العبارة [لا يجوز أن نترك المسيح يموت وحده عوضاً عنا دون أن نشترك معه في موته، أو على الأقل بشبه موته] فيستميل قائلها في الفقرة الأولى عواطف سامعيه إلى جانبه ليعتقدوا بما يعتقد من جهة المعمودية. أما في الفقرة الثانية فيعلن عدم إمامه بالموضوع الذي يتحدث عنه، لأنه إذا كان من الواجب أن نشترك مع المسيح في موته، لا يكفي مطلقاً أن نتشبه بموته.

ولكن الحق الإلهي الواضح ليس أنه [لا يجوز أن نترك المسيح يموت وحده]، بل [يجب ألا نتركه يموت وحده]، ولكن ما هو هذا الموت؟ هو (طبعاً) الموت عن الخطية. فقد قال بطرس الرسول "نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَحَيًّا لِلْبِرِّ" (١ بطرس ٢ : ٢٤)، وقال بولس الرسول "احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ أَحْيَاءَ لِلَّهِ" (رومية ٦ : ١١) وقال

أيضاً "فَأَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمْ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ: الرِّئَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعُ" (كولوسي ٣ : ٥).

إنما المسيح لا يريد مطلقاً أن يموت معه كما مات. فقد قال للجنود الذين أقبلوا للقبض عليه إنهم إذا كانوا يريدونه، فعليهم أن يتركوا تلاميذه يمضون في سبيلهم. فهو تبارك اسمه قدم نفسه كفارة عنا بمفرده (لأن في عمله هذا كل الكفاية لخلاصنا إلى الأبد) ولكن في قيامته أشركنا في كل نتائج كفارته، وهي التمتع بكل بركة روحية في السماويات (أفسس ١ : ٣)، وهذا ما يفعله كل أب بار بأولاده، فإنه يتحمل التضحية وحده، ولكن في المكسب يشركهم معه، وقد أعطانا المسيح المعمودية وسيلة إيضاح ملموسة لنضع هذا الحق الثمين أمام قلوبنا حتى نحفظ أنفسنا أمواتاً عن الخطية وأحياء له وحده.

(د) والعبارة [فنشترك مع المسيح فعلاً في موته.. ونحن مستترون في استحقاقات المسيح] لا تتوافق الفقرة الأخيرة منها مع الفقرة الأولى، أما إذا قلنا [إننا نمثل أمام الله بلا خجل أو لوم.. ونحن مستترون في استحقاقات المسيح] لاستقام المعنى، لأننا نحن الذين اعتمدنا باسم المسيح قد لبسنا المسيح (غلاطية ٣ : ٢٧)، والمسيح لا عيب فيه على الإطلاق. كما أن قول الرسول [لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهها بموته] ليس خاصاً بالخلاص من دينونة الخطية، إنما خاص بالسلوك في الحياة اليومية بعد التمتع بهذا الخلاص. فالرسول بعدما خلص بنعمة الله، أحس بجلال المسيح الذي لا حد له، ومن ثم تآقت نفسه إلى التعرف به واختبار قوة قيامته في حياته هو، لكي يسمو فوق التجارب والضيقات ويستطيع أن يشترك معه في تحمل الآلام لأجل

خلاص الخطاة حتى النهاية، الأمر الذي لا يتوق إليه إلا كل عظيم في الإيمان، لكن الخاطيء الذي يريد الخلاص، فليس عليه إلا أن يتوب عن خطاياها وأن يقبل في نفسه المسيح رباً وفادياً، فيتمتع للتو بالخلاص الذي يريده كما ذكرنا.

(٥) أن التبرير أمام الله لا يكون بالعماد بل بالإيمان الحقيقي بالمسيح، فقد قال الرسول "مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ (أي بنعمة الله) بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، (رومية ٣: ٢٤-٢٨)، كما قال "وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ" (رومية ٣: ٢١-٢٢)، وقال "لَكِنْ اغْتَسَلْتُمْ بَلَّ تَقَدَّسْتُمْ بَلَّ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ" (١ كورنثوس ٦: ١١) وقال "لَأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبَرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ" (رومية ١٠: ٤)، وقال أن "بِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ" (أعمال ١٣: ٣٩)

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا التبرير كامل في ذاته كل الكمال، ولا يحتاج إلى عمل من جانبنا لكي يكون أكثر كمالاً، لأن الذي عمله لنا هو الله نفسه. ونظراً لأن هذا البر هو هبة مجانية لنا، يمكن أن يدعى البر الاكتسابي. وذلك تمييزاً له عن البر العملي الذي يجب أن نقوم به بتأثير الروح القدس في نفوسنا. والذي أشار إليه الرسول بالقول "لَأَنَّ ثَمَرَ الرُّوحِ هُوَ فِي كُلِّ صَلَاحٍ وَبِرٍّ وَحَقٍّ" (أفسس ٥: ٩) ولكن أساس قبولنا أمام الله ليس البر العملي بل البر الاكتسابي، لأن هذا البر هو الذي خلعه الله علينا في المسيح، أما البر العملي فالله يعطينا عنه جزاءً خاصاً بجانب القبول الأبدي لنا في المسيح، كما يتضح من (١ كورنثوس ٣: ١٤).

أخيراً نقول أن إسناد صاحب هذا الرأي المعرفة إلى نفسه والجهل إلى الذين يعتمدون على كلمة الله وحدها، لا يضيرنا بشيء، بل يدعونا إلى الصلاة بلجاجة لأجله لكي يتقابل مع الرب أو يتقابل الرب معه، وحينئذ يعرف الحق، والحق يحورره من ذاته ومن آرائه الدينية الخاصة.

٤. [المعمودية تدفن الإنسان العتيق وتعتق المعتمد من الخطية ومن سلطان إبليس، وتخت روحه وتمنحه طبيعة جديدة غير طبيعته الأولى التي تنزع منه في المعمودية، كما تلبسه الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه وتجعله أهلاً للحصول على استحقاقات دم المسيح، وبذلك تغفر له كل خطاياہ الأصلية والفعلية التي عملها لغاية المعمودية، بحيث يصير بعد خروجه منها معتقاً وطاهراً من جميع خطاياہ ومحوراً من القصاص الذي كان يستحقه في الحياة الأخرى، ولذلك فليس الإيمان هو الذي يخلص، بل المعمودية هي التي تخلص].

(أ) المعمودية لا تدفن الإنسان العتيق، ولا تعتق المعتمد من الخطية ولا تختن (أو بالحري لا تنتزع) روحه (منها)، كما أنها لا تمنحه طبيعة جديدة غير طبيعته الأولى، ولا تلبسه الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه، لأن المعمودية ليس لها في ذاتها تأثير على نفس من ينزل فيها.

(ب) كما أن المعمودية ليست هي التي تغفر للمعتمد خطاياہ، أو تحرره من القصاص الذي يستحقه عنها في الأبدية، أو تجعله أهلاً للحصول على استحقاقات دم المسيح، لأنه ليس لها أن تفي مطالب عدالة الله كما ذكرنا. ولكن الغفران والعتق من الخطية، يكونان بالتوبة والإيمان الحقيقي كما ذكرنا فيما سلف. إذ أننا بالتوبة نعلن كراهيتنا



للخطية ورغبنا في السير مع الله، وبالإيمان الحقيقي نعلن أن الله هو الذي خلصنا بمجرد نعمته علينا (أفسس ٢: ٨)، كما نهيء قلوبنا لسكنى الروح القدس فينا الذي يلدنا من الله ولادة ثانية (يوحنا ١: ١٢، أفسس ١: ١٣) نعتق بها من الخطية أمامه.

وقد شهد بهذه الحقيقة رجال الدين القدماء فقال بروصنيوفوس عن المؤمن "وحيثما تنفتح عيننا قلبه وينظر النور الحقاني ويفهم أن يقول: إني بالنعمة تخلصت بالرب يسوع المسيح" (بستان الرهبان ص ١٨١) وقال ذهبي الفم "لاشك إذاً فالخلاص يكون بالإيمان وليس بالأعمال" وقال أوغسطينوس "بدون نعمة المسيح لا يمكن لصغير أو كبير أن يخلص. وهذه النعمة لا تعطى مقابل أي شيء صالح وإنما هي هبة مجانية، لهذا فهي تسمى نعمة: متبررين مجاناً بنعمته" (كتاب الخلاص للقمص زكريا بطرس).

(ج) فضلاً عن ذلك لو كانت المعمودية هي التي تغفر الخطايا وتحرر الإنسان من قصاصها وتجعله مقبولاً أمام الله إلى الأبد، لكان من الأفضل لكل المسيحيين أن يؤجلوا عمادهم إلى أواخر حياتهم على الأرض حتى يضمنوا التمتع بهذه البركات، وهذا لا يتفق مع الوحي أو العقل على الإطلاق.

أما الحقيقة التي أعلنها الوحي من جهة دفن الإنسان العتيق والعتق من الخطية وليس الإنسان الجديد والتحرر من القصاص الأبدي، فهناك بيانهما:

(أ) إننا وإن كنا لم نشترك مع المسيح في صلبه فعلاً، لكن بسبب اتخاذنا إياه نائباً عنا بالإيمان الحقيقي بشخصه (كما طلب الله منا)، يعتبر الصلب الذي وقع على المسيح

فعلاً أنه وقع شرعاً علينا، أو بالحري على الإنسان العتيق أو الجسد أو الخطية الساكنة فينا، ومن ثم لا ندان بعد بسبب خطايانا.

فقد قال الرسول "عَالَمِينَ هَذَا: أَنْ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُطَلَّ جَسَدُ الْخَطِيئَةِ" من أمام الله (رومية ٦ : ٦) كما قال "وَبِهِ (أي المسيح) أَيْضاً خُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا الْبَشَرِيَّةِ، بِخِتَانِ الْمَسِيحِ" (كولوسي ٢ : ١٢)، أي أن طبيعتنا العتيقة قد قطعت (أو خلعت) شرعاً من أمام الله ولم يعد لها وجود أمامه في صليب المسيح. وقال "إِذْ خَلَعْتُمْ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَلَبِسْتُمْ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ" (كولوسي ٣ : ٩-١٠)، وقال أن الله "أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيئَةِ وَأَجَلَ الْخَطِيئَةِ ذَانَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَسَدِ" (رومية ٨ : ٣)، أي قضى عليها هاتياً بالموت ونجاناً منها ومن قصاصها.

(ب) فبقاء الإنسان العتيق (أو الجسد أو الخطية الساكنة فينا) بعد الإيمان الحقيقي بالمسيح لا يجعلنا في مقام خطاة ولا يسلبنا مقامنا كأشخاص مخلصين أمام الله، لأنه تعالى نزع هذا الإنسان من أمامه بموت المسيح الكفاري نيابة عنا، ولا يعود ينظر إليه كأنه فينا، ولذلك يطلب منا أن نحسب أنفسنا أيضاً أمواتاً عنه. فقال الرسول: "كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيئَةِ وَلَكِنْ أَحْيَاءٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا" (رومية ٦ : ١١)، "أَيُّ أَنْ اللَّهُ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (٢ كورنثوس ٥ : ١٩).

(ج) فمسألة الخطية ليست بين الله وبيننا بل إنما بين الله وبين المسيح، والمسيح حقق مطالب عدالة الله بل وأكثر من مطالبه، ولا غرابة في ذلك فهذه العدالة كانت تطلب

طرح جميع الأشرار في جهنم، وطرحهم في جهنم لا يعيد إلى الله حقوقه المسلوقة تماماً [إذ يكون (إن جاز التشبيه) مثل ثري سُرِقَتْ كُلُّ ثروته، وبالقبض على السارق لم يوجد معه شيء من هذه الثروة. فعوقب بالطرح في السجن، ولكنه لم يرد الثروة إلى صاحبها]، ولكن بتحمل المسيح دينونة الخطية عوضاً عنا مجدَّ الله وأكرمه، كما أتى بنا نحن الخطاة أبراراً مقدسين في شخصه، ومن ثم لنا أن نظمّن كل الاطمئنان ونستريح كل الراحة من جهة قبولنا الأبدى أمام الله في ربنا يسوع المسيح.

(د) فقبولنا الأبدى أمام الله في المسيح متوقف إذاً على عمل المسيح لأجلنا وليس على (أعمالنا لأجله) ومن ثم يجب أن نتخلص من المشغولية بطبيعتنا العتيقة وثمارها، كما نكف عن مجهوداتنا ومحاولاتنا البشرية التي نرمى بها إلى تحسين مركزنا أمام الله، وكان عمل المسيح ناقص يحتاج إلى تكملة منا. والحال أنه كامل وكامل حسب مقاييس الله، التي تفوق عقولنا ومداركنا. كما أن المسيح بعد ما أكمل الكفارة جلس عن يمين العظمة في الأعالى ليمثلنا أمام الله، أو بالحري لكي نكون نحن ممثلين في شخصه أمامه تعالى. فقد قال الرسول عن المسيح "وَأَمَّا هَذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الْأَيْدِ عَنِ يَمِينِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الْأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ" (عبرانيين ١٠: ١٢-١٤) ولذلك نكون بلا لوم أمام الله في المسيح.

(هـ) ومن ثم فمن الخطأ أن يظن البعض أن الله يطلب منا خلع الإنسان العتيق الذي فينا بالزهد والتقشف، لأن هذا الإنسان نزرعه الله من أمامه شرعاً في صليب المسيح. كما أنه لا سبيل إلى نزرعه فعلاً منا طالما نحن على الأرض لسبب ارتباطه بكياننا كل الارتباط أما ما يطلبه الله منا فهو أن نميت أعمال هذا الإنسان فقد قال الرسول "فَأَمِيتُوا

أعضاءكم الّتي على الأرض: الزّنا، النّجاسة، الهوى، الشّهوة الرّديّة، الطّمع الّذي هو عبادة الأوثان" (كولوسي ٣: ٥)، وهذه الإماتة ميسورة لكل من يعيش حسب مقامه في المسيح كشخص مقبول أمام الله وساكن فيه روحه القدس، لأن هذا الروح كفيفل بأن يعتقنا من ناموس الخطية والموت (رومية ٨: ٣)

(و) ولما كانت المعمودية هي مثال لموتنا مع المسيح وقيامتنا معه، أو بالحري مثال خلاصنا من الإنسان العتيق والجسد والخطية الساكنة فينا إلى الأبد، ووجودنا في حالة القبول الأبدي أمام الله في المسيح لذلك قال الرسول "مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه إيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات. وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا" (كولوسي ٢: ١٢-١٣) كما قال "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدُفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة. لأنه أن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطية، لأن الذي مات (أو بالحري اعتبر أنه مات) قد تبرأ من الخطية، فإن كنا قد متنا مع المسيح (شريعاً) نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه (فعالاً) (رومية ٦: ٣-٨) وقال "لأنّ كلّكم الّذين اعتدتم بالمسيح قد لستم بالمسيح. (أمام الله) لأنّكم جميعاً واحداً في المسيح يسوع" (غلاطية ٣: ٢٧)، أي أنكم جميعاً ظاهرون أمام الله في شخصه. وهذا هو الكمال الذي ليس بعده كمال.

(ز) وهذا المقام السامي الذي أصبح لنا في المسيح يضعنا تحت التزام أن نسلك بالقداسة في العالم الحاضر، فنخلع من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور (أفسس ٤ : ٢٢)، وأن نلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أفسس ٤ : ٢٤) "فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللَّهِ الْقَدِيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضَعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا" (كولوسي ٣ : ١٢)، وبالاختصار أن نلبس الرب يسوع المسيح ولا نصنع تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (رومية ١٣ : ١٣)، وذلك ليس طمعاً في خلاص لأن الخلاص قد تم بالمسيح إلى الأبد، ولا خوفاً من دينونة في العالم الآخر، لأن هذه قد حملها المسيح إلى الأبد أيضاً، بل إكراماً لله الذي أحبنا وأكرمنا ونحن لا نستحق محبة أو إكراماً.

(ح) أخيراً نقول: إن كنا بالولادة من الله نحصل على طبيعة روحية جديدة، وتنزع الطبيعة العتيقة عنا من أمامه شرعاً، لكن هذه الطبيعة تبقى في نفوسنا كما ذكرنا، وبقاؤها فينا لا يقلل من مسئوليتنا إزاء السقوط في الخطية، لأنه مطلوب منا أن نقاوم حتى الدم ضدها (عبرانيين ١٣) وأن نسلك بالروح لنلا نكمل شهوة الجسد (غلاطية ٥ : ١٦) وإن قصرنا في السلوك بالروح مرة وعملنا خطية ما، نجلب على أنفسنا تأديب الله في العالم الحاضر. فقد قال الرسول "لَأَنَّ الَّذِي يُحِبُّ الرَّبَّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلُّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ" (عبرانيين ١٢ : ٤-٦)

ولكن إن كان الله يؤدبنا في هذا العالم، فإنما لكي لا ندان في الأبدية. فقد قال الرسول "لَأَنَّ لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَّا حَكِمَ عَلَيْنَا وَلَكِنْ إِذْ قَدْ حَكِمَ عَلَيْنَا نُؤَدِّبُ مِنْ

الرَّبُّ لَكَي لَا نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ" (اكورنثوس ١١ : ٣٢ ، ٣٣)، لأن دينونة الخطية قد حملها المسيح عن المؤمنين الحقيقيين إلى الأبد.

٥. [كل من يموت دون أن يعتمد، لا يمكن أن يدخل الفردوس، حتى لو كان من الاتقياء أو من الأطفال الذين لم يبلغوا من العمر إلا يوماً واحداً، وكل من يقول بدخول الأطفال غير المعمدين إلى الفردوس، يهدم عمل الفداء الذي قام به مخلصاً].

الرد: ذكرنا فيما سلف أن الخلاص هو بكفارة المسيح وحدها، لأنها هي التي وفيت جميع مطالب العدل الإلهي من نحونا، ونحصل نحن على هذا الخلاص بشخصه بواسطة الإيمان الحقيقي. أما من جهة الأطفال فنقول:

(أ) أن المسؤولية، كما نعلم، لا تقع إلا على الذين يميزون بين الخير والشر. وبما أن الأطفال عامة لا يميزون بين هذا وذاك، لذلك لا تقع عليهم مسئولية شخصية أمام الله، وبالتبع لا يعتبرون مذنبين أمامه، حتى إذا كانوا قد عملوا بالغيرة ما ندعوه "خطية".

لكن من جهة اعتبارهم خطاة شرعاً أمام الله (مثل غيرهم من الناس) بسبب تناسلهم من آدم، فنقول: نظراً لعدم إدراك الأطفال ماهية الخير والشر، فإن الله لا يسمح بأن يضاروا بخطية آدم الأول، وألا يفيدوا من خلاص آدم الأخير الذي هو المسيح

(١ كورنثوس ١٥ : ٤٥) فقد قال الوحي "ولكن ليس كاخطية هكذا أيضاً الهبة (أي أن هبة الخلاص بالمسيح لا يمكن أن تقل في آثارها عن نتائج خطية آدم)، لأنه إن كان

بخطية واحد (الذي هو آدم الأول) مات الكثيرون، فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين" (رومية ٥ : ١٥ -

٢٠)، فإذا أضفنا إلى ذلك أن المسيح قال عن الأطفال أن "لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكَوتِ اللَّهِ"

(مرقس ١٠ : ٣-١٥) لا يبقى لدينا شك في أن الأطفال عامة لا يهلكون بفضل كفارة المسيح.

غير أنهم وإن كانوا لا يهلكون، إنما مكانتهم في الأبدية لا تكون (كما اعتقد) مثل مكانة المؤمنين الذين نما إيمانهم كثيراً وقدموا لله خدمات جلييلة، بل تكون مكانتهم مثل مكانة المؤمنين العاديين الذين يخلصون بالنعمة فقط دون مكافأة ما (١ كورنثوس ٣ : ٢٥)

(ب) أما الاعتراض [وأي خطأ ارتكبه الأطفال حتى يحرموا من المكافأة، ولم تكن لهم الفرصة للنمو في الإيمان والقيام بشيء من الأعمال الصالحة؟] فلا يجوز الأخذ به، لأننا لا نستطيع أن نتكهن بما كان سيفعله هؤلاء الأطفال، لو كانوا قد أصبحوا رجالاً، إذ ربما كانوا يرفضون خلاص الله، وتكون نهايتهم تبعاً لذلك العذاب الأبدي. ومن ثم فإن الرأي الذي ذكرناه صواب أو قريب من الصواب.

وإذا كان ذلك كذلك، فكل من يقول بدخول الأطفال الذين لم يعتمدوا إلى الفردوس، لا يهدم عمل الفداء الذي قام به المسيح (كما يقال)، بل يحفظ لهذا العمل مكانته وقدره أمام الناس، وفي الوقت نفسه يعظم نعمة الله الغنية التي امتدت وامتدت وامتدت حتى شملت جميع البؤساء والمساكين الذين لا يعرفون يمينهم من شياهم.

## ٢

## الغرض من العشاء الرباني

بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الغرض من ممارسة العشاء الرباني هو تذكّر الآلام المبرحة التي قاساها المسيح على الصليب في سبيل خلاصنا، حتى تظل قلوبنا في حالة التعلق به والسير في سبيله إلى آخر نسمة من حياتنا. فقد قال المسيح لتلاميذه عند تأسيس هذا العشاء "اصنعوا هذا لِدِكْرِي" (لوقا ٢٢ : ١٩) وقال بولس الرسول ببناء على إعلان شخصي تلقاه من الله "إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا أَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُّوا هَذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لِأَجْلِكُمْ. اصنعوا هذا لِدِكْرِي كَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا قَائِلًا: «هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي. اصنعوا هذا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِدِكْرِي" (١ كورنثوس ١١ : ٢٣-٢٥) أما الحجج القائلة بأن العشاء الرباني يفرغ الخطايا ويعطي حياة أبدية ففيما يلي نصها والرد عليه:

## أولاً: الآيات الكتابية، ومعناها الحقيقي:

١. قال المسيح لليهود "أنا هو الخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. أَنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ... إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يوحنا ٦ : ٥٠-٥٤)



المعنى: (أ) بما أن السبيل إلى الحياة الأبدية الذي لا يقبل تأويلاً ما، والذي يعلنه الوحي في كل سفر من أسفاره بكل وضوح وجلال، هو الإيمان الحقيقي بالمسيح. فقد قال "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦) وقال "أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيم في اليوم الأخير" (يوحنا ٦: ٤٠). وبما أنه لا يمكن أن يكون هناك سيلان مختلفان للحصول على الحياة الأبدية الواحدة: أحدهما بواسطة الإيمان الحقيقي بالمسيح، والثاني بواسطة الأكل من جسده والشرب من دمه بالفم. إذاً فالأكل من جسد المسيح والشرب من دمه الوارد في الآيات التي نحن يصدها، هو بعينه الإيمان الحقيقي بشخصه، إنما بأسلوب مجازي. وذلك للدلالة على وجوب قبول المسيح في النفس رباً ومخلصاً لإحيائها، مثل قبول الطعام في الجوف للإبقاء على حياة الجسد. ولا غرابة في ذلك على الإطلاق، فالاختبار العملي إلى جانب الآيتين اللتين ذكرناهما، يدل على أن الحياة الأبدية هي فقط بواسطة الإيمان الحقيقي، لأننا نرى كثيرين من الذين يواظبون على تناول من العشاء الرباني كل يوم أو كل أسبوع، يحيون حياة بعيدة عن الله كل البعد، الأمر الذي يدل على أنه لا نصيب لهم في الحياة الأبدية على الإطلاق. بينما نرى المؤمنين الحقيقيين في كل الطوائف المسيحية دون استثناء، يحيون حياة التقوى والقداسة، الأمر الذي يدل على أنهم من أتباع الله، وأن لهم حياة أبدية معه.

(ب) فضلاً عن ذلك، فإن المسيح لم يكن يتحدث قبل الآيات التي نحن يصدها عن العشاء الرباني بل عن الإيمان بشخصه، فقد قال قبلها "هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا

بَالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ "، كما قال "أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الابن وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ" (يوحنا ٦: ٢٩، ٤٠): فإذا أضفنا إلى ذلك:

(أولاً) أن المسيح نطق بهذه الآيات في أوائل خدمته بين الناس، بينما أقام العشاء الرباني قبيل صلبه بساعات، وليس من المعقول أنه كان يتحدث مع الناس في أوائل خدمته عن موضوع لم يكن قد أعلن لهم شيئاً عنه بعد: لكن من المعقول أنه كان يتحدث معهم وقتئذ عن وجوب الإيمان به، لأن هذا الموضوع هو الذي يتناسب مع أوائل خدمته بينهم (ثانياً) أن معظم الذين وجه المسيح إليهم هذه الآيات، كانوا غير مؤمنين أو مؤمنين بالاسم (يوحنا ٦: ١٣، ٤١-٤٢)، وأمثال هؤلاء لا يتحدث المسيح معهم عن العشاء الرباني بل عن الإيمان بشخصه، لأن ممارسة هذا العشاء خاصة بالمؤمنين الحقيقيين، إذ أن هؤلاء وحدهم هم الذين يقدرّون عظمة كفارة المسيح ويعرفون فوائدها المتعددة، اتضح لنا بكل جلاء أن الآيات المذكورة خاصة بطلب الإيمان بالمسيح، أو بالحري قبول شخصه رباً ومخلصاً في النفس لإحيائها، مثل قبول الطعام في الجوف للإبقاء على حياة الجسد كما ذكرنا.

(ج) كما أننا إذا وضعنا أماننا: (أولاً) أن المسيح ختم حديثه عن الأكل من جسده والشرب من دمه بالقول "وَلَكِنْ مِنْكُمْ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ"، وتحدث البشير عن هذه الآية فقال "لأنَّ يَسُوعَ مِنَ الْبَدءِ عِلِمَ مَنْ هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُهُ" (٦: ٦٤-٦٥)، وليس: لأن يسوع علم من البدء من هم الذين يقبلون الأكل من جسده والشرب من دمه، ومن هو الذي يرفض (ثانياً) أن المسيح عندما وجد تلاميذه ينصرفون من حوله تركهم وشأنهم، وتصرفه هذا لا يعلل إلا بأنهم رفضوا الإيمان به رباً

وفادياً لهم، إذ لو كان سبب انصرافهم عنه راجعاً إلى اعتقادهم أنه كان يطلب منهم الأكل من جسده والشرب من دمه بالمعنى الحرفي، لكان قد أعلن لهم أن ذلك سيكون تحت شكلي الخبز والخمر. (كما يقول المؤمنون بالاستحالة) حتى يظلوا معه ويفيدوا منه (ثالثاً) أن بطرس الرسول عندما قال للمسيح "يا رَبُّ إلى مَنْ نَذَهَبُ؟ كَلَامُ الْحَيَاةِ الأبدية عِنْدَكَ وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابنِ اللَّهِ الْحَيِّ" (٦ : ٦٩)، اكتفى المسيح بإجابته، بينما لو كان حديثه السابق عن الأكل من جسده والشرب من دمه يراد به المعنى الحرفي، لرفض إجابة بطرس، إذ تكون خارجة عن الموضوع بل وتكون قهراً من الاستجابة لما كان المسيح يطلبه منه ومن غيره وقتئذ، اتضح لنا بدليل ليس بعده دليل أن المسيح كان يقصد بالأكل من جسده والشرب من دمه وقتئذ، اتخاذه في النفس، رباً وفادياً كما ذكرنا.

(د) هذا وقد أدرك علماء المسيحيين في القرون الأولى أن حديث المسيح عن التغذية بجسده ودمه الوارد في (يوحنا ٦) يراد به المعنى المجازي أو بالحرّي الإيمان القلبي بشخصه. فمن المأثور عن يوسابيوس القيصري أنه قال في شرحه للآية "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة"، كأن المسيح يقول لتلاميذه: لا تظنوا أي أتكلم معكم عن الجسد الذي أنا حامله كأن هذا يجب أن يؤكل، ولا تظنوا إني أقدم لكم دمي الطبيعي لكي تشربوه. ولكن اعلموا أن الكلمات نفسها التي كلمتكم بها هي روح وحياة. حتى أن ذات كلامي هو لحم ودم، والذي يخصه لنفسه كأنه يقتات كما بطعام سماوي، ويكون شريكاً في الحياة السماوية" ومن المأثور عن أوغسطينوس أنه قال "إن حديث المسيح عن الأكل من جسده والشرب من دمه لا يجوز فهمه حرفياً لأن نعمته لا تقبل

بالأسنان" وعن أثناسيوس الرسولي أنه قال "إن تناول من جسد المسيح ودمه لا يكون إلا روحياً" أي أن هذا تناول لا يكون بالفم مع الاعتقاد في النفس بأن الخبز والخمر هما ذات جسد المسيح ودمه (كما يقول بعض المؤمنين بالاستحالة)، بل أن تناول المذكور يكون روحياً، أي باستقبال النفس (وليس الفم) له، (اقرأ: "نظام التعليم" ص ٤٤٥، وريحانة النفوس ص ٨٧، وشرح كلمة (Eucharist) في المراجع الإنجليزية العامة.

فضلاً عن ذلك فإن أحرار الفكر من رجال الدين عند الكاثوليك عرفوا "أن الأكل من جسد المسيح والشرب من دمه الوارد في (يوحنا ٦) خاص بالإيمان بالمسيح، فقد قال البرتينوس (مثلاً) في كتابه "D'Euchariste" أن اثنين من الباباوات، وأربعة من الكرادلة، وخمسة من الأساقفة، وبعض علماء اللاهوت الذين ظهروا لغاية العصر الذي عاش فيه، قد نادوا بأن حديث المسيح الوارد في (يوحنا ٦) خاص بالإيمان بشخصه.

٢. أن المسيح قال لتلاميذه عن خبز العشاء الرباني "خذوا كلوا منه كلكم، لأن هذا هو جسدي الذي يقسم عنكم وعن كثيرين، يعطى لمغفرة الخطايا. اصنعوا هذا لذكرى"، كما قال لهم عن الخمر "خذوا اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك عنكم وعن كثيرين يعطى لغفران الخطايا".

الرد (أ) إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن هذه العبارة غير صحيحة، فقد سجل لوقا البشير عن المسيح، أنه أخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطى تلاميذه، ثم قال لهم "هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبَدَلُ عَنْكُمْ. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي" (لوقا ٢٢: ١٩) وسجل متى أن المسيح أخذ الكأس وشكر وأعطاهم ثم قال لهم "اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي

الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا" (متى ٢٦ : ٢٧).  
ومعنى هاتين الآيتين، كما هو واضح أمامنا، أن جسد المسيح يبذل على الصليب كفارة  
وأن دمه يسفك عليه لغفران الخطايا.

أما العبارة التي نحن بصددنا فمقتبسة من القديس، وقد أضاف كاتبه إلى الآيات  
الواردة في الإنجيل كلمة "يعطى" مرتين من عندياته، فأصبح المعنى أن تناول من الخبز  
والخمر هو الذي يغفر الخطايا، وذلك لكي يؤيد الاعتقاد السائد لديه [إن العشاء  
الرباني يغفر الخطايا]، وتصرف مثل هذا هو اعتداء على قدسية الوحي الإلهي واستهانة  
بالوعيد الخاص بإضافة كلمة إليه (رؤيا ٢٢ : ١٨)، كما أنه تحويل للناس عن أقوال الله  
إلى أقوال البشر.

(ب) أما السبيل الوحيد لغفران الخطايا الذي أعلنه الكتاب المقدس، فهو الإيمان  
الحقيقي بالمسيح، فقد قال الوحي عنه "أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا"  
(أعمال ١٠ : ٤٣)، كما قال "حَتَّى يَنَالُوا بِالْإِيمَانِ بِي غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيًّا مَعَ  
الْمُقَدَّسِينَ" (أعمال ٢٦ : ١٨). ويرجع السبب في ذلك إلى أن المسيح بكفارته قد وفى  
حقوق عدالة الله التي لا حد لها إلى الأبد، وأن الإيمان الحقيقي هو الذي يهيء القلب  
للاتصال بالله والإفادة من هذه الكفارة. ولكن جعل تناول من العشاء الرباني هو  
السبيل للحصول على الغفران فضلاً عن مخالفته للوحي الإلهي كما ذكرنا، فإنه يحول  
السبيل إلى الغفران من عمل روحاني في القلب بالإيمان الحقيقي بكفاية كفارة المسيح،  
إلى عمل مادي يتم بالأسنان والفم، الأمر الذي يتعارض كل التعارض مع مبادئ  
المسيحية جميعاً.

## ثانياً: الآراء الطائفية، والرد عليها

١. [إن المسيح بموته على الصليب كفر عن خطية آدم أو بالحري الخطية الأصلية أما الخطايا التي نعملها نحن، فلا سبيل إلى غفرانها إلا بذبيحة العشاء الرباني].

الرد: فضلاً عن أن الغرض من ممارسة العشاء الرباني هو تذكّر الآم المسيح وليس الحصول على الغفران، كما ذكرنا فيما سلف. وفضلاً عن أن الكتاب المقدس لا ينص على أن العشاء الرباني هو ذبيحة، بل بالعكس ينفي وجود أي قربان (أو ذبيحة) بعد كفارة المسيح، إذ قال "إِنَّمَا حَيْثُ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ لِهَذِهِ لَا يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ الْخَطِيئَةِ" (عبرانيين ١٠ : ١٨)، لأن كفارة المسيح قد وفّت جميع حقوق عدالة الله إلى الأبد، نقول: أن المسيح لم يكفر بموته على الصليب عن خطية آدم وحده، بل وكفر أيضاً عن كل خطايا المؤمنين الشخصية. فمن جهة تكفيره عن خطية آدم، قال الوحي عن المسيح إنه "الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١ : ٢٩)، وإنه "حَمَلَ خَطِيئَةَ كَثِيرِينَ" (إشعياء ٥٣ : ١٢). ومن جهة تكفيره عن خطايا المؤمنين الشخصية، قال الوحي عن المسيح إنه "أَسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا" (رومية ٤ : ٢٥)، وإنه "مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا" (١ كورنثوس ١٥ : ٣)، وإنه "بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِ خَطَايَانَا" (غلاطية ١ : ٤)، وإنه "صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا" (عبرانيين ١ : ١٣)، وإنه "حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا" (١ بطرس ٢ : ٢٤)، وإنه "كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا" (١ يوحنا ٢ : ٢)، وإنه "تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا" (١ بطرس ٣ : ١٨) وقال للناس "تُوبُوا وَتَلْبَسُوا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَيَّ اسْمَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِعُفْرَانِ الْخَطَايَا" (أعمال ٢ : ٣٨)، وإن "أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَنَالُ بِاسْمِهِ عُفْرَانَ الْخَطَايَا" (أعمال ١٠ : ٤٣)، وإنه "عُفِّرَتْ لَكُمْ الْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ"

(١ يوحنا ٢: ١٢)، وإن الله سامحكم "بجميع الخطايا" (كولوسي ٢: ١٣)،  
وإنه "يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ" "يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يوحنا ١: ٧-  
١٠)، وكلمات "الخطايا" بالجمع، و "كل خطية" و "كل إثم" بدون حد ما، الواردة في  
هذه الآيات، لا يراد بها طبعاً خطية آدم، بل خطايانا نحن. ومما يثبت هذه الحقيقة الأدلة  
الآتية:

(الأول) استحالة تكرار كفارة المسيح: لو فرضنا أن المسيح مات نيابة عن آدم وحده،  
بسبب الخطية الواحدة التي أتانا، يكون من الضروري أن يموت كذلك نيابة عن كل  
واحد منا مرات بعدد الخطايا التي تصدر منه، حتى تغفر له هذه الخطايا. ولكن المسيح  
لن يقدم نفسه كفارة بعد الصليب بأي شكل من الأشكال، فقد قال الرسول عنه انه  
دخل إلى الأقداس "لَا لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ مِرَارًا كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ.. فَإِذْ ذَاكَ  
كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَارًا كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَظْهَرَ مَرَّةً (واحدة)  
عِنْدَ انْقِضَاءِ الدَّهْرِ لِيُطَلَّ الْخَطِيئَةَ (أو بالحري يحوها عن المؤمنين الحقيقيين  
من أمام الله) بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ" (عبرانيين ٩: ٢٤-٢٦)

ولذلك إن كان هناك مجال لغفران خطايانا الشخصية، يكون هذا الغفران هو بذات  
الكفارة التي قدمها المسيح مرة على الصليب، وذلك لسببين. (أ) أن الله لا يجب آدم  
وحده بل ويجبنا نحن أيضاً. فمكتوب "لأنه هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ (أجمع) حتَّى بذلَ ابنه  
الوَحِيدَ لكي لا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦)  
(ب) أن كفارة المسيح على الصليب لعظمتها التي لا حد لها، لا تكفي فقط للتكفير عن

آدم، بل وعن جميع الناس كذلك. فمكتوب عن المسيح "وهو كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا" (١ يوحنا ٢ : ٢)

(الثاني) تكفير المسيح عن نفوسنا، وليس عن خطايانا فحسب "إن المسيح لم يكفر عن خطايانا بالانفصال عن نفوسنا، بل كفر عن نفوسنا بذاتها، لأنها هي التي تستحق القصاص بسبب معاصيها. فقد قال الوحي "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ" (١ بطرس ٣ : ٨)، كما قال "الرَّبُّ فَادِي نُفُوسِ عِبِيدِهِ" (مزمو ٣٤ : ٢٢) أي أنه كفر عنهم أو بالحرى عن نفوسهم. وبما أن المسيح كفر عن نفوسنا، فهو لم يكفر عن أجزاء منها تحتوى على عدد خاص من الخطايا، بل كفر عنها بكل ما فيها من خطايا، لأن النفس لا تتجزأ بأي حال من الأحوال.

(الثالث) عدم إفادتنا من كفارة المسيح بشيء، أن كانت عن آدم وحده: لو كانت كفارة المسيح هي عن خطية آدم وحده، لما كانت تعود على واحد من نسله بفائدة ما، ولهلك تبعاً لذلك جميع الناس بما فيهم الرسل والأنبياء، لأنهم خطاة مثلهم، وليس في وسع واحد منهم أن يكفر عن خطية واحدة من خطاياهم، مهما عمل من أعمال صالحة كما ذكرنا فيما سلف. ويكون مثل كفارة المسيح في هذه الحالة، مثل خدمة خلّصت بعض الناس من خطر الموت في منطقة واحدة ثم تركتهم لمثل هذا الخطر في آلاف المناطق، فإنها لا تكون قد خلصتهم أو أبقت على حياتهم. وبما أن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك من جهة كفارة المسيح، لأن الوحي يعلن لنا أن كل من يؤمن بالمسيح إيماناً حقيقياً تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣ : ١٦)، إذاً لا بد أن يكون المسيح قد كفر



عن خطايا البشر جميعاً، أو بالحرى عن نفوسهم جميعاً، وأن كل من يؤمن به إيماناً حقيقياً، تكون له الحياة الأبدية كما أعلن الوحي، كما ذكرنا فيما سلف.

٢. [ليس من المعقول أن تكون كفارة المسيح التي قدمها على الصليب هي عن خطايا الذين أتوا ويأتون بعده، لأن خطاياهم عملت وتعمل بعد هذه الكفارة، والكفارة تكون بعد إتيان الخطية وليس قبل إتيانها. وإذا كان الأمر كذلك، فإن السبيل الوحيد لغفران الخطايا التي تعمل بعد كفارة المسيح، هو تناول من ذبيحة العشاء الرباني].

الرد: فضلاً عن أنه ليست هناك آية واحدة تدل على أن العشاء الرباني هو ذبيحة، أو أن تناول منه يجلب الصفح والغفران، كما ذكرنا فيما سلف، وفضلاً عن أنه ليست هناك أيضاً آية واحدة تدل على أن كفارة المسيح كانت عن خطايا الذين أتوا قبله، دون الذين أتوا ويأتون بعده، إذ أن كل الآيات الخاصة بهذا الموضوع تدل على أن كفارته هي عن خطايا كل الناس في كل العصور. وفضلاً عن أنه لو كانت هذه الكفارة هي عن خطايا الذين أتوا قبل المسيح فحسب، لكان مؤمنو العهد القديم أحسن حالاً من مؤمني العهد الجديد (لأن كل خطاياهم تكون قد غفرت دون هؤلاء)، الأمر الذي لا يتفق مع الوحي أو العقل على الإطلاق، نقول:

بما أن الله يجب جميع الناس في كل العصور دون استثناء، كما يعلم منذ الأزل أنهم لا يستطيعون أن يكفروا عن خطية واحدة من خطاياهم. ومن ناحية أخرى بما أن كفارة المسيح كافية للتعويض ليس عن خطايا كل الذين سبقوه فحسب، بل وعن خطايا كل الذين أتوا ويأتون بعده أيضاً لأن كفايتها لا حد لها، لذلك تكون كفارته ليس عن

خطايا الذين عاشوا في العهد القديم فقط، بل وعن خطايا الذين أتوا ويأتون في العهد الجديد أيضاً، كما أعلن الوحي.

٣. [إن كانت كفارة المسيح يمتد تأثيرها إلى مؤمني العهد الجديد، فإنها تكفر فقط عن خطاياهم التي يفعلونها قبل التوبة والمعمودية فقط. فقد قال الرسول "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي يبسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة يامهال الله" (رومية ٣: ٢٤-٢٥)، ومن ثم فإن غفران الخطايا التي يعملونها بعد التوبة والمعمودية يكون بالتناول من العشاء الرباني].

الرد (أ) فضلاً عن أن الغرض من العشاء الرباني هو تذكر موت المسيح وليس غفران الخطايا كما ذكرنا فيما سلف، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا الرأي أيضاً نقول: لو كان المسيح كفر لمؤمني العهد الجديد عن الخطايا التي يفعلونها قبل التوبة والمعمودية فقط، لما خلص واحد منهم مهما كانت تقواه (لأنه لا يوجد بينهم من هو معصوم من الخطيئة، أو من هو قادر في ذاته على التكفير عنها كما ذكرنا ولأصبح أيضاً الذين يتوبون ويعتمدون في نهاية حياتهم على الأرض، أحسن حظاً من الذين يتوبون ويعتمدون وهم في مقتبل العمر.

وبما أن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك على الإطلاق، لأن الوحي يعلن أن المؤمنين الحقيقيين لهم جميعاً حياة أبدية، ولأنه ليس من المعقول أيضاً أن الذين يتوبون في آخر حياتهم يكونون أفضل حالاً من الذين يتوبون في عنفوان الشباب، إذ فكفارة المسيح هي عن الخطايا السابقة للتوبة والمعمودية واللاحقة لهما كما ذكرنا، لاسيما وأن المسيح

لم يكفر عن الخطايا بغض النظر عن النفوس، بل كفر عن النفوس ذاتها كما ذكرنا، وتكفيره عنها هو تكفير عن خطاياها جميعاً، لأن النفس لا تتجزأ.

(ب) أما من جهة الآية التي نحن بصددنا، فلا يقصد بعبارة "الخطايا السالفة" الواردة فيها، "الخطايا السالفة للتوبة والإيمان في العهد الجديد"، بل الخطايا التي عملت في العهد القديم، لأنها هي التي كانت في حكم السالفة عندما كتب الرسول هذه الآية. ومن ثم فالله بواسطة كفارة المسيح التي أعلنها منذ ألفي سنة تقريباً، أظهر بره ليس فقط في الصفح عن خطايا المؤمنين في العهد الجديد (كما كان يظن بعض المؤمنين في العصر الرسولي، ولذلك كانوا يجنون على الأتقياء الذين ماتوا قبل أن يسمعوا عن المسيح)، بل وأيضاً عن الخطايا السالفة التي عملها المؤمنون الحقيقيون الذين عاشوا في العهد القديم قبل مجيء المسيح، والتي كان الله متمهلاً إزاءها، فلم يهلك واحداً منهم بل رحمهم وفتح الفردوس لهم بناء على كفارة المسيح، التي وإن كانت قد استعلنت بعد انتقالهم من هذا العالم بمئات السنين غير أنها كانت معروفة لديه تعالى منذ الأزل الذي لا بدء له (١ بطرس ١ : ١٨)

(ج) أخيراً نقول: فضلاً عن أنه لا توجد في الكتاب المقدس آية واحدة تدل على أن العشاء الرباني يغفر الخطايا أو يتحول إلى لاهوت المسيح وناسوته، فإن معظم القديسين الذين عاشوا في القرون الأولى لم يكن يخطر ببالهم هذان الخاطرين على الإطلاق فقد قال اكليمينضس الإسكندري "إن الكلمة (أو بالحري المسيح) يعبر عنه مجازاً بأسماء كثيرة: مثل لحم وجسد وغذاء وخبز ودم.. ومن ثم يكون العصير المقدس المفرح رمزاً مجازياً للكلمة، الذي سكب نفسه عن كثيرين لمغفرة الخطايا" وقال ترتوليانوس "المسيح

دعا الخبز جسده، لكي تفهموا من ذلك كيف جعل الخبز رمزاً لجسده". وقال كبريانوس "يجب أن نلاحظ أنه بواسطة الخمر يشار إلى دم المسيح" وقال يوسابيوس "إن عشاء الرب هو تذكارة ذبيحة المسيح، بواسطة رمزي الخبز والخمر" وقال غريغوريوس النزيزي أن عنصرى الإفخارستيا رمزان لجسد المسيح ودمه" وقال يوحنا ذهبي الفم "إن الخبز المقدس يستحق أن يسمى جسد الرب، مع أنه لم يزل على حقيقته"، وقال ثاودوريتوس "إن العنصرين إنما هما رمزان سريان لجسد المسيح ودمه" وقال جلاسيوس "إن جوهر الخبز والخمر لا يزال فيهما. وإنما تحتفل في الأسرار المقدسة بصورة جسد المسيح ودمه" وقال أوريجانوس "التناول من العشاء الرباني ليست له علاقة بالحياة الأبدية" ولزيادة الإيضاح، اقرأ (كتاب العشاء الرباني).

## ٣

## شروط حلول الروح القدس

إن حلول الروح القدس في المؤمنين، كما اتضح لنا مما سلف، مرتبط بخلصهم كل الارتباط، وقد ذهب فريق من الإنجيليين إلى أن هذا الروح لا يحل إلا على الأتقياء من هؤلاء المؤمنين. وذهب فريق آخر منهم إلى أنه لا يحل إلا مصحوباً بالتكلم بالألسن والفرح العظيم. أما الأرثوذكس والكاثوليك فذهبوا إلى أن الروح القدس لا يحل على أحد إلا بواسطة المسح بالمبيرون. وفيما يلي الحجج الخاصة بكل فريق مصحوبة بالرد عليها:

## أولاً: حلول الروح القدس والتقوى:

١. [ليس من المعقول أن يعطي الله الروح القدس للمؤمنين بمجرد إيمانهم، بل المعقول أنه يعطيهم إياه عندما تسمو حياتهم الروحية، ولذلك فإن حلول الروح القدس هو بركة إضافية منفصلة عن الخلاص بالإيمان، يناها المؤمنون بعد الإيمان بفترة من الزمن].  
الرد: إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أن الروح القدس يحل فينا بمجرد الإيمان الحقيقي. فقد قال المسيح عن الروح القدس "مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي (أي تجري في الحال) مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ" (يوحنا ٧: ٣٨-٣٩) وقال بولس الرسول لأهل أفسس "إِذْ آمَنْتُمْ (أي بمجرد أن آمنتم) خْتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ" (أفسس ١: ١٤) وقال للغلاطين مستنكراً اعتقادهم بأن الخلاص يكون بأعمال الناموس "أَبَاعَمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمْ الرُّوحَ أَمْ بِخَيْرِ الْإِيمَانِ؟ فَالَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ"

فِيكُمْ أَبَاعْمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمْ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الْإِيمَانِ؟" (غلاطية ٣ : ٢) ثم أعلن لهم بعد ذلك الحقيقة التي كانوا يجهلونها، فقال إننا "لِنَتَّالِ بِالْإِيمَانِ (وليس بالتقوى والأعمال) مَوْعِدَ الرُّوحِ" (غلاطية ٣ : ١٤) وقال بطرس الرسول لليهود "ثُوبُوا وَليَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِعُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقَبَّلُوا (أي تقبلوا في الحال) عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أعمال ٢ : ٣٨-٣٩). فإذا أضفنا إلى ذلك أن الرسول بولس قال لبعض الأفسسيين "هَلْ قَبِلْتُمْ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟" (أعمال ١٩ : ٢)، وأنه قال للكورنثوسيين جميعاً "أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ وَرُوحَ اللَّهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟" (١ كورنثوس ٣ : ١٦)، اتضح لنا بدليل ليس بعده دليل أن الروح القدس يحمل بمجرد الإيمان، أو بالحري الإيمان الحقيقي.

(ب) فضلاً عما تقدم، فإن الوحي يعلن لنا أن المؤمنين الحقيقيين يولدون الولادة الثانية التي يبدؤون بها علاقتهم الروحية مع الله، بواسطة الروح القدس (يوحنا ٣ : ٦)، وأن هذا الروح هو العربون الذي يؤكد لهم الحصول على الحياة الأبدية (٢ كورنثوس ١ : ٢٢، ٥ : ٥)، وأن الله أرسله إلى قلوبهم لكي يشهد لهم أنهم أولاده (غلاطية ٤ : ٦، رومية ٨ : ١٥، يوحنا ٥ : ٦)، ولكي يستطيعوا أن يعبدوه ويرفعوا إليه الصلاة التي تتفق مع مشيئته (رومية ٧ : ٦، يوحنا ٤ : ٢٣)، ويستطيعوا أيضاً أن يمتوا أعمال الجسد وأهواءه (غلاطية ٥ : ١٦، رومية ٨ : ١٣)، ونظراً لأن هذه الآيات لم تكتب

---

٣٠ : إن الحث على التوبة والعماد لقبول الروح القدس يرجع إلى أن العماد هو "إشهار الإيمان" لأن هذا الروح كما اتضح لنا مما سلف يجلب على البشر بمجرد أن يؤمنوا إيماناً حقيقياً أي قبل أن يعتمدوا بالماء. وحلول الروح القدس على كرنيليوس قبل أن يعتمد دليل على هذه الحقيقة (أعمال ١٠ : ٤٤)، كما ذكرنا في الفصل الأول.

لبعض المؤمنين الحقيقيين دون البعض الآخر بل كتبت لهم جميعاً، لذلك لا ندحة من التسليم بأن الروح القدس يحل فيهم جميعاً بمجرد إيمانهم كما ذكرنا.

(ج) فإذا أضفنا إلى ذلك (أولاً) أن تأخير سكنى الروح القدس في المؤمنين الحقيقيين إلى ما بعد الإيمان بفترة من الزمن، يجعل سكناه فيهم متوقفاً ليس على استحقاق كفارة المسيح بل على استحقاقهم الشخصي الأمر الذي يتعارض مع الحق كل التعارض، إذ أن البشر مهما سميت حياتهم الروحية لا يكونون من تلقاء أنفسهم أهلاً للشركة مع الله. أو بالحرى لسكنى الروح القدس فيهم.

(ثانياً) أن الروح القدس، كما اتضح من الآيات التي ذكرناها فيما سلف هو الذي يكون في نفوس المؤمنين الطبيعة الروحية الجديدة، وهو الذي يخلصهم من سلطة الخطية ومتاعبها، وهو الذي يجعلهم أبناء الله ويقودهم للسجود والصلاة له.

(ثالثاً) أن الرسول أعلن بكل وضوح أن الذين ليس لهم روح المسيح (أو بالحرى الروح القدس) لا يكونون من أتباع المسيح (رومية ٨ : ٩)، أو بالحرى يكونون بعيداً عنه ولا علاقة لهم به، أدركنا أن وجود الروح القدس في المؤمنين لا بد أن يكون سابقاً لكل ما يظهر فيهم من تقوى، وليس لاحقاً لما يظهر فيهم منها، كما أدركنا أن من لا يسكن فيه الروح القدس لا يكون مؤمناً حقيقياً، وأن كل مؤمن حقيقي لا بد أن يكون الروح القدس ساكناً فيه.

وإذا كان ذلك كذلك، يجب ألا يشك أي مؤمن حقيقي من جهة سكنى الروح القدس في نفسه، أو ينتظر رؤياً أو حلماً أو علامة تؤكد له أن هذا الروح قد سكن فيها (لأن الشك هو العقبة التي تحول بين المؤمنين الحقيقيين، وبين التمتع بالبركات الروحية

التي وهبها الله لهم)، بل أن يؤمن إيماناً كاملاً (بناء على شهادة الوحي) أن الروح القدس قد حل فعلاً في نفسه بمجرد أن آمن إيماناً حقيقياً<sup>٣١</sup> وأن ينتظر إرشاده في كل حين، في العبادة والخدمة والتصرف في العالم الحاضر، فيختبر عمل هذا الروح في نفسه بصورة واضحة جلية.

٢. [إن الكتاب المقدس لم يسجل أن كل شخص آمن بالمسيح إيماناً حقيقياً، قد حل فيه الروح القدس بمجرد إيمانه].

الرد: وإن كان الكتاب المقدس لم يسجل ذلك حرفياً، لكن يكفيننا أن نعلم: (أولاً) أن الروح القدس حل على كرنيليوس وأقربائه وأصدقائه بمجرد إيمانهم بالمسيح (أعمال ١٠: ٤٤).

(ثانياً) أن كل القرائن بجانب الأدلة الكتابية السابق ذكرها تدل على أن الروح القدس كان يحل في المؤمنين الحقيقيين بمجرد إيمانهم، لأن كل ثماره الواردة في (غلاطية ٥: ٣٢) كانت تظهر بكل وضوح فيهم، كما كانت الحال مع السجنان (أعمال ١٦: ٥) وليديه (أعمال ١٦: ٣٤) والحبشي (أعمال ٨: ٣٩)، والذين آمنوا بواسطة خدمة بطرس

<sup>٣٢</sup>: يعتقد البعض أن القول (بحلول الروح القدس بالإيمان) يجعل حلوله بالإيماء السيكلوجي. ولكن فضلاً عن أن هذا القول، هو قول الوحي الإلهي نفسه كما ذكرنا فيما سلف، الأمر الذي لا يدع مجالاً للاعتراض عليه، فإن هناك فرقاً عظيماً بين الإيماء السيكلوجي وبين الإيمان الحقيقي. فالأول هو الاعتماد على قوى النفس، قوى النفس محدودة في ذاتها. أما الثاني فهو الاعتماد على قوة الله، وقوة الله لا حد لها على الإطلاق. ولذلك جعل المسيح الإيمان هو السبيل إلى الخلاص والحصول على الروح القدس، كما جعله السبيل للحصول على الشفاء وما تحتاج إليه من أمور، كما يتضح بكل جلاء على كل صفحة من صفحات الوحي.



الرسول في أورشلیم (أعمال ٢ : ٤١)، وخدمة بولس الرسول في كورنثوس (أعمال ١٩ : ١٩)

وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن عدم تسجيل الكتاب المقدس عن كل شخص آمن بالمسيح إيماناً حقيقياً أن الروح القدس حل فيه بمجرد إيمانه، يرجع إلى أن هذه الحقيقة كانت معروفة كل المعرفة لدى المؤمنين جميعاً، وأنه لم يكن هناك شك لدى أحد من جهتها على الإطلاق.

٣. [إن معظم المؤمنين الحقيقيين يحون حياة الضعف، ولا تظهر فيهم ثمار الروح القدس الخاصة بالقداسة التامة والغيرة الحارة على خدمة الرب. ومن تظهر فيهم هذه الثمار يكون قد مضى على إيمانهم فترة طويلة من الزمن، وهذا دليل على أن الروح القدس لا يسكن في المؤمنين الحقيقيين بمجرد إيمانهم]

الرد: أن ما يبلغه المؤمنون من حياة روحية ممتازة، لا يكون في الغالب نتيجة لسكنى الروح القدس فيهم، بل نتيجة للامتلاء من هذا الروح. وهذا الامتلاء قد يكون بمجرد الإيمان الحقيقي، وقد يكون بعد هذا الإيمان بفترة من الزمن. إذ أنه يتطلب الشركة العميقة مع الله والتكريس الكلي له، كما يتطلب الطاعة التامة لشخصه، والاتجاه الكامل نحو خدمته وإكرامه، وهذا الامتلاء (كما نعلم بالاختبار) يسبي النفس في محبة الله والشوق إليه، ويأخذها لتمتع أعظم بالسماويات، ويعت إليها بفيض من الأفراح والتعزيات، ويمدها بقدرة فائقة على خدمة الرب وإكرامه، ويحيطها بجو كله قداسة وطهارة، كما يساعدها على فهم مشيئة الله في كل ناحية من نواحي الحياة، ولذلك إذا شبهنا سكنى الروح القدس في المؤمن الحقيقي بمياه النهر العادية، يكون الامتلاء به هو

الفيضان بعينه. ونظراً لأهمية هذا الامتلاء، قال الوحي لمن سكن فيهم الروح القدس "امتلأوا بالروح" (أفسس ٥ : ١٨) ومع كل فإن المؤمنين الحقيقيين الذين لم يبلغوا درجة الملء من الروح القدس، لا يعيشون في الشر على الإطلاق، بل إذا سقطوا فيه مرة سعوا بكل قوتهم للنهوض منه حالاً، وذلك بسبب الطبيعة الروحية التي نالوها من الله بالإيمان الحقيقي، وإذا كان ذلك كذلك، اتضح لنا أن أصحاب الحجة التي نحن بصددتها لم يبنوها إلا على بعض مشاهداتهم في المؤمنين بالاسم، أو المؤمنين الحقيقيين المهملين في سلوكهم والواقعين تحت تأديب الله وقضائه في العالم الحاضر، وهؤلاء وأولئك ليسوا أساساً نبني عليه إيماننا بالحقائق الإلهية، لأن الأساس الوحيد لإيماننا بهذه الحقائق، هو الكتاب المقدس دون سواه.

٤. [إن الرسل كانوا قد آمنوا بالمسيح بمجرد أن دعاهم إليه، ومع ذلك لم يحل الروح القدس عليهم إلا بعد خمسين يوماً من قيامته من بين الأموات].  
الرد: بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الروح القدس كان يرافق رسل المسيح منذ إيمانهم به (يوحنا ١٤ : ١٧) ولكنه لم يسكن في واحد منهم إلا بعد صعود المسيح إلى السماء، وقد كشف الوحي لنا عن السبب في ذلك فقال: "لأنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ (أي أثناء وجود المسيح على الأرض) لَأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ" (يوحنا ٧ : ٣٩) ولما تمجد المسيح، أو بالحري أكمل الكفارة وصعد إلى السماء (للدلالة على قبولها الأبدي أمام الله) انتظر الرسل حلول الروح القدس عليهم بالصلاة بناء على وعد المسيح السابق لهم (يوحنا ١٣ : ١٦ - ٢٦، ١٦ : ١٣ وأعمال ١ : ٨)، فحل عليهم وعلى غيرهم في يوم الخمسين (أعمال ٢ : ١، ٣٣) ومنذ حلوله

هذا، يحل ويسكن في كل من يؤمن إيماناً حقيقياً كما ذكرنا فيما سلف، بفضل كفارة المسيح الكاملة.

### ثانياً: حلول الروح القدس والتكلم باللسنة:

[إن حلول الروح القدس يكون مصحوباً بالتكلم باللسنة كما يتضح من (أعمال ١٩ : ٦)، ولذلك فكل من لا يتكلم بها لا يكون الروح القدس قد سكن فيه].

الرد: (أ) بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الروح القدس مجلوه في المؤمنين الحقيقيين كان يمنحهم مواهب متعددة، حتى يتعاون أحدهم مع الآخر ويفيد منه، كما يتعاون أعضاء الجسد الواحد في خدمة هذا الجسد. ولذلك قال الرسول عن الله "وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ. فَإِنَّهُ لِرُوحٍ يَعْطَى بِالرُّوحِ كَلَامٌ حِكْمَةٍ. وَلِآخِرِ كَلَامٍ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخِرِ إِيمَانٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخِرِ مَوَاهِبِ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلِآخِرِ عَمَلٍ قُوَّاتٍ وَلِآخِرِ نُبُوَّةٍ وَلِآخِرِ تَمْيِيزِ الأرواحِ وَلِآخِرِ أَنْوَاعِ أَلْسِنَةٍ وَلِآخِرِ تَرْجَمَةِ أَلْسِنَةٍ" (١ كورنثوس ١٢ : ٧-١٠) ومن ثم لا مجال للقول أن كل من يحل فيه الروح القدس يجب أن تكون له موهبة الألسنة.

(ب) فإذا أضفنا إلى ما تقدم (أولاً) أن موهبة الألسنة ليست أول المواهب بل آخرها، وأن الرسول فضل الحبة والتعليم عليها كثيراً. فقال "إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِاللِّسَانِ النَّاسِ وَالْمَلَائِكَةَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نَحَاسًا يَطْنُ أَوْ صَنْجَابِيْرًا" (١ كورنثوس ١٣ : ١) كما يقال "وَلَكِنْ فِي كَنِيسَةٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمُ خَمْسَ كَلِمَاتٍ بِذِهْنِي لِكِي أُعَلِّمَ آخَرِينَ أَيْضًا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافِ كَلِمَةٍ بِلِسَانٍ" (١ كورنثوس ١٤ : ٩)

ثانياً) أن الوحي يعلن لنا أن التكلم بألسنة هو آية ليس للمؤمنين بل لغير المؤمنين (١ كورنثوس ١٤ : ١٢)، أو بالحري لليهود والوثنيين والملحددين، الأمر الذي لا يدع مجالاً لممارسة هذه الموهبة في اجتماعاتنا في الوقت الحاضر لعدم وجود هؤلاء الأشخاص بيننا، اتضح لنا أن القول [بأن الذي لا يتكلم بألسنة لا يسكن فيه الروح القدس] ليس بصواب.

٢. [إن العلامة الملازمة لحلول الروح القدس هي الفرح كما يتضح من (أعمال ١٦ : ٣٤)، ومن ثم فإن المؤمنين الذين لا يحيون حياة الفرح، لا يكون الروح القدس قد سكن فيهم بعد].

الرد: لا شك أن المؤمن الحقيقي يفرح في الرب، ويفرح فيه في كل حين (فيلبي ٤ : ٤)، غير أنه يجب أن نفرق بين الفرح السطحي وبين الفرح القلبي. فالأشخاص الذين تشبه قلوبهم الأرض التي تكمن فيها الأحجار يفرحون عندما يسمعون كلمة الله (متى ١٣ : ٢٠)، ولكنهم لا يأتون بشمرها: ومن ثم يزول فرحهم بعد حين. أما الفرح الحقيقي فهو الذي يلازم المؤمنين الحقيقيين حتى في أشد التجارب والضيقات (يعقوب ١ : ٢)، كما يكون مقترناً بالشركة الروحية مع الله والقداسة العملية أمامه، نعم قد لا يظهر هذا الفرح في الخارج ولكنه يملأ جوانب القلب سلاماً وابتهاجاً. وداود النبي الذي اختبر هذا الفرح قال لله "جَعَلْتَ سُوراً فِي قَلْبِي أَعْظَمَ مِنْ سُورِهِمْ" (مزمو ٤ : ٧)، على الرغم من أن موارد رزقه كانت اقل من موارد رزقهم كثيراً. وقال غيره "فَمَعَ أَنَّهُ لَا يَزْهَرُ التَّيْبُ وَلَا يَكُونُ حَمْلٌ فِي الْكُرُومِ يَكْذِبُ عَمَلُ الرِّيْتُونَةِ

وَالْحُقُولُ لَا تَصْنَعُ طَعَامًا. يَنْقَطِعُ الْعَنَمُ مِنَ الْحَظِيرَةِ وَلَا بَقْرَ فِي الْمَذَاوِدِ فَإِنِّي أَبْتَهِجُ  
بِالرَّبِّ وَأَفْرَحُ بِإِلَهِ خَلَاصِي" (حبقوق ٣: ١٧)

### ثالثاً: حلول الروح القدس وزيت الميرون<sup>٣٢</sup>

١- [إن الله كان قد أمر موسى النبي أن يأخذ أفخر الأطياب ويمزجها بزيت الزيتون لتكون دهنًا مقدسًا يسمح به أواني الخدمة وخيمة الاجتماع، كما يسمح به هرون وبنيه حتى يكونوا مقدسين (خروج ٣٠)، الأمر الذي يدل على أنه ليس هناك تقديس (أو اقتراب إلى الله) إلا بواسطة الميرون الذي هو دهن المسحة المقدسة].

الرد: أن العهد القديم هو عهد الرموز، ولا يتسع المجال أمامنا لسرد كل رمز منها وبيان ما كان يدل عليه من معان روحية في العهد الجديد. ولذلك نكتفي بالقول أن الذبائح الحيوانية كانت رمزاً لكفارة المسيح، وضوء السرج كان رمزاً للمسيح بوصفه نور العالم (يوحنا ٨: ١٢)، والبخور كان رمزاً للصلاة التي ينشئها الروح القدس في نفوس المؤمنين الحقيقيين، ومن ثم تصعد إلى الله وتنال القبول أمامه (رؤيا ٥: ٨) وهكذا الحال من جهة دهن المسح، فإنه كان رمزاً للروح القدس الذي بحلوله في النفس يقدسها ويكسيها صفات سماوية عطرة للغاية. وبما أن الروح القدس قد حل في اليوم الخمسين من قيامة المسيح، ويحل للغاية الآن في كل من يؤمن إيماناً حقيقياً، لذلك ليس هناك مجال لاستعمال هذا الدهن في العهد الجديد، لاسيما وليست هناك أية وصية لاستعماله في هذا العهد.

<sup>٣٢</sup>- "الميرون" كما يقال، كلمة يونانية معناه "الطيب".

٢. [إن يوحنا الرسول قال لنا "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَلْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ (أي من الله) ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هَذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنَهَا" (يوحنا ٢: ٢٦، ٢٧) وهذا دليل على أن زيت المسحة لم يبطل استعماله في العهد الجديد].

الرد: (أ) فضلاً عن أن الكتاب المقدس يشهد أن الروح القدس يحل بمجرد الإيمان الحقيقي كما ذكرنا فيما سلف، وفضلاً عن أن الآية التي أماننا لا تدل على أن الروح القدس يحل على المؤمنين بواسطة دهنهم بزيت ما، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة، نقول: أن كلمة "المسحة" الواردة في الآية التي نحن بصدها لا يراد بها زيت من الزيوت، بل إنها مستعملة هنا بالمعنى المجازي للدلالة على الروح القدس نفسه، والدليل على ذلك أن الرسول يسند التعليم إليها، مع أنها في ذاتها لا تعلم، إذ أن الذي يعلم هو الروح القدس، فقد قال المسيح عنه للتلاميذ إنه "يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يوحنا ١٤: ٢٦)

(ب) أما السبب في استعمال كلمة "المسحة" بدلاً من كلمة الروح القدس، فهو من باب إطلاق الاسم القديم على الاسم الجديد [كما هي الحال في إطلاق كلمة الفصح على المسيح (١ كورنثوس ٥: ٧)، وكلمة الاغتسال على تنقية القلب (أفسس ٥: ٢٦)، وكلمة النور على معرفة الخلاص (٢ كورنثوس ٤: ٦)، وكلمة البخور على الصلاة (رؤيا ٥: ٨)]، وذلك لوحدة الوحي الإلهي. فإذا أضفنا إلى ما تقدم أن تلاميذ المسيح لم يمسحوا بزيت ما عندما حل الروح القدس عليهم، أو مسحوا أحداً بهذا الزيت لكي يحل عليه هذا الروح: كما أن المسيح عندما حل عليه الروح القدس لم

يمسح بزيت، إذا أن قول الوحي عن الله إنه مسح المسيح بالروح القدس (أعمال ١٠: ٣٨)، معناه أن الروح القدس حل عليه لا أكثر ولا أقل، اتضح لنا أن كلمة المسحة لا تستعمل في العهد الجديد إلا بالمعنى المجازي فحسب كما ذكرنا.

٣. [إن الرسول بولس قال: "وَلَكِنَّ الَّذِي يُثَبِّتُنَا مَعَكُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَقَدْ مَسَحَنَا، هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضًا، وَأَعْطَى عَرَبُونَ الرُّوحَ فِي قُلُوبِنَا" (٢ كورنثوس ١: ٢١، ٢٢)].  
الرد: يتضح من هذه العبارة أن الله نفسه هو الذي مسح بولس وإيانا، وأنه أيضاً هو الذي ختمه وإيانا، والله عندما قام بمهذين العملين لم يستعمل زيتاً ما، ومن ثم فإن المسح والختم هنا مستعملان بالمعنى المجازي. أما هذه الآية فتدل على أمرين هاميين:

(أ) أن الله لا يترك المؤمنين لأنفسهم أو جهادهم، بل إنه نفسه هو الذي يشبهم في المسيح، ومن ثم يضمن سلامتهم إلى الأبد. وإننا لنشكر الله كل الشكر من أجل عمله هذا، لأنه لو كان أمر ثباتنا في المسيح منوطاً بنا لزحزحتنا التجارب عنه، وفقدنا الخلاص الذي منحه لنا بالمسيح، وهذا هو الفرق الجوهرى بين عمل النعمة وبين عمل الناموس، فالناموس كان يترك الناس لقدرتهم الذاتية، ومن ثم فشلوا جميعاً، أما النعمة فتقوم بتشبيتنا في المسيح، ولذلك تضمن سلامتنا إلى الأبد.

(ب) ومن نعمة الله علينا أيضاً أنه أعطانا الروح القدس في نفوسنا، لكي يحفظنا من ضعفنا الطبيعي ويرشدنا ويعلمنا طالما نحن في العالم الحاضر. كما أن هذا الروح هو ختم الله علينا، للدلالة على أننا أصبحنا خاصته التي يعترز بها، وهو كذلك العربون (أو بالحري الدليل الأكيد) الذي أعطاه مقدماً لنا لكي نتق كل الثقة أن لنا في المسيح، منذ الآن، حق التمتع بالجد الأبدي، لاسيما وأن قيمة الروح القدس تفوق قيمة هذا الجدد

كثيراً، وهذا الحق الثمين عندما يتغلغل في قلوبنا يبعث فينا كل حب وإخلاص لله، كما يقودنا للسلوك بالطاعة والتدقيق أمامه.

٤. [إن زيت المسحة كان يستعمل في الكنيسة منذ نشأتها كواسطة لحلول الروح القدس، ولذلك يكون الرسل أنفسهم هم الذين أمروا باستعماله لهذا الغرض، ثم انتقل إلينا منهم عن طريق التقليد].

الرد: فضلاً عن أن الإيمان المسيحي بأسره قد سلم إلينا بواسطة الرسل مرة واحدة (يهوذا ١: ٣) على صفحات الكتاب المقدس، حتى أن الرسول بولس قال للمؤمنين "وَلَكِنْ أَنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَائِكٌ مِنَ السَّمَاءِ بغيرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَايِمَا»" (أو محروماً) " (غلاطية ١: ٨)، الأمر الذي لا يدع مجالاً للاعتقاد بوجود أي تقليد تسلمه الخلف من السلف، يختلف عما جاء في هذا الكتاب، نقول: أن الدليل الذي يثبت أن تقليداً ما يرجع إلى الرسل، هو أن تكون هناك إشارة إليه في الكتاب المقدس. وبما أنه ليست هناك إشارة في هذا الكتاب يستنتج منها أن الرسل كانوا يستعملون زيتاً ما كواسطة لحلول الروح القدس على المؤمنين، إذاً لا يمكن أن يكون استعماله لهذا الغرض راجعاً إليهم بأي حال من الأحوال. ولكن بالرجوع إلى التاريخ<sup>٣٣</sup> يتضح لنا ما يأتي:

---

<sup>٣٣</sup>- عن ربحانة النفوس في أصل المعتقدات والطقوس، وتاريخ الكنيسة لموسيم (للإنجيليين)، وأسرار الكنيسة السبعة، والآليات النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة (للأرثوذكس).



(أ) استحسن فريق من الأساقفة في القرن الثاني أن يمسخوا المؤمنين الذين يقبلون المعمودية بزيت الزيتون العادي، لأنهم وجدوا أن كلمة "المسحة" هي التي يشتق منها اسم المسيح، وكان غرضهم من هذا العمل أن يعلنوا أن المؤمنين المذكورين أصبحوا مسيحيين.

واستحسن فريق آخر من الأساقفة أن يمسخوا مثل هؤلاء المؤمنين بالزيت المذكور، لأنهم وجدوا أنه كان يستعمل في العهد القديم عند تعيين الملوك والكهنة في وظائفهم رمزاً لخلول الروح القدس عليهم، ولذلك كان غرض هذا الفريق من الأساقفة من مسح المؤمنين بالزيت، أن يعلنوا أن الروح القدس قد حل عليهم، وأنهم أصبحوا تبعاً لذلك ملوكاً وكهنة بالمعنى الروحي، كما جاء في (رؤيا ١ : ٥) ومن ثم كان المسح بالزيت لديهم مجرد رمز أو إشارة لخلول الروح القدس. وقد أشار إلى هذه الحقيقة كيرلس الاسكندري فقال "إن الميرون يشير حسناً إلى مسحة الروح القدس" (أسرار الكنيسة السبعة ص ٥٦)، أي أنه ليس هو الروح القدس، أو حتى الوسطة لخلوله.

وبعد ذلك أخذ الاعتقاد بشأن هذا الزيت يتطور شيئاً فشيئاً، حتى ذهب كثير من الأساقفة في القرن الرابع إلى أنه هو الوسطة الوحيدة التي يحل بها الروح القدس. ومن ثم أخذوا يعدونه بتلاوة صلاة خاصة وقراءة بعض فصول من الكتاب المقدس، بعد أن يمزجوا هذا الزيت بثلاثين صنفاً من العطور ولكي يبرروا تصرفهم هذا، قالوا أن الرسل أخذوا الأطياب أو بالحري العطور (التي وضعها نيقوديموس على جسد المسيح بعد موته)، ومزجوها بزيت الزيتون كما قالوا أن الرسل أنفسهم هم الذين قاموا بتوزيع هذا المزيج على الكنائس التي كانت في أيامهم، وأوصوها بأنه إذا أوشك على النفاذ من

عندها، يجب أن تضيف إلى ما يتبقى منه شيئاً من زيت الزيتون مع العطور المذكورة، وأن ترفع لله صلوات خاصة عند قيامها بهذا العمل، لكي يقدس الزيت الذي تعمله. وفي القرن التاسع ذهب بعض الأساقفة إلى أنه كما أن الخبز والخمر المستعملين في العشاء الرباني يتحولان بالقداس (حسب اعتقادهم في هذا القرن) إلى ذات جسد المسيح ودمه<sup>٣٤</sup>، فإن زيت المسحة لا يبقى أيضاً بعد صلاتهم عليه زيتاً عادياً بل يصبح "موهبة المسيح وحضور الروح القدس، وفاعلاً أيضاً فعل الموهبة"<sup>٣٥</sup>.

ولذلك سمي "موهبة الروح القدس" نفسها<sup>٣٦</sup> وبناء على ذلك أمر مجمع بافيا سنة ٩٥٠م باستعمال هذا الزيت في الكنائس اللاتينية لتقديس المؤمنين وتثبيتهم في الله. أما عند الأرمن فلم يستعمل الزيت المذكور إلا في القرن الرابع عشر، أي بعد انتقال عقيدة الاستحالة إليهم بقرن من الزمان.

(ب) مما تقدم يتضح لنا أن عقيدة حلول الروح القدس بواسطة الميرون، فضلاً عن أنها بنيت على فهم بعض الآيات الكتابية فهماً يختلف عن المقصود منها، فهي تجعل الواسطة لحلول الروح القدس واسطة مادية خارجية، لا علاقة لها بالتوبة والإيمان الحقيقي أو

<sup>٣٤</sup> - اقرأ شيئاً عن تاريخ الاستحالة في كتاب "العشاء الرباني".

<sup>٣٥</sup> - وهنا نتساءل: إذا كان الميرون هو موهبة الروح القدس نفسه، فلماذا لا يرشم الكاهن (لدى القائلين بالاستحالة) العشاء الرباني بالميرون، بدلاً من أن يطلب من الله أن يجلب بالروح القدس عليه ليطهره ويجعله جسد المسيح ودمه؟ أليست هذه الصلاة تدل على أن الكاهن المذكور لا يؤمن في قرارة نفسه أن الميرون هو موهبة الروح القدس نفسه؟

<sup>٣٦</sup> - وبذلك جسموا الروح القدس في زيت الميرون، كما أودعوه بعد ذلك في كل أيقونة وعلامة للصليب يكرسها الأسقف، ومن ثم سجدوا لهذه وتلك، ورفعوا إليهما البخور، كما أسندوا إليهما عمل المعجزات (حياة الصلاة الأرثوذكسية ٥٥٢ / ٥٥٦ / ٥٦١).

الصلة الروحية بالله. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الذين يمسحون بهذا الزيت مرات متعددة، لا تظهر فيهم ثمار الروح القدس [التي هي الصلاح والبر والحق والسلام وطول الأناة واللفظ والوداعة والتعفف (أفسس ٩ : ١٠) و(غلاطية ٥ : ٢٢)]، إلا إذا كانوا آمنوا من قبل إيماناً حقيقياً، وسكن فيهم الروح القدس نفسه على أثر إيمانهم هذا، اتضح لنا أن الاعتقاد [بتوقف حلول الروح القدس على المسح بالميرون، أو أن هذا الميرون يشتم الذين يمسحون به في الله] لا يؤيده وحي أو اختبار، بل هو تنكر للإيمان الحقيقي الذي يحل بواسطة الروح القدس في النفس، وعودة أيضاً إلى الطقوس اليهودية التي لا تجدي ولا تفيد.

(ج) أما الاعتراض بأن [الكتاب المقدس لم يسجل أن الروح القدس يحل بواسطة زيت المسحة، لأنه (أي الكتاب المقدس) لم يذكر كل شيء عمله المسيح أو رسله]، فلا يجوز الأخذ به، لأن الأمور التي لم يذكرها الكتاب المقدس هي بعض المعجزات التي عملها المسيح، ويرجع السبب في عدم ذكرها إلى أن ما سجل منها كاف لإثبات شخصيته. فقد قال الرسول "وآياتٍ أُحرَّ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قَدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلَكِي تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ" (يوحنا ٢٠ : ٣٠، ٣١) أما لو كان الروح القدس لا يحل إلا بالميرون، لكان الوحي قد تحدث عنه وعن كيفية صناعته وطريقة ممارسته، وغير ذلك من الأمور التي تتعلق به، لأنه يكون من أهم الموضوعات الدينية التي يجب على المؤمنين معرفتها في كل جيل من الأجيال.

ربما أن الكتاب المقدس يعلن لنا أن الوسيلة الوحيدة ل حلول الروح القدس هي الإيمان الحقيقي بالمسيح، وأنه بحلوله في النفس يسمو بها إلى حالة التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية كما ذكرنا فيما سلف. فليس هناك إذاً أي مبرر بعد للقول أن هذا الروح يحل بواسطة المسح بالزيت المذكور.

٤. [الروح القدس لا يحل إلا بوضع الأيدي، كما حدث في أفسس والسامرة، ووضع الأيدي هو اسم آخر لزيت المسحة].

الرد: فضلاً عن أن الروح القدس يحل بمجرد الإيمان الحقيقي كما ذكرنا، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة، فإن اعتبار وضع الأيدي اسماً آخر لزيت المسحة، لا يؤثر على البحث الذي نقوم به في قليل أو كثير، لأنه ليس له أساس في الكتاب المقدس على الإطلاق، بل هو محاولة فاشلة للحصول على سند كتابي يؤيد حلول الروح القدس على الإطلاق، بل هو محاولة فاشلة للحصول على سند كتابي يؤيد حلول الروح القدس بواسطة مادية، بدلاً من الميرون الذي يقولون به إذاً من الواضح أنه لو كان الميرون هو نفسه موهبة الروح القدس كما يقولون، لما كان من الممكن أن يحل الروح القدس بواسطة وضع الأيدي، بناء على ما حدث في السامرة وأفسس، فنقول:

(أ) أن التلاميذ الذين كانوا في أفسس لم يكونوا، كما يتضح من (أعمال ١٩: ٣، ٤)، مؤمنين بالمسيح من جهة كونه ابن الله الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا، بل كانوا مؤمنين برسالة يوحنا المعمدان الذي كان ينادي بالمسيح من جهة كونه فقط الملك الآتي إلى العالم (متى ٣: ٢)، ولذلك كانوا معتمدين بعمودية يوحنا وحدها، وغير عارفين بشيء عن الروح القدس تبعاً لذلك، ومن ثم كان أمراً بديهياً، ألا يحل

عليهم هذا الروح وهم في هذه الحالة. ولما آمنوا بالمسيح بواسطة كراتة بولس الرسول كان من الممكن أن يحل عليهم الروح القدس في الحال أسوة بغيرهم من المؤمنين (أعمال ١٠ : ٤٢). لكن لو حدث ذلك لكان من المحتمل أن يظل يوحنا مالكا على قلوبهم، إذ أنهم كانوا يغارون على سمعته ويفضلونه على المسيح كثيراً (يوحنا ٣ : ٢٦) إنما بقبولهم وضع يدي بولس الرسول عليهم، أثبتوا أنهم انفصلوا عن يوحنا، وأرادوا أن يتصلوا بالمسيح في شخص رسوله المذكور، ولذلك حل الروح القدس عليهم مثل غيرهم من المؤمنين.

(ب) أما تلاميذ السامرة، فكانوا لا يعاملون المسيحيين الذين في أورشليم، ولو كان الروح القدس حل عليهم بمجرد إيمانهم بالمسيح بواسطة كراتة فيلبس كما كان يحل على غيرهم، لكان من المحتمل أن يظلوا في عزلة عن المسيحيين الذين في هذه البلدة، وأن يتخذوا من فيلبس المذكور زعيماً دينياً لهم، لاسيما وأنه لم يكن من أورشليم بل كان من قيصرية التي هي أقرب البلاد للسامرة بلدتهم ولكن عندما أحنوا رؤوسهم تحت يدي بطرس الرسول ورفيقه يوحنا اللذين من أورشليم، أعلنوا أنهم يقبلون الانضمام إلى كنيسة المسيح ولا يقيمون لأنفسهم شيعة خاصة، ولذلك حل عليهم الروح القدس كما حل على تلاميذ أفسس.

فإذا أضفنا إلى ذلك أن الرسولين المذكورين كانا، قبل ذهابهما إلى تلاميذ السامرة، يصليان لا لكي يعطيهم الله الروح القدس، بل لكي يقبلوا هم الروح القدس (أعمال ٨ : ١٤، ١٥)، اتضح لنا أن السبب في عدم حلوله عليهم عند إيمانهم بالمسيح مباشرة، هو العداوة التي كانت في نفوسهم من جهة المؤمنين الذين في أورشليم كما ذكرنا.

٦. [إن السبب في عدم حلول الروح القدس على أهل السامرة، يرجع إلى أنهم آمنوا بالمسيح بواسطة فيلبس، وفيلبس هذا كان مبشراً لا يملك سلطة وضع اليد التي يحل بها الروح القدس، وهذا دليل على أن الروح القدس لم يكن يحل إلا بواسطة وضع أيدي الرسل أو خلفائهم من بعدهم].

الرد: (أ) أن الروح القدس حل على الرسل دون أن يضع أحد عليهم الأيدي، كما أن المسيح لم يأمرهم بوضع أيديهم على المؤمنين لكي يحل عليهم هذا الروح، ولذلك نرى أنه عندما كان بطرس يتحدث في بيت كرنيليوس عن موت المسيح وقيامته، حل الروح القدس على كل الذين كانوا يسمعونه (أعمال ١٠ : ٤٢)، الأمر الذي يدل على أنه يحل بمجرد قبول الكرازة بالمسيح، أو بالحرى الإيمان الحقيقي بشخصه، وليس بواسطة وضع أيدي فريق من الناس مهما كان شأنهم. كما أننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس لا نجد أن الروح القدس حل بواسطة وضع الأيدي إلا في الحالتين السابقتين، وذلك للأسباب التي ذكرناها فيما سلف، ومن ثم لا مجال للحجة المعروضة أمامنا مجال.

(ب) أخيراً نقول إذا وضعنا أمامنا (أولاً) أن فيلبس هذا بشرٌ أحد أتباع ملكة الحبشة بالمسيح (أعمال ٨ : ٣٩)، ولما آمن به واعتمد باسمه ظهرت عليه في الحال علامات سكنى الروح القدس فيه إذ سجل الوحي عنه أنه فرح بالخلاص. والفرح بالخلاص هو أحد نتائج حلول الروح القدس (١ تسالونيكي ١ : ٦).

(ثانياً) أنه كان ذاهباً إلى بلاد بعيدة ليس بها رسول يمكن أن يكون واسطة لحلول الروح القدس عليه هناك، أن كان الروح القدس لا يحل إلا بوضع أيدي الرسل أو

خلفاء الرسل (إن كان لهم خلفاء) كما يقال، اتضح لنا أن الروح القدس لا بد أنه حل على هذا الرجل بمجرد إيمانه بواسطة فيليس.

(ج) هذا وقد عرف القديسون القدماء أن الروح القدس يحل على المؤمن بالصلاة من الله مباشرة (أي بدون زيت الميرون)، فقال أناتوليوس "جاهدوا حتى الدم، فتنالوا عطية الروح" وقال أغناطيوس "حينما يسكن الروح القدس في إنسان فإنه يشفع فيه بأنات لا ينطق بها. وما معنى أنات؟ معناها التهنيدات والبكاء من أجلنا.. فكم بالحري يجب أن نبكي نحن على أنفسنا حتى نصير أهلاً لحول ذلك الزائر العظيم<sup>٣٧</sup> الذي هو الروح القدس" وقال أوغسطينوس عن عمل الروح القدس في القلب "إنه ينشئ سروراً خفياً في الداخل وفرحاً وطرباً في القلب، واشتياقاً ملتهباً نحو الله وتقليلاً داخل النفس لا ينقطع" وقال القديس أنطونيوس "وعندما يسكن روح الله فيهم فإنه يريحهم في جميع أعمارهم. فيحلو لهم حمل نير المسيح بلا تعب، سواء في عمل الفضائل أم في الخدمة" وقال أيضاً "هكذا القديسون عندما وجدوا هذا الروح وسكن فيهم، رفعوا إلى الرب شكراً، لأنه لا يسكن إلا في نفوس الطوبانيين ليكشف لهم أسراراً عظيمة"، وأيضاً "ذلك الروح الناري العظيم الذي قبلته أنا، اقبلوه أنتم أيضاً. اطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري وحينئذ يعطى لكم بالصلاة. وهو يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء أخرى أمسك عن قولها، كما يكون لكم بسببه فرح سماوي ليلاً ونهاراً" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ٢٤، ١٩٠، ١٧٨، ١٨٢، ٤٧٠، ٤٨٢)

<sup>٣٧</sup> - مما تجدر الإشارة إليه أن الروح القدس ليس زائراً أو ضيفاً لدى قلوبنا، بل إنه المالك لها، ونحن ضيوف لديه، ومن ثم يجب أن نسلم حياتنا له تسليماً مطلقاً.

وأخيراً قال الآب متى المسكين "الروح القدس يحمل كلمة الله من الله إلى روح الإنسان. وهو لا يفارق الكلمة قط، كما أنه يفتح ذهن القارئ فيفهم الكلمة. فضلاً عن ذلك فإنه يؤسس فيه بواسطتها وعياً روحياً فائقاً يسمو فوق كل حقائق العالم. غير أنه يتطلب من الإنسان القلب الوديع الذي يتوسل بإيمان" (كلمة الله ص ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٧٦).



## ٤

## الانتماء إلى الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية

من المعلوم لدينا أنه قد ينتمي بعض المسيحيين إلى أشهر الكنائس، ويبدلون كل ما في وسعهم للخدمة فيها، ومع ذلك لا تكون لهم علاقة حقيقية بالله. ومن ثم فالاعتقاد بأن [الخلاص يتوقف على الانتماء إلى الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية، بحجة أقدميتهما، ووجود الأشخاص الذين لهم كما يقال سلطان الحل والربط فيهما] لا يمكن أن يكون صواباً، كما يتضح مما يلي:

## أولاً: أقدمية الأرثوذكسية والكاثوليكية:

١. [إن المسيح قال لبطرس الرسول "أنت بطرس. وعلى هذه الصخرة أبنى كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متى ١٦: ١٨)، ولذلك تكون الكنيسة الكاثوليكية التي أسسها بطرس الرسول هي الكنيسة الحقيقية التي يجب أن ينتمي إليها كل المسيحيين حتى يتمتعوا بخلاص الله].

الرد: فضلاً عن أن الذي نادى بالمسيحية في روما، هو بولس الرسول (كما يتضح من الكتاب المقدس)، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة نقول:  
(أ) إن كلمة "كنيسة" أو "كنيست" معناها في الأصل جماعة من الناس تربطهم رابطة ما، ولذلك فلا يراد بها رجال الدين أياً كان شأنهم، أو العقائد أو الطقوس الدينية المستعملة في أي طائفة من الطوائف، كما يعتقد بعض المسيحيين.

وبالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أنه وإن كانت هناك كنائس في بلاد متعددة، لكن هذه الكنائس لم تكن إلا فروعاً لكنيسة المسيح الواحدة، وهذه الكنيسة هي جماعة المؤمنين الحقيقيين في كل العالم (أو بالحري الأشخاص الذين قبلوا المسيح رباً وفادياً في نفوسهم، وحصلوا بهذا القبول على طبيعة روحية من الله تؤهلهم للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية) فقد قال الرسول "أَحَبُّ الْمَسِيحِ أَيْضاً الْكَنِيسَةُ وَأَسْلَمَ نَفْسُهُ لِأَجْلِهَا" (أفسس ٥ : ٢٥)، والمسيح أسلم نفسه لأجل كل هؤلاء المؤمنين، وليس لأجل فريق خاص منهم وقد أشار إلى وحدة الكنيسة المسيحية أعناطيوس في القرن الأول فقال "إنها كنيسة واحدة في العالم أجمع"، كما أشار إليها ترتوليانوس في القرن الثالث، فقال "إن بيت الرب الروحاني واحد" (الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص ٢٣، ٤٥)، والقانون المعروف بقانون الإيمان، فقال "نؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية"، أي جامعة لكل المؤمنين الحقيقيين الذي في العالم، ومقدسة بالمسيح ولشخصه وحده، ومشيدة على الوحي الإلهي الذي أعطاه الله للرسول، وليس على أقوال رجال الدين مهما كان شأنهم.

مما تقدم يتضح لنا أن ما يطلق عليها الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو الإنجيلية أو الرسولية أو كنيسة الله أو المسيح أو... أو... هي مجرد طوائف دينية تجتمع كل منها حول عقائد خاصة بها، وما الألقاب التي تسندها إلى نفسها إلا مجرد أسماء استحسنتها لتمييزها عن غيرها، وقد تنطبق هذه الأسماء عليها أو لا تنطبق. وفي كل طائفة من هذه الطوائف يوجد مؤمنون بالحق، كما يوجد مؤمنون بالاسم. فالمؤمنون بالحق في هذه

الطوائف<sup>٣٨</sup> هم الكنيسة الحقيقية أمام الله. أما المؤمنون بالاسم فليسوا من هذه الكنيسة حتى إذا كانوا من أعظم رجال الدين وأشهرهم بيننا، ومن ثم فالقول [إن هذه الكنيسة هي الحقيقية وإن تلك ليست هي الحقيقية] هو قول بشري لا أساس له في الكتاب المقدس، إذ أن الكنيسة الحقيقية بوصفها جماعة المؤمنين الحقيقيين في كل العالم، لا يمكن تحديدها بحدود مادية، إذ أنها، كما قال ترتوليانوس، روحانية لا مادية.

(ب) أما من جهة الآية التي نحن بصدددها، فإنه لو كان المسيح قصد أن يبني كنيسته على بطرس، لكان قد قال له: أنت بطرس، وعليك أبنى كنيستي، ولكنه لم ينطق بهذا القول، ومن ثم لا مجال في أن المراد بالصخرة، المسيح نفسه، لأنه هو الرموز إليه بها. فقد قال الرسول عن اليهود قديماً "وَجَمِيعُهُمْ أَكَلُوا طَعَاماً وَاحِداً وَرُوحياً وَجَمِيعُهُمْ شَرِبُوا شَرَاباً وَاحِداً وَرُوحياً - لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحية تَابَعْتَهُمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحَ" (١ كورنثوس ١٠ : ٣). فضلاً عن ذلك فإننا إذا رجعنا إلى رسالتي بطرس، لا نرى أنه يدعو نفسه الصخرة، بل يعلن أن الصخرة هي المسيح فقال عنه: إنه صخرة عثرة، أي الصخرة التي لم يشأ بعض اليهود أن يتقوا فيها، فعثروا وسقطوا (١ بطرس ٢ : ٤-٨)، أو بالحري هلكوا إلى الأبد.

(ج) كما أننا إذا رجعنا إلى رسائل بولس الرسول، نراه يعلن لنا أن المسيح هو أساس المؤمنين، فقد قال "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الذي وضع، الذي هو يسوع المسيح" (١ كورنثوس ٣ : ١١)، ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأنه لو

---

<sup>٣٨</sup> - طبعاً ما عدا الطوائف التي لا تؤمن بلاهوت المسيح وكفاية كفارته وولد النفس، إما في السماء أو في الجحيم، وغير ذلك من الحقائق الأساسية في الكتاب المقدس.

كانت الكنيسة بنيت على بطرس، لانهارت منذ زمن بعيد وقويت عليها أبواب الجحيم، إذ أن بطرس كان كثير الأخطاء (اقرأ مثلاً: متى ١٦ : ٢٣ ، ٢٦ : ٢٩ - ٧٥)، الأمر الذي لا يجعله أهلاً لأن يكون أساساً للمؤمنين.

أما قول بولس الرسول عن هؤلاء المؤمنين "مبينين على أساس الرسل والأنبياء" ويسوع نفسه هو حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب، الذي فيه أنتم مبنيون معاً مسكنًا لله في الروح" (أفسس ٢ : ٢٠)، فلا يراد به أن الرسل والأنبياء هم أساس المؤمنين، بل أنهم أول من آمن بالمسيح، ثم بواسطة خدمتهم أتوا بكثيرين إلى الإيمان به، لأن الرسل والأنبياء، كما يتضح من باقي الآيات، هم حجارة في مسكن الله الروحي، أو بالحري أعضاء في كنيسته.

٢. [إن الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية هما أقدم الكنائس وأقربها إلى الرسل، ومن ثم تكونان أقرب الكنائس إلى الحق الإلهي. ويجب أن ينتمي كل المسيحيين إلى إحداهما حتى يتمتعوا بالخلاص].

الرد: فضلاً عن أن المؤمنين الحقيقيين لا ينتمون جوهرياً إلى طائفة بل إلى المسيح، لأنه رأسهم ومصدر حياتهم وإليه وحده مآلهم، فضلاً عن أن صدق العقائد الدينية لا يقاس بالنسبة إلى قدمها، أو اسم الطائفة التي تنسك بها، بل بالنسبة إلى ما جاء في الكتاب المقدس بشأنها، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذا الحجة نقول:

(أ) أن المسيحيين كانوا في أول نشأتهم يتمسكون بالكتاب المقدس دون سواه، ومن ثم كانت لهم في كل البلاد عقائد واحدة. ولكن لما ظهرت البدع في القرن الثاني أطلق المقاومون لها على أنفسهم اسم "أرثوذكس" أي "مستقيمي الرأي" أما الكنيسة

الأرثوذكسية من حيث هي جماعة خاصة لها كيانها، فلم تتكون إلا حوالي سنة ٣٨٧ /  
(كنيسة الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص ١٢٠)، أي بعد ظهور اسم  
الكاثوليكية (أو الكنيسة الجامعة) بمدة ١٨٠ سنة (The Pilgrim Church, P. ١٠).

(ب) ولما حدث نزاع بين المسيحيين بشأن طبيعة المسيح سنة ٤٥١م انقسم  
المسيحيون إلى قسمين. قال القسم الأول: أن المسيح له طبيعتان متميزتان، ويشمل هذا  
القسم الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية. أما القسم الثاني فقال: أن  
المسيح جعل الناسوت واحدا مع اللاهوت، ومن ثم تكون له طبيعة واحدة، ويشمل  
هذا القسم الكنيسة الأرثوذكسية بمصر وغيرها من بلاد الشرق. وبالإضافة إلى ذلك  
فإنه على مر السنين استحدثت كل من الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، عقائد  
متشابهة نشأت من سوء فهم بعض الآيات الكتابية (كما اتضح لنا مما سلف)، بينما  
استحدثت الكنيسة الكاثوليكية وحدها عقائد خاصة بما لم توافق عليها الكنيسة  
الأرثوذكسية.

ويعوزنا الوقت إذا حاولنا أن نحصي العقائد الأخيرة، ولذلك نكتفي بالقول أن  
الكاثوليك بجانب اختلافهم عن الأرثوذكس من جهة طبيعة المسيح كما ذكرنا، ذهبوا  
إلى أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، وأن الاستحالة التي تحدث في العشاء  
الرباني لديهم لا تتم بحلول الروح القدس عليه، وأنه لا يجوز لعامة المؤمنين تناول إلا  
من خبز هذا العشاء دون كأسه، وأنه لا يجوز أن يكون الخبز المذكور به شيء من  
الخمير. كما ذهبوا إلى أن البابا معصوم من الخطيئة، وأن له السلطان أن ينقل أجزاء

الأعمال الصالحة عند الله من شخص إلى آخر، وأن له إصدار صكوك للغفران، وأن التأديب الذي يأمر به هو ورجاله على المخطئين غايته التكفير عن خطاياهم، وليس إصلاح نفوسهم. كما ذهبوا إلى أن نفوس البشر تذهب بعد انطلاقها من أجسادها إلى المطهر لتتطهر بناره من خطاياها وتصبح أهلاً للدخول إلى الفردوس، وأنه كلما رفعت عنها قداديس أكثر، كلما قصرت مدة وجودها في المطهر.

(ج) مما تقدم يتضح لنا أنه فضلاً عن أن الكنيسة المسيحية الحقيقية لا تحدها حدود مادية لأنها روحانية كما ذكرنا، الأمر الذي لا يدع مجالاً للقول أن الكنيسة الحقيقية هي الأرثوذكسية أو الكاثوليكية، فإننا إذا وضعنا أمامنا أن الكنيسة من الناحية الموضوعية الظاهرية تكون (كما قيل في القانون المسمى قانون الإيمان) واحدة (أي لا ثاني لها) وجامعة (أي تشمل جميع المؤمنين الحقيقيين في كل العالم) ومقدسة (أي خالية من الشر خلوًا تامًا، وملتصقة بالرب التصاقاً لا انفصال فيه) ورسولية (أي أن تعليمها هو تعليم الرسل أنفسهم دون زيادة أو حذف)، اتضح لنا أنه لا يمكن أن تكون الكنيسة الحقيقية من الناحية الموضوعية الظاهرية هي الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية أو الإنجيلية أو غيرها من الكنائس المعروفة لدينا. كما أننا إذا وضعنا أمامنا أن الكنيسة الأرثوذكسية لم تتمسك بالكتاب المقدس وحده، بل تمسكت أيضاً بأقوال بعض المسيحيين القدماء الذين أساءوا فهم بعض الآيات الواردة في هذا الكتاب، اتضح لنا أن هذه الكنيسة أصبحت لا أرثوذكسية، لأن الأرثوذكسية كما ذكرنا فيما سلف، معناها استقامة الرأي، وليس هناك مجال لاستقامة الرأي إلا في نطاق الكتاب المقدس، ومن ثم فالاعتقاد [بوجوب الانتماء إلى الكنيسة الأرثوذكسية أو

الكاثوليكية للحصول على الخلاص] يدل على التحيز الطائفي دون التمسك بالحق الإلهي، إذ لو كان أصحاب هذا الاعتقاد على شيء من الإخلاص، لكانوا قد أزالوا الاختلافات التي بين هاتين الكنيستين، وحذفوا من عقائدهما ما يتعارض مع الكتاب المقدس، قبل أن ينادوا باعتقادهم المذكور، إن كان الانضمام إلى كنيسة ما، هو السبيل للحصول على الخلاص.

٣. [إن كل بركات الخلاص الذي تممه المسيح على الصليب قد أودعها في الكنيسة، والدليل على ذلك أن المسيح عندما ظهر لشاوول (الذي صار فيما بعد بولس الرسول) لم يرشده إلى الخلاص، بل أرسل حنانيا إليه لكي يقوم بهذه المهمة. كما أن الملاك نفسه لم يجرؤ على القيام بإرشاد كرنيليوس إلى هذا الخلاص، بل طلب منه أن يستدعي بطرس لكي يرشده، وهذا ما يجعل الخلاص وفقاً على الانتماء إلى الكنيسة].

الرد: فضلاً عن أن المثالين اللذين أوردتهما صاحب هذه الحجة لا يؤيدانه في ما ذهب إليه بشأن الكنيسة، لأن حنانيا وبترس ليسا هما الكنيسة، الأمر الذي لا يدع مجالاً لحجته، نقول:

(أ) أن صاحب الحجة المذكورة يقصد بالكنيسة التي ذكرها، الكنيسة الأرثوذكسية أو الكاثوليكية (لأنه ينظر إلى الجماعات المسيحية الأخرى كمجرد طوائف)، ولكن غاب عن ذهنه أن الكنيسة مهما كان شأنها ليست هي التي تخلص من ينتمون إليها. لأن الذي يخلصهم هو المسيح نفسه، والدليل على ذلك أنه يوجد في كل طائفة من الطوائف المسيحية (وفي مقدمتها ما يطلق عليهما الكنيسة الأرثوذكسية والكاثوليكية)

أشخاص أشرار ومؤمنون بالاسم فحسب، وهؤلاء وأولئك لا خلاص لهم على الإطلاق.

وبما أن المسيح هو الذي يخلص، يجب على الذين يريدون الحصول على الخلاص أن يتجهوا إليه شخصياً تائبين عن خطاياهم ومؤمنين به إيماناً حقيقياً، وقد قصد المسيح أن يحتفظ بالخلاص في يده وحده لأسباب هامة منها:

(١) إنه رأس المؤمنين، ولا يليق أن يكون هناك أي فاصل بين الرأس وبين أعضاء الجسد. (٢) أن الأشخاص المتغربين في بلاد ليست بها كنيسة أرثوذكسية أو كاثوليكية (مثلاً) لا يمكن أن يحصلوا على الخلاص، إذا كان متوقفاً على الانتماء إلى هاتين الكنيستين.

(٣) أن المسيح أكثر عطفاً علينا من أتقى إنسان في الوجود، كما يمكن الالتجاء إليه في أي وقت من الأوقات. أما لو كان الخلاص في يد فريق من الناس لاحتكروه لأنفسهم، ولما أعطوه إلا لذويهم أو للذين يقدمون لهم فروض الطاعة ويجزلون لهم العطاء. (٤) فضلاً عن ذلك، إذا لم تكن للمؤمنين علاقة مباشرة مع المسيح بالروح القدس في العالم الحاضر، لا يمكن أن تكون لهم علاقة معه بعد انطلاقهم من هذا العالم، الأمر الذي يؤدي إلى حرمانهم منه إلى الأبد.

(ب) ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس نرى أن المسيح لا يقول للتعابي (سواء من هموم العالم أم من الخطية) اذهبوا (مثلاً) إلى بطرس أو مرقس، بل يقول لهم "تَعَالَوْا إِلَيَّ (أنا) يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالنَّقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا (أنا) أُرِيحُكُمْ.. وَتَعَلَّمُوا مِنِّي (أنا). فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ" (متى ١١ : ٢٨) ويقول لهم أيضاً "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تُدْعُوا سَيِّدِي لِأَنَّ



مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ" (متى ٢٣ : ٨) وَأَيْضاً "الْتَفِتُوا إِلَيَّ (أنا) وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الْأَرْضِ" (إشعياء ٤٥ : ٢٢)، لَأَنَّ "مَنْ يُقْبِلُ إِلَيَّ (أنا) لَا أُخْرِجُهُ خَارِجاً" (يوحنا ٦ : ٣٧) وهلم جرا. لكن وإن كان الخلاص في يد الرب وحده، غير أن هذا لا يدعو من يؤمن به إلى الانعزال عن باقي المؤمنين، بل بالعكس يدعوهم إلى الالتصاق بهم والاتحاد معهم، لأنه وإياهم أعضاء في جسد واحد، وأعضاء الجسد الواحد تتعاون معاً لخدمة هذا الجسد، ولذلك يقول الرسول لهم "الَّذِي مِنْهُ كُلُّ الْجَسَدِ مُرَكَّباً مَعاً، وَمُقْتَرِناً بِمُؤَاوَزَةٍ كُلِّ مَفْصِلٍ، حَسَبَ عَمَلٍ، عَلَى قِيَاسِ كُلِّ جُزْءٍ، يُحْصَلُ نُمُو الْجَسَدِ لِبُنْيَانِهِ فِي الْمَحَبَّةِ" (١ تسالونيكي ٤ : ٤-١٦)

(ج) أما من جهة الشاهدين الواردين في الحجة التي نحن بصدددها، فإن الغرض من إرسال حنانيا إلى شاول وبطرس إلى كرنيليوس، يرجع إلى أنهما كانا من تلاميذ الرب العارفين بطريق الخلاص، فضلاً عن ذلك لو كان شاول وكرنيليوس قد تلقيا معرفة هذا الطريق بواسطة ملاك ما، لظلا بعيدين عن جماعة الرب على الأرض وحرماً تبعاً لذلك من بركة التعصيد في الحياة الروحية، لأنه لا سبيل إلى هذه البركة إلا بالوجود مع باقي المؤمنين الحقيقيين.

### ثانياً: الحجج الخاصة بسُلطان الحل والربط والرد عليها:

[إن المسيح أعطى تلاميذه سلطاناً لمغفرة الخطايا وإمساكها، فقد قال لهم "أَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكْتُمْ" (يوحنا ٢٠ : ٢٢). ومن ثم يكون هذا السلطان قاصراً عليهم وعلى خلفائهم الموجودين في

الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، ويكون البعيدون عن هاتين الكنيستين لا غفران لهم على الإطلاق].

الرد (أ) إن الغفران أو عدم الغفران هو من حق الله دون سواه. ففي العهد القديم قال داود النبي لله "غَفَرْتَ إِثْمَ شَعْبِكَ. سَتَرْتَ كُلَّ خَطِيئَتِهِمْ" (مزمور ٨٥: ٢)، كما قال عنه إنه "أَمَّا هُوَ فَرَأَوْفٌ يَغْفِرُ الْإِثْمَ وَلَا يُهْلِكُ" (مزمور ٧٨: ٣٨) وفي العهد الجديد قال بولس الرسول للمؤمنين "غَفَرَ لَكُمْ الْمَسِيحُ" (كولوسي ٣: ١٣) و "يَغْفِرُ لَنَا خَطَايَانَا" (١ يوحنا ١: ٩) ومن جهة عدم المغفرة، قال يسوع لليهود عن الله إنه "وَالِهٌ غَيُورٌ هُوَ" (يسوع ٢٤: ١٩)، لأنهم تركوا الله ورجعوا إلى عبادة الأوثان. وقال صموئيل عن الله إنه "وَلَمْ يَشَأْ الرَّبُّ أَنْ يَغْفِرْ" لليهود (٢ ملوك ٤: ٢٤) لأنهم سفكوا دمًا بريئًا. ولذلك خاطبه أرميا النبي مرة قائلًا "كُنْ أذُنُنَا وَعَصِينَا. أَنْتَ لَمْ تَغْفِرْ" (مراثي ٣: ٤٢)

أما الآيات التي نحن بصدددها، فالمسيح لا يقصد بها أن يعطي تلاميذه سلطانه الشخصي من جهة مغفرة الخطايا أو عدم مغفرتها، والدليل على ذلك أنه لم يقل واحد منهم لإنسان ما "مغفورة لك خطاياك" كما كان المسيح يقول من قبل. بل كانوا جميعاً يوجهون أنظار الخطاة إلى الله لكي يحصلوا منه مباشرة على الغفران.

فبطرس الرسول (مثلاً) عندما اكتشف خطية سيمون الساحر قال له "فَتَّبِ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللَّهِ عَسَى أَنْ يُغْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ" (أعمال ٨: ٢٢)

وإذا كان ذلك كذلك، أدر كنا أن المسيح يعطانه هذا السلطان لتلاميذه، لم يتنازل عنه هم وأصبحوا هم الوساطة التي يلجأ إليها الناس للحصول على الغفران، بل خوهم

فقط حق إرشاد الناس إلى ما يجب عليهم القيام به من أمور حتى تغفر خطاياهم، فإذا قاموا بها أعلنوا لهم غفران خطاياهم، وإذا لم يقوموا بها أنذروهم بإمساكها. وهذه الأمور هي التوبة والإيمان الحقيقي، كما يتجلى على كل صفحة من صفحات الوحي.

(د) ويرجع السبب في ذلك إلى أن الإنجيل الذي يعلن السبيل إلى غفران الخطايا أو إمساكها لم يكن قد كتب بعد. وأن الروح القدس العامل في التلاميذ (والذي كان المسيح قد طلب منهم أن يقبلوه، قبل إعطائهم التفويض بإعلان غفران خطايا الناس أو إمساكها) هو الذي كان يجل محل الإنجيل وقتئذ، ومن ثم كانوا هم الوسطة الإلهية التي يعرف الناس عن طريقها السبيل إلى غفران الخطايا أو إمساكها كما ذكرنا، وكان من الواجب على الناس أن يسمعوا أقوالهم وينفذوا إرشاداتهم بكل دقة وإخلاص. أما وقد كتب الإنجيل ووصل إلى أيدينا كاملاً، فلننا في حاجة بعد (ما دمنا نستطيع أن نقرأ ونفهم) إلى إنسان ما، مهما كان مركزه الديني، لكي يعلن لنا أن خطية ما قد غفرت أو أمسكت. إذ يمكننا أن نعرف كل شيء عن هذا الموضوع من الكتاب المقدس مباشرة: فإذا لم يتب إنسان ويؤمن إيماناً حقيقياً بالمسيح فلن تغفر له خطايها، حتى إذا أعلن له رجال الدين جميعاً أنها تغفر، والعكس بالعكس.

(ج) أخيراً نقول أن الرسل كانوا يستعملون سلطان غفران الخطايا وإمساكها، ليس حسب آرائهم الشخصية (كما يفعل الذين يسندون إلى أنفسهم هذا السلطان في الوقت الحاضر)، بل حسب مشيئة الله وحدها. ولذلك كانوا يطلبون الصفح للناس الذين يسيئون إليهم إساءات شخصية، عملاً بقول المسيح "أَحْبُوا أَعْدَاءَكُمْ" (متى ٥: ٤٤) ولذلك طلب بولس الرسول من الله ألا يحسب للذين تركوه أثناء محاكمته، خطية

عدم تعاونهم معه. أما الذين قاوموا الإنجيل، لم يكن في وسعه أن يطلب الصفح عنهم، لأن الإساءة كانت إذ ذاك موجهة ضد الله نفسه، ومن ثم طلب منه أن يجازيهم حسب أعمالهم (٢ تيموثاوس ٤ : ١٤-١٦).

مما تقدم يتضح لنا أنه على فرض وجود خلفاء للرسول، فإنه لا يكون لواحد منهم سلطان غفران الخطايا أو إمساكها بالمفهوم الأرثوذكسي والكاثوليكي.

٢. [إن المسيح قال لبطرس الرسول "وَأَعْطَيْكَ مَفَاتِيحَ<sup>٣٩</sup> مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (متى ١٦ : ١٩)، وهذا دليل على أن المسيح أعطاه السلطة لفتح السماء أمام من يشاء. ومن ثم يجب على كل الناس أن يلتفتوا إليه أو إلى خلفائه الذين في الكنيسة الكاثوليكية حتى يكون لهم نصيب في الحياة الأبدية].

المعنى (أ) لا يراد بهذه الآية أن المسيح أعطى بطرس امتياز فتح السماء أمام من يشاء، كما يقال، لأن ملكوت السموات ليس هو السماء، بل هو دائرة الإيمان بالمسيح على الأرض. والدليل على ذلك، أن هذا الملكوت كما يتضح من (متى ١٣ : ٢٤-٥٠) يوجد به مؤمنون حقيقيون لهم حياة أبدية، كما يوجد به أشرار مصيرهم العذاب الأبدية. بينما السماء ليس بها، كما نعلم، إلا المؤمنون الحقيقيون الذين لهم حياة أبدية. وإذا كان الأمر كذلك، أدر كنا أن الغرض من فتح ملكوت السموات، هو فتح باب الإيمان بالمسيح على الأرض أمام جميع الناس دون استثناء. ولذلك إذا رجعنا إلى

---

<sup>٣٩</sup> كان الناموسيون يأخذون مفتاحاً يطلق عليه مفتاح المعرفة عند تعيينهم في وظائفهم رمزاً لأنه أصبح لهم حق التعليم والإرشاد (لوقا ١١ : ١١)، أما المفاتيح المذكورة أعلاه ليست مادية بل روحية.

الكتاب المقدس نرى أن بطرس هو الرسول الذي استخدمه المسيح للقيام بهذا العمل في أول الأمر. ففي يوم الخمسين وعظ اليهود عن قيامة المسيح وصعوده إلى السماء، «نَحْسُبُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَسَأَلُوا بَطْرُسَ وَسَاتَرَ الرَّسُلَ: «مَاذَا تَصْنَعُ أَيُّهَا الرَّجَالُ الْإِخْوَةُ؟ فَقَالَ لَهُمْ بَطْرُسُ: «تُؤْبُوا وَلِيَعْتَمِدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ... فَاقْبَلُوا كَلِمَتَهُ بِفَرَحٍ وَاعْتَمِدُوا وَأَنْصَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ آلَافِ نَفْسٍ» (أعمال ٢٠: ٢٧-٤١).

(ب) وبناء على رؤيا خاصة من الله، ذهب بطرس نفسه بعد ذلك إلى كرنيليوس وأنسابه وأصدقائه (وكانوا جميعاً من الأمم الذين لم يكن لأحد من اليهود أن يتصل بهم وقتئذ، خشية أن يعتبر نجساً بسبب انحراف الأمم عن الله وعبادتهم الأوثان). وبينما كان يركز لهم بالإنجيل حل الروح القدس عليهم للدلالة على أنهم آمنوا بالمسيح إيماناً حقيقياً وأصبحت لهم حياة أبدية) (أعمال ١٠: ٢٤-٤٢)، على النقيض مما كان اليهود يتوقعون أن يعتقدوا، وقد أشار بطرس الرسول مرة لليهود إلى أحقية قيامة بفتح باب الإيمان للأمم جميعاً، فقال لهم «أَيُّهَا الرَّجَالُ الْإِخْوَةُ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْذُ أَيَّامٍ قَدِيمَةٍ اخْتَارَ اللَّهُ بَيْنَنَا أَنَّهُ بِقِيَمِي<sup>٤٠</sup> يَسْمَعُ الْأُمَّمُ كَلِمَةَ الْإِنْجِيلِ وَيُؤْمِنُونَ» (أعمال ١٥: ٧)، ومذ فتح بطرس باب الخلاص أمام جميع الناس يارشاد الله كما ذكرنا، لا يزال هذا الباب مفتوحاً، وما على الذين يريدون أن يتمتعوا بهذا الخلاص من أي جنس من

---

<sup>٤٠</sup> - إن المسيح لم يعط بطرس هذا الامتياز لأنه كان أفضل من غيره من الرسل، بل لأنه كان أول من عرف شخصه حق المعرفة (متى ١٦: ١٦).

الأجناس إلا أن يؤمنوا بالمسيح إيماناً حقيقياً. وإذا كان ذلك كذلك، فلا مجال للقول بأن حق الدخول إلى السماء، هو في يد بطرس وخلفائه، إن كان له خلفاء<sup>٤١</sup>.

٣. [إن المسيح قال لتلاميذه "الحق أقول لكم: كُلُّ مَا تَرَبُّطُونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَرَبُوطاً فِي السَّمَاءِ وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الْأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ" (متى ١٨: ١٨) وبذلك أصبح لهم أن يحاكموا الخطاة ويحكموا عليهم بالنار على أنه ليس هناك خلاص إلا بواسطة الرسل وخلفائهم الموجودين في الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية].

المعنى (أ) لا يستنتج من هذه الآية أن المسيح أعطى تلاميذه سلطان غفران الخطايا أو عدم غفرانها، لأن هذا السلطان في يده دون سواه كما ذكرنا. وكل ما يستنتج من الآية المذكورة أن الرسل إذا ربطوا خطية إنسان على الأرض أو حلوه منها، يصادق الله على تصرفهم هذا في السماء. ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا يتصرفون في كل كبيرة وصغيرة من أعمالهم حسب إرشاد الروح القدس لهم، وليس حسب آرائهم الشخصية. و"ربط الخطية" كما يتضح من الكتاب المقدس، يراد به إعلان فدايتها وشناعتها، كما يراد به حرمان فاعلها من الاتصال بالمؤمنين والاشتراك معهم في العبادة وتوقيع التأديب المناسب عليه في الزمن الحاضر، حتى يستفيق من غفلته ويعود إلى

<sup>٤١</sup> - بحثنا موضوع الخلافة بالتفصيل في كتاب "الكهنوت".

صوابه و "الحل" يراد به رفع هذا التأديب عن فاعل الخطية إذا ندم عليها وتاب عنها، وإعادته بعد ذلك إلى مكانته بين المؤمنين التي كان يشغلها من قبل<sup>٤٢</sup>.

(ب) و"سلطان الحل والربط" لم يعطه الرب لتلاميذه بصفتهم الشخصية، بل بصفتهم باكورة المؤمنين الحقيقيين وقتئذ. وتتضح لنا هذه الحقيقة بكل جلاء عندما نقرأ الآية التي نحن بصددنا مع الآيات السابقة لها. فقد قال الرب لكل واحد من المؤمنين "وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. أن سمع منك فقد ربحت أخطاك. وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة (أو بالحري للمؤمنين الحقيقيين الذين في بلدتك) وإن لم يسمع من الكنيسة (أو بالحري من هؤلاء المؤمنين) فليكن عندك كالوثني والعشار (أي لا تعامله على الإطلاق). الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (متى ١٨: ١٥-١٨).

ولذلك لم يحتكر الرسل لأنفسهم سلطان الحل والربط، بل كانوا يقومون به الاشتراك مع باقي المؤمنين. فمثلاً عندما سقط أحد المؤمنين في خطية الزنا، قال بولس الرسول

<sup>٤٢</sup> - مما تجدر الإشارة إليه أنه جاء في (صحيفة ٥٢٥ من كتاب "حياة المسيح" تعريب الدكتور عقداوي الأرنؤذكسي المشهور) "أن سلطان الحل والربط يراد به تحويل التلاميذ حتى إصدار الأوامر والنواهي للمؤمنين"، لكن وإن كان هذا الرأي يقضى على الاعتقاد بأن الرسل كان لهم السلطان أن يغفروا الخطايا أو لا يغفروها، غير أننا لا نقر صاحب الكتاب المذكور على رأيه هذا، لأن المسيح أعطى سلطان الحل والربط للكنيسة أو بالحري لجماعة المؤمنين الحقيقيين (متى ١٨: ١٥-١٨)، وهؤلاء المؤمنون ليس لهم سلطة التشريع، إذ يجب عليهم جميعاً التقيد بما أعطاهم الله من وصايا في الكتاب المقدس، دون أن يزيدوا عليها أو يحذفوا منها (رؤيا ٢٢: ١٨-١٩).

لأهل كورنثوس "قَدْ حَكَمْتُ.. بِاسْمِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ - إِذْ أَنْتُمْ وَرُوحِي مُجْتَمِعُونَ مَعَ قُوَّةِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ - أَنْ يُسَلِّمَ مِثْلُ هَذَا (الزاني) لِلشَّيْطَانِ لِهَلَاكِ الْجَسَدِ (أَوْ بِالْحَرْبِ لِإِصَابَتِهِ بِالْأَمْرَاضِ الْفَتَاكَةِ) لِكَيْ تَخْلُصَ الرُّوحُ فِي يَوْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ" (١ كورنثوس ٥ : ٣-٥) ٤٣

(ج) ومن باب الحل والربط بصفة عامة، قول الرسول لنا: "إِنْ رَأَى أَحَدٌ أَخَاهُ يُخْطِئُ خَطِيئَةً لَيْسَتْ لِلْمَوْتِ، يُطَلَّبُ (مِنْ اللَّهِ)، فَيُعْطِيهِ حَيَاةً لِلَّذِينَ يُخْطِئُونَ لَيْسَ لِلْمَوْتِ. تُوجَدُ خَطِيئَةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لِأَجْلِ هَذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطَلَّبَ" (١ يوحنا ٥ : ١٦)، فالؤمن (أَوْ بِالْحَرْبِ الْمُؤْمِنِ الْحَقِيقِيِّ) السائر في خوف الله، بوصفه عارفاً بفكر المسيح عن طريق الطاعة القلبية له والشركة الروحية معه (١ كورنثوس ٢ : ٢٦)، إذا رأى أحداً قد ارتكب خطية (شنيعة أو خطية تكرر ارتكابه لها يوقع الله عليه بسببها مرضاً ما، وأدرك أن الله قد أمسك على هذا الأخ خطيته، يجب ألا يصلي لأجل شفائه، بل أن يتركه وشأنه تحت التأديب الإلهي حتى إذا أدى به الأمر إلى الموت. وإن رأى آخر قد ارتكب خطية (صغيرة نسبياً أو خطية لم يسبق له السقوط في مثلها) يوقع الله عليه بسببها مرضاً، يمكن أن يصلي لأجل شفائه حتى ينهض الأخ المذكور من مرضه، ويستأنف حياته على الأرض في خدمة الرب وعمل مشيئته.

٤٣ - ولكي يقوم المؤمنون بهذا العمل يجب أن يحاولوا أولاً إصلاح المخطيء بروح الوداعة (غلاطية ٦ : ١) مرة ومرتين (تيطس ٣ : ١٠) وإن أصر بعد ذلك على الاستمرار في خطيته، اجتمعوا باسم الرب لينظروا في أمره. واجتماع مثل هذا له خطورته، إذ أنه يتطلب منهم أن يكونوا تحت تأثير الرب دون سواه. كما يجب أن يضعوا أمام عيونهم أثناء قيامهم بهذا العمل، أنهم أنفسهم معرضون للخطأ مثل هذا الشخص (غلاطية ٦ : ١) حتى لا يكونوا مغالين في حكمهم عليه.



أما القول [إن الموت في الآية التي نحن بصددتها يراد به العذاب الأبدي] فليس بصواب، لأننا لو سلمنا بهذا القول، لكانت هناك خطايا لا تستحق العذاب المذكور. وهذا ما يتعارض مع الكتاب المقدس كل التعارض، لأنه يعلن لنا أن من قال فقط "يا أحمق" يكون مستوجباً نار جهنم (متى ٥ : ٢٢)، وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن الموت هنا لا يراد به إلا الموت الجسدي تحت التأديب كما ذكرنا.

(٥) أخيراً نقول أن سلطان ربط الخطايا الذي كان يمارسه الرسل كان مصحوباً بقوة معجزية فمثلاً: لما قاوم عليهم الساحر إنجيل الله، قال له بولس الرسول "فَالآنَ هُوَ ذَا يَدُ الرَّبِّ عَلَيْكَ فَتَكُونُ أَعْمَى لَا تُبْصِرُ الشَّمْسَ إِلَى حِينٍ. فَفِي الْحَالِ سَقَطَ عَلَيْهِ ضَبَابٌ وَظُلْمَةٌ فَجَعَلَ يَدُورُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَقُوذُهُ بِيَدِهِ" (أعمال ١٣ : ١١) حتى يتوب عن شره ويؤمن بالمسيح، لأنه لم يكن مؤمناً به. والذي ارتكب خطية الزنا في ساعة من ساعات الطيش، طلب الرسول من المؤمنين ألا يخالطوه، وليس هذا فحسب بل أسلمه للشيطان ليهلك جسده حتى تخلص روحه في يوم الرب يسوع (١ كورنثوس ٥ : ١٥) كما ذكرنا فيما سلف<sup>٤٤</sup>.

والذين استهانوا بمائدة الرب أصابهم الله بالضعف والمرض والموت أيضاً. حتى لا يدانوا مع العالم (١ كورنثوس ١١ : ٣)، لأنهم مع الشخص الذي ذكرناه من قبل كانوا من المؤمنين الحقيقيين. وإذا ذلك كذلك، أدركنا أنه لو كان للرسل خلفاء في الوقت الحاضر، لا يكون لهم سلطان على غفران الخطايا أو ربطها، بمعنى إنقاذ فاعليها من

---

<sup>٤٤</sup> - لكن لما وجد أنه حزن حزناً مفرطاً، رفع التأديب عنه وأوصى المؤمنين أن يقبلوه في الشركة معهم (٢ كورنثوس ٥ :

جهنم أو إلقائهم فيها، حسب المفهوم الأرثوذكسي والكاثوليكي. كما أدركنا أنه نظراً لأن الذين يسندون إلى أنفسهم وحدهم سلطان الحل والربط في الوقت الحاضر، لا يستطيعون أن يبرهنوا على أحقيتهم فيه بأعمال معجزية كما كان يفعل الرسل من قبل، يكون إسنادهم هذا السلطان إلى أنفسهم فقط، مجرد تقليد لا يرفع من شأنهم أو قدرهم، إذ يكون مثلهم مثل الخادم الذي يقلد سيده في حديثه وأعماله، فإنه مهما أتقن تقليده لا يرتفع إلى مركز سيده على الإطلاق.

٤. [إن سلطان الحل والربط بالمفهوم الأرثوذكسي والكاثوليكي، كان موجوداً في الكنيسة منذ نشأتها، ومن ثم يكون منقولاً عن الرسل أنفسهم].

الرد: هذا الاعتقاد ليس بصواب، لأنه بالرجوع إلى التاريخ<sup>٤٥</sup> نرى: (أ) أن سلطان الربط لم يكن في يد رجال الدين مهما كان شأنهم، بل كان في الكنيسة (أو بالحري المؤمنين الحقيقيين كما ذكرنا)، وذلك لغاية القرن الثالث. وكان هذا السلطان قاصراً على حرمان المخطيء من العشاء الرباني وولائم الخبة، ولكن في القرن الرابع أخذ بعض الأساقفة يحتكرونه لأنفسهم شيئاً فشيئاً، حتى تم لهم ذلك نهائياً بواسطة مجمع رومية سنة ٥٠٢م.

(ب) وبعد ذلك حولوا هذا السلطان إلى حق القضاء باللعنة وبالحرمان (الأناثيما) معاً، ومن ثم أخذوا يصبون اللعنة الواردة في (تشبية ٢٧، ٢٨) على الخاطئين ويقضون بطردهم من الكنيسة وحرمانهم من السماء أيضاً. فثار ضدهم كثير من القديسين ووجهوا نظرهم إلى أن اللعنة تكون على أعمال المخطئين لا على المخطئين أنفسهم،

<sup>٤٥</sup> - رجاعة النفوس ص ١٣٦ - ١٤٤.

وإلى أن الحرمان من السماء ليس في يدهم بل في يد المسيح وحده. لكن الأساقفة المذكورين لم يصغوا لأقوالهم على الإطلاق.

(ج) فضلاً عن ذلك لما أصبح لكنيسة روما سلطة مدنية في القرن التاسع، قرر مجمع بافيا سنة ٥٠٨ م أن المحروم من الكنيسة لا يعين في الوظائف الحكومية ولا تقبل شهادته أمام المحاكم، ولا تعتمد وصيته الأخيرة، ولا يدفن إلا كما يدفن الحمار. كما أن الأساقفة بعد ما كانوا يستعملون سلطان الحرم ضد المخطئين الذين في كنائسهم فحسب، أخذوا يستعملونه ضد من لا يقضون لهم حاجتهم، حتى إذا كانوا بعيدين عن نفوذهم الديني. ومن ثم فلا مجال لهذه الحجة أيضاً.

## ٥

## الإعتراف

إن الاعتراف بالخطية يكون لله وحده، وذلك لسببين (الأول) أن الخطية هي إساءة إلى الله، والاعتراف لا يكون قانونياً أو مجدياً إلا إذا كان موجهاً إلى المساء إليه (الثاني) أن الله وحده هو الذي له حق الغفران، ومن ثم ليست هناك فائدة من الاعتراف بالخطية أمام غيره على الإطلاق. ولكن الأرثوذكس والكاثوليك يقولون [إن الاعتراف بالخطية يجب أن يكون أمام الكهنة لديهم، لأن الله أعطاهم سلطان منح الغفران]. ومع أن الله لم يعط أحداً من البشر هذا السلطان كما ذكرنا في الفصل السابق، ولم يعين هو أو رسله كهنة بالمعنى الحرفي، لأن عمل هؤلاء هو إقامة الذبائح الكفارية، وهذه الذبائح لم تعد لها ضرورة بعد كفارة المسيح (عبرانيين ١٠ : ١٩)، وذلك لتحقيقها كل مطالب عدالة الله إلى الأبد (عبرانيين ٩ : ١٢)<sup>٤٦</sup>، الأمر الذي لا يدع مجالاً لقول الأرثوذكس والكاثوليك هذا، لكن استيفاء للبحث نذكر فيما يلي حججهم الخاصة بهذا الموضوع مصحوبة بالرد عليها.

---

<sup>٤٦</sup> - لكن وإن لم يكن هناك كهنة بالمعنى الحرفي في العهد الجديد، غير أن هناك كهنة بالمعنى الروحي فيه. وهؤلاء الكهنة هم المؤمنون الحقيقيون، وذلك لأنه أصبح لهم امتياز الاقتراب من الله في المسيح. فقد قال الرسول عن المسيح إنه "الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ" (رؤيا ١ : ٥-٦)

## أولاً: الآيات الكتابية، ومعناها الحقيقي:

١. [قال يعقوب في رسالته "أَمْرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُبُوحَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهُونَهُ بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلَاةَ الْإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيئَةً تُغْفَرُ لَهُ. اعْتَرَفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلَاتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لِأَجْلِ بَعْضٍ لِكِي تُشْفَوْا" (يعقوب ٥: ١٦، ١٧)، ولذلك لا مجال للغفران إلا بواسطة الاعتراف للقسوس].

المعنى (أ) لكي نعرف المراد بالقسوس نقول: أن هذه الكلمة معربة عن الكلمة السريانية "قشيشو" ومعناها شيخ أو شخص متقدم في السن. وبالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن القسيس هو الأسقف بعينه، فقد قال الوحي عن الرسول إنه ميليتس استدعى قسوس الكنيسة. فلما جاؤوا إليه قال لهم "احْتَرِزُوا إِذَا لَأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمْ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً" (أعمال ٢٠: ٢٨)، أما الإعتراض [بأن الأسقف لأنه يعمل عمل القسيس فمن الجائز أن يسمى قسيساً. مع أنه في ذاته ليس قسيساً]، فلا يجوز الأخذ به، لأن الكتاب لا يدعو الأسقف قسيساً بل يدعو القسيس أسقفاً، وهذا لا يجوز إلا إذا كان القسيس هو الأسقف بعينه "٤٧

كما أنه بالرجوع إلى الكتاب المقدس، يتضح لنا أنه لا يطلق على القسوس لقب كهنة بالمعنى الحرفي. ويرجع السبب في ذلك إلى أن العمل الأساسي للكهنة بهذا المعنى هو تقديم الذبائح الكفارية، بينما أعمال القسوس تنحصر في الوعظ والتعليم والتدبير

<sup>٤٧</sup> - أما التفرقة بين القسيس والأسقف، فقد حدثت في القرن الثاني بعد انتقال الرسل من هذا العالم. فقد استحسن كثير من القسوس أن يقيموا لهم رئيساً مشهوراً بالفتنة لكي يوزع عليهم أعمالهم ويضع حداً لما يقوم بينهم من نزاع. وقد أطلقوا على هذا الشخص وحده لقب أسقف، أو ناظر.

(تيطس ١ : ٩ ، ١ تيموثاوس ٣ : ٥). ولو فرضنا جدلاً أن العشاء الرباني هو ذبيحة، (كما يقول الأرثوذكس والكاثوليك)، فإن الوحي لا يسند القيام به إلى القسوس، ومن ثم لا يجوز كتابياً أن يطلق عليهم كهنة بالمعنى الحرفي على الإطلاق<sup>٤٨</sup>.

(ب) فضلاً عما تقدم، فإن الآيات التي نحن بصددنا لا تدل على أن المؤمنين يجب أن يعترفوا بخطاياهم للقسوس أو الشيوخ، بل أن يعترفوا بها للأشخاص الذين يخطئون إليهم، فإذا كانوا يخطئون إلى القسوس (مثلاً) يجب أن يعترفوا لهم. وعلى هذا النسق نفسه، إذا كان القسوس يخطئون إلى إخوانهم المؤمنين من غير القسوس، يجب أن يعترفوا بدورهم لهؤلاء المؤمنين، لأن هذا هو ما يستنتج من قول الوحي "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات. وصلوا بعضكم لأجل بعض". وبعتراف المؤمنين جميعاً بعضهم لبعض بالزلات وصلاة بعضهم لأجل البعض الأخر، يزول من بينهم الخصام، وبزواله تزول العلل والأمراض التي يسمح الله بها تأديباً لهم لأجل الخصام المذكور. كما أن هذه الآيات لا تقول أن القسوس يغفرون الخطية، أو يتوسطون لله لأجل غفرانها، بل تقول "وإن كان قد فعل (المريض) خطية تغفر له"، أي أن الله هو الذي يغفرها له وليس القسوس لأنه ليس هناك داع لأن يستعمل الوحي صيغة المبني للمجهول في الآيات المذكورة لو كان القسوس المذكورون فيها هم الذين يغفرون الخطية.

(ج) ومما تجدر ملاحظته في هذه المناسبة أن هذا الآيات، لا تقول عن القسوس أنهم يدهنون المريض (بالزيت) بأل التعريف، بل تقول "بزيت" فقط. كما أنها لا تقول أن

---

<sup>٤٨</sup> - ولكنهم أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم في القرن الثالث عندما اعتبروا العشاء الرباني ذبيحة، تقدم لله للحصول على الغفران.

الزيت يشفي المريض بل تقول أن صلاة الإيمان هي التي تشفيه ومن ثم يكون المراد بكلمة "زيت" هنا هو زيت الزيتون العادي الذي كان ولا يزال يستعمل في بلاد فلسطين، ليس فقط في إعداد الأطعمة بل وفي إعداد الأدوية أيضاً، ومن ثم لا يكون هذا الزيت سراً من الأسرار كما يقال. فضلاً عن ذلك بل كان يمنحه بواسطة وضع الرسل أيديهم على المرضى أو الصلاة لأجلهم أو المسك بأيديهم (مرقس ٦: ١٣)، لأنه كان قد أيد هؤلاء الرسل بالموهب المعجزية التي تثبت صدق رسالتهم للعالم، وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن هذا الزيت لم يكن إلا وسيلة من وسائل العلاج العادية التي ألفها اليهود قديماً (والتي لا يزال يستعملها الكثير من الناس في علاج بعض الأمراض كما هو معلوم لدينا)، فقد كانوا يضعون على الضربات والجروح زيتاً (إشعياء ١: ٦) أو خمراً وزيتاً (لوقا ١: ٣٤) ومما يثبت ذلك أيضاً أن الرسول لم يقل أن يرشوا<sup>٤٩</sup> المريض بزيت، بل أن يدهنوه بزيت، أي يدهنوا جسده كله أو الجزء المصاب منه. أما في العهد الجديد فقد أعلن الوحي أن الدهن بالزيت لا يكفي وحده للشفاء، بل لا بد أن يكون مصحوباً بالاعتراف بالخطية وصلاة الإيمان.

٢. قال الوحي عن اليهود إنهم اعتمدوا من يوحنا معترفين بخطاياهم (متى ٣: ٦)، وإن الذين آمنوا بالمسيح كانوا يأتون إلى الرسل معترفين ومخبرين بأفعالهم (أعمال ١٩: ١٨) المعنى: هاتان الآيتان لا تدلان على أن الاعتراف يكون سرياً أمام القسوس أو غير القسوس لأجل الحصول على الغفران، بل تدلان على أنه يكون علناً للشهادة على

---

<sup>٤٩</sup> - "الرشم"، كما هو معروف بين الجماعات التي تعتقد أن الزيت المذكور سر من الأسرار، هو عمل علامة على هيئة صليب صغير بهذا الزيت، على بعض أعضاء الجسم، كالجبهة واليدين.

نعمة الله التي تخلص من الخطية وتغفرها، وهذا ما يليق بنا جميعاً أن نفعله عندما نخبر بفضائل الذي دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب (١ بطرس ٢: ٩) وقد سبقنا الرسول إلى هذا الاعتراف فقال "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أُولَهُمْ أَنَا" (١ تيموثاوس ١: ١٥)

٣. قال الله لموسى النبي "فَإِنْ كَانَ يُدْنِبُ (إنسان) فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ (الوصايا) يُقْرَبُ بِمَا قَدْ أَخْطَأَ بِهِ. وَيَأْتِي إِلَى الرَّبِّ بِذَبِيحَةٍ لِإِثْمِهِ عَنْ خَطِيئَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا" (لاويين ٥: ٥)

المعنى: (أ) هذا الإقرار أو الاعتراف لم يكن سريعاً بل علنياً، ولم يكن الغرض منه أن يغفر الكاهن في العهد القديم خطية المخطيء، بل أن يطلب منه الذبيحة القانونية حتى يغفر له الله خطيته. لكن لا يمكن أن يكون هذا هو الحال معنا في العهد الجديد، لأننا نعلم أن المسيح قدم نفسه ذبيحة لله (أفسس ٥: ٢)، وأن ذبيحته قد حققت كل مطالب عدالة الله وقداسته إلى الأبد، حتى أعلن الوحي أنه "لَا يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ الْخَطِيئَةِ" (عبرانيين ١٠: ١٨)، ومن ثم لا يتطلب الأمر منا إذا أخطأنا أن نقدم ذبيحة (أو يقدمها أحد لأجلنا) لكي نحصل على الغفران. فضلاً عما تقدم فإن المسيح كما أنه هو الذبيحة هو أيضاً الكاهن فقد قال الوحي عنه إنه كاهن عظيم على بيت الله (عبرانيين ١٠: ١١)، ولذلك فالاعتراف بالخطية يكون له وحده، والغفران عن الخطية يكون منه وحده، وبفضله وحده.

٤. قال الله لموسى النبي أيضاً إنه بعد ذبح تيس الخطية يضع هرون يديه على رأس التيس الحى، ويعترف عليه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم،



ويجعلها على رأس هذا التيس. ثم يرسله بيد من يلاقيه في البرية ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة (لاويين ١٦ : ١٥ ، ٢٢)

المعنى: أن المعترف بالخطية هنا، ليس هو الخاطيء بل بالكاهن، وذلك بوصفه ممثل الخطاة جميعاً. والمعترف عليه ليس هو الكاهن بل الذبيحة التي كانت رمزاً لربنا يسوع المسيح حال كونه حاملاً خطايانا، ومن ثم لا يسوغ اتخاذ هذا الآية مبرراً للاعتراف أمام شخص ما للحصول بواسطته على الغفران. أما معنى هذه الآيات فهو :

(أ) أن التيس الأول كان رمزاً لكفارة المسيح، لأن دمه كان يوضع في قدس الأقداس (المكان الرمزي لحضرة الله) مثلاً لإيفاء مطالب عدالته ورد الاعتبار اللائق به. أما التيس الثاني، فكان رمزاً لنيابة المسيح عن الخطاة، لأنه كان يحمل خطايا الناس عوضاً عنهم.

(ب) أن هرون بوصفه الممثل الشرعي للشعب القديم، كان يقر بذنوبهم على التيس الحي، وكان ذلك رمزاً لوضع الله خطايانا على المسيح وقبوله إياها على نفسه عوضاً عنا (إشعياء ٣٥ : ٦-١٢) كما أن إطلاق هذا التيس إلى البرية أو الأرض المقفرة بعد ذبح تيس الخطية، كان رمزاً لأن الخطايا التي كفر المسيح عنها بموته على الصليب لن تذكر فيما بعد (عبرانيين ٨ : ١٢)، الأمر الذي يهديء روح الخاطيء المرتحف ويملؤه راحة وسلاماً. كما يقوده للشكر والحمد لله والسلوك في سبيله بكل محبة وإخلاص.

وإذا كان ذلك كذلك، لا يجوز أن نعترف بخطايانا أمام إنسان ما، لكي ننال بواسطته الصفح والغفران، بل يجب أن نعترف بها أمام من حمل قصاصها نيابة عنا، لأنه هو وحده الذي يستطيع أن يغفرها لنا.

٥. قال يسوع لعخان "يا ابني، أعطِ الآن مَجْدًا لِلرَّبِّ إِلَه إسرائيل، وَاَعْتَرِفْ لَهُ وَأَخْبِرْنِي الْآنَ مَاذَا عَمَلْتَ" (يسوع ٧: ١٨)

المعنى: يتضح لنا من هذه الآية والآيات التالية لها أن اعتراف عخان بما عمله من شر لم يكن ليسوع بل كان لله، وأن غرض يسوع من معرفة هذا الشر، لم يكن النظر في منح الغفران لعخان، بل إشهار خطيته حتى يتضح للملاء استحقاقه للقصاص الذي كان الله عتيدا أن يوقعه عليه. إذا كان موقف يسوع موقف القضاء والمحاكمة، وكان اعتراف عخان اعتراف مذنب أمام الحكمة الإلهية التي كان يمثلها يسوع الحاكم السياسي للأمة، ولذلك كانت نتيجة المحاكمة، ليس الغفران بل إصدار الحكم بجرم عخان هو وأفراد عائلته. ولذلك ليس هناك مجال لاتخاذ هذه الآية مبرراً للاعتراف أمام القسوس أو غير القسوس للحصول على الغفران.

٦. لما قال داود لنathan النبي "قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ" فَقَالَ Nathan لداود: «الرَّبُّ أَيْضاً قَدْ نَقَلَ عَنْكَ خَطِيئَتَكَ. لَا تَمُوتُ" (٢ صمو) يل ١٢: ١٣)

الرد: يتضح من هذه الآية وما قبلها أن Nathan لم يطلب من داود أن يعترف له بخطيته، بل كل ما فعله أنه أيقظ ضمير داود، فأحس داود بما ارتكبه من خطأ، ومن ثم صاح قاتلاً: "قَدْ أَخْطَأْتُ إِلَى الرَّبِّ" كما يتضح أيضاً أن Nathan لم يغفر لداود خطيته بل أعلن

له أن الله قد غفرها له، لأن ناثان رأى أن داود قد اعترف بما وندم لارتكابها، وهذا هو كل ما يطلبه الله من المؤمن الحقيقي حتى يمنحه الصفح والغفران. فمكتوب "وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ" (أمثال ٢٨ : ١٣)

### ثانياً: الاعتراضات والرد عليها:

١. [إن المؤمنين الذين يسيئون إلى الله بعمل الخطية، لا يكون في وسعهم أن يدنوا منه ويعترفوا له بخطيتهم، ومن ثم لا مفر من أن يعترفوا بها أمام القسوس].

الرد: من المعلوم لدينا جميعاً أن الاعتراف لا يكون قانونياً أو مجدياً، إلا إذا كان مقدماً للشخص المُساء إليه كما ذكرنا. وبما أن الخطايا التي نأتيها أحياناً هي قبل كل شيء إساءة إلى الله لأنها تتعارض مع الوصايا التي أعطها لنا، وفي الوقت نفسه لم يأمرنا تعالى بأن نعترف بخطايا لشخص سواه، لذلك يجب أن نعترف بما له وحده.

وبالإضافة إلى ذلك، فإننا إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نرى أنه حتى المؤمنين الذين عاشوا في العهد القديم (والذين كان الله قد عين لهم كهنة يتوسطون بينهم وبينه ويرفعون الذبائح له نيابة عنهم) كانوا يعترفون بخطاياهم له وحده، فقد قال داود النبي "أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيئِي" (مزمور ٣٢ : ٥)، كما قال الله "إِلَيْكَ وَحَدِّكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قَدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ" (مزمور ٥١ : ٤) وقال نحميا لله "لِتَكُنْ إِذْنُكَ مُصْغِيَةً وَعَيْنَاكَ مَفْتُوحَتَيْنِ لِتَسْمَعَ صَلَاةَ عَبْدِكَ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْكَ الْآنَ نَهَاراً وَلَيْلاً لِأَجْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِبِيدِكَ وَيَعْتَرِفُ بِخَطَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَخْطَأْنَا<sup>(١)</sup> بِهَا إِلَيْكَ. فَإِنِّي أَنَا وَبَيْتُ أَبِي قَدْ أَخْطَأْنَا" (نحميا ١ : ٦) وقال دانيال أيضاً "وَصَلَّيْتُ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِي وَاعْتَرَفْتُ وَقُلْتُ: [إِيَّاهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْعَظِيمُ الْمَهُوبُ حَافِظَ الْعَهْدِ وَالرَّحْمَةَ لِمُحِبِّهِ وَحَافِظِي وَصَايَاهُ.

أَخْطَأْنَا وَأَثِمْنَا وَعَمَلْنَا الشَّرَّ وَتَمَرَدْنَا<sup>٥٠</sup> وَحَدَّنَا عَنْ وَصَايَاكَ وَعَنْ أَحْكَامِكَ "كما قال  
"وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَكَلَّمُ وَأُصَلِّي وَأَعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِي وَخَطِيئَةَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَأَطْرَحُ تَضَرُّعِي أَمَامَ  
الرَّبِّ إِلَهِي عَنْ جَبَلٍ قُدْسٍ إلهي" (دانيال ٥ : ٢٠-٥)  
وإذا كان ذلك كذلك، فلا مجال للقول بوجود الاعتراف بالخطية أمام القسوس أو  
غير القسوس.

٢. [إننا في حاجة إلى وسطاء بيننا وبين الله، لأنهم يسهلون أماننا أمر الاعتراف بالخطية  
ويعثون الراحة إلى ضمائنا بكلمة الصفح التي نسمعها منهم إذ أنهم بشر مثلنا  
يشفقون علينا ويرثون لنا، وفي الوقت نفسه هم أقرب إلى الله منا ويسمع لهم أكثر مما  
يسمع لنا].

الرد: فضلاً عن أننا لسنا في حاجة إلى أن نسمع كلمة صفح من أحد الناس، لأن الله  
وحده هو الذي يصفح، وقد أعد لنا في كتابه السبيل للحصول على الصفح، كما  
ذكرنا فيما سلف، نقول:

(أ) حقاً أننا لا نستطيع أن نقترّب في ذاتنا إلى الله مباشرة، لكن لا يحق لنا أن نقيم من  
أنفسنا وسيطاً بيننا وبينه، إذ قد يكون الوسيط الذي نختاره ليس جديراً بهذا المركز لديه  
تعالى، ومن ثم لا يجوز القبول أمامه. ولذلك فإن الوسيط لا يصح أن يكون وسيطاً إلا

---

<sup>٥٠</sup> - نرى في هذه الآيات عمل الكهنوت الروحي الجليل فنحميا ودانيال مع أنهما لم يشتركا في خطايا الشعب، لكنهما  
حملاهما على نفسيهما كما لو كانت خطايهما الشخصية، وطلبنا من الله الصفح عنها، وهما بذلك صورة مصغرة للمسيح  
من جهة ناسوته، فهو مع قداسته المطلقة رضي أن تنسب خطايانا إليه وأن يقوم هو بالتكفير عنها بنفسه. ولذلك قال على  
لسان النبي قديما لله، "يا الله أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخَفْ" (مزمو ٦٩ : ٥)

إذا كان معيناً من الله نفسه. وبالرجوع إلى الكتاب المقدس نرى أن الله قد عين فعلاً هذا الوسيط، ولذلك لا يجوز أن نتخذ لأنفسنا وسيطاً غيره، مهما كان مقامه في نظرنا. أما الوسيط الذي عينه الله لنا فهو "المسيح" فقد قال الوحي "لأنه يُوجدُ إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بينَ الله والنَّاسِ: الإنسان يسوعُ المسيحُ، الَّذِي بَدَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ" (١ تيموثاوس ٢: ٥، ٦)، كما قال عنه انه "وسيطٌ أيضاً لعهدٍ أعظم، قد تثبتت على مَوَاعِيدَ أَفْضَلٍ" (عبرانيين ٨: ٦)، ولأجل هذا هو وسيطٌ عهدٍ جديدٍ، لكي يكون المَدْعُونَ - إذ صارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَّاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الْأَوَّلِ - يَأْلُونَ وَعَدَ الْمِيرَاثِ الْأَبَدِيِّ، والسبب في كون المسيح هو الوسيط الوحيد بين الله وبيننا (أولاً) أنه هو الله والإنسان معاً (ثانياً) أنه هو الذي وفي مطالب عدالة الله وقداسته من نحونا إلى الأبد، وهذان هما الشرطان اللذان يجب توافرها في الوسيط أو الشفيع. ومما تجدر ملاحظته أن الوحي بقوله عن المسيح إنه وسيط بين الله وبيننا (وليس بيننا وبين الله) يعلن لنا أن الله نفسه هو الذي يريد أن يقترب منا ويقربنا إلى شخصه، وهذا ما يشجعنا على الاتجاه إليه مباشرة ويملؤنا بالثقة الكاملة في القبول أمامه في المسيح. كما أن الوحي بقوله عن المسيح "الإنسان يسوع المسيح" يعلن لنا أننا إذا أردنا إنساناً مثلنا يشعر بضعفنا ويرثي لنا، حتى يستطيع أن يمثلنا أمام الله تمثيلاً صادقاً ويشفع بكل جوارحه فينا لديه، فهذا الإنسان هو "يسوع المسيح" من الناحية الناسوتية. وأنعم به من إنسان وأكرم! فكل الناس مهما كان شأنهم، هم دونه بما لا حد له أو قياس.

(ب) فضلاً عن ذلك فإن المسيح (كما يتضح لنا من تاريخ حياته على الأرض) هو أفضل من يشفق علينا ويرثي لنا (أقرأ: متى ١٥: ٢٢، يوحنا ١١: ٣٣، ٣٥)، ولذلك

قال الرسول لنا عنه "لأنَّ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ<sup>٥١</sup> غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرِثَنِي لِضَعْفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا حَظِيَّةٍ" كما قال "لأنَّه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المُجْرَبِينَ" (عبرانيين ٤ : ١٥ ، ١٨)، ومن ثم يكون الاعتراف أمامه أيسر وأفضل من الاعتراف لأي فريق من الناس (إن كان هناك مجال للاعتراف لهم)، كما تكون الثقة في الحصول على الغفران بواسطة الاعتراف أمامه، لا يعترها شك على الاطلاق.

وقد عرف هذه الحقيقة كثيرون من القديماء فقالوا: "ادع يسوع المسيح ابن الله من القلب بدون انقطاع، مع كل نسمة من أنفاسك، معترفاً له بخطاياك واثقاً من غفرانها. لأن النفس التي تداوم على الدعاء بذلك الاسم العظيم، سرعان ما تصل إلى صاحب الاسم ذاته". وقالوا أيضاً: "لا تقل إني خاطيء، وليست لي الشجاعة أن أقف لأصلي. إن كل من يعتبر نفسه مردولاً، يستمع الله إليه كما استمع للعشار. لنا ثقة مثل هذه لدى الله من أجل الصفح عن الخطايا السالفة". وأيضاً: "إعلم أنه ليس باستحقاقك تنال سؤالك بل بإيمانك" وأيضاً: "خالقك يجب كلامك وحديثك أفضل من المراتب العليا، وهو يشترك إلى صوتك أعظم من الروحانيين ويفرح بصوتك أفضل من الساروفيم" وأيضاً "إنه يكلمنا بذاته، بصوته الذي نحب ونتوق إليه، دون وسيط أياً كان" (حياة الصلاة الأرثوذكسية ٢٣١، ٣٢٤، ٤٠٥، ١٠١، ١٠٧)

<sup>٥١</sup> - يدعى المسيح رئيس كهنة لسببين (الأول) أنه قام بالعمل الذي كان يقوم به رئيس الكهنة في العهد القديم (وهو الحصول على الغفران للشعب) بصفة رمزية (الثاني) "وقَدْ غَسَلْنَا مِنْ حِطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلْنَا مَلُوكًا وَكَهَنَةً لِلَّهِ" (رؤيا ١ : ٩)، "كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً مَبْنِيِّينَ كَحِجَارَةِ حَيَّةٍ، بَيْتاً رُوحِيًّا، كَهَيُوتًا مُقَدَّسًا، لِتَقْدِيمِ ذَبَائِحٍ رُوحِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ اللَّهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١ بطرس ٢ : ٥)

(ج) أما القول [إن هناك شفاعتين: الشفاعة الكفارية والشفاعة الاستغفارية، والأولى خاصة بالمسيح وحده، أما الثانية فيقوم بها القسوس]، فليس له أساس في الكتاب المقدس على الإطلاق، بل هو من تأليف هؤلاء القسوس، ليبرروا قولهم إنهم يقومون بمركز الوساطة بين الناس وبين الله<sup>٥٢</sup> إذ من الواضح أن الكفارة مرتبطة بالغفران كل الارتباط. فلا كفارة بدون غفران ولا غفران بدون كفارة. كما أن الذي له حق القيام بالشفاعة بكل معانيها هو المسيح وحده لسببين السابق ذكرهما، وكفانا على ذلك دليلاً أن الرسول قال للمؤمنين: "اَكْتُبْ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكِي لَا تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَّا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً" (١ يوحنا ٢: ١-٢)

ومما تجدر ملاحظته في هذه الآية (أولاً) أنها لا تقول: "وإن تاب أحد"، بل تقول "وإن أخطأ أحد"، أي أن المؤمن بمجرد أن يخطيء يعمل المسيح على رد نفسه إلى الله، لأن هذا المؤمن هو أحد خرافه الذين اشتراهم بالدم الكريم.

(ثانياً) أن قول الوحي "فَلَنَّا شَفِيعٌ" لا يدل على أننا إذا أخطأنا يتولى المسيح الشفاعة لأجلنا، بل يدل على أنه قائم بهذه الشفاعة باستمرار لأجلنا، ليحفظنا في حالة القبول أمام الله (ثالثاً) أن قول الوحي أن المسيح شفيع لنا لدى "الآب" وليس لدى الله، يدل على بقاء علاقتنا بالله كبنين، حتى إذا عثرنا، ذلك لأن حصولنا على هذا المقام لا يتوقف على أعمالنا بل على نعمة الله (رابعاً) أن وصف المسيح في شفاعته بأنه البار أو

---

<sup>٥٢</sup> - لأنه لا يحظر بإهم أن يقولوا أنهم وسطاء بين الله وبين الناس، وإذا كان ذلك كذلك، فإن وساطتهم (إن كانت لهم وساطة) لا يوفق بها على الاطلاق.

العادل، يضفي أهمية عظيمة عليها، لأنه لا يبينها على الاسترحام والاستعاطاف، بل يبينها على حقوقه الشخصية في حفظ المؤمنين في كل حين في حالة القبول التام أمام الله، بسبب الكفارة التي قدمها لأجلهم (خامساً) أخيراً أن قوله عن المسيح إنه "كفارة لخطايا كل العالم أيضاً" يرينا عظمة كفارته وإمكانية إفادة كل واحد منا بها، الأمر الذي لا يدع مجالاً أمام أضعف المؤمنين للبحث عن وسيط أو شفيع بشري، في حالة السقوط في خطية ما.

٣. [إن الاعتراف بالخطية أمام القسوس للحصول على الغفران، كان يمارس في الكنيسة منذ نشأتها، الأمر الذي يدل على أنه من تعليم الرسل أنفسهم].  
الرد: فضلاً عن أن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد لا يأمرنا بالاعتراف بالخطية أمام أي فريق من الناس، الأمر الذي لا يدع مجالاً للرأي الذي نحن بصدده نقول: إننا بالرجوع إلى التاريخ نرى ما يأتي<sup>٥٣</sup>:

(أ) أن معظم القديسين الذين عاشوا في القرون الأربعة الأولى، مثل باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم، أعلنوا صراحة أن الاعتراف يجب أن يكون لله وحده.

(ب) ولكن ظهر في القرن الثالث أساقفة كانوا يطلبون من المؤمنين الذين يخطئون أن يعترفوا بخطاياهم علناً أمام الكنيسة (أو بالحري أمام جماعة المؤمنين) لكي يطلبوا من الله أن يغفرها لهم ويساعدهم على السلوك بالتقوى والقداسة، ولكي يفرضوا عليهم أيضاً

---

<sup>٥٣</sup> - عن رجانة النفوس، وتاريخ الكنيسة لموسيم (للإنجيليين) والأسرار السبعة والسألء النفسية ومختصر المقالات اللاهوتية (للأرثوذكس والكاثوليك)



ما يروونه مناسباً من التأديب حتى يشعروا بشناعة خطاياهم ولا يعودوا إلى مثلها مرة أخرى. ولذلك كانوا يأمرؤهم بلبس المسوح والرماد، والامتناع عن الزينة ومراعاة النقشف الكلي في حياتهم، والمواظبة على التنهد والبكاء. كما كانوا يأمرؤهم بالصوم لمدة من الزمن مع دفع مبلغ من المال للأرامل والأيتام، ويحرمؤهم من الاشتراك في عشاء الرب والصلاة مع المؤمنين والتحدث معهم. ولم يكن الغرض من هذه التأديبات وقتنذ الحصول على الغفران من الله، بل مصاحتهم مع الكنيسة لأنهم بخطاياهم قد أسأؤوا إلى سمعتها في العالم.

(ج) وفي القرن الرابع احتكر بعض الأساقفة لأنفسهم أمر الحكم بالتأديب، كما تطرفوا فيه كثيراً. فكانوا يامرون بالامتناع عن الزواج لغير المتزوجين، وعدم المعاشرة الزوجية للمتزوجين، أو الإنزواء في دير حتى يأذن لهم الأساقفة المذكورون بالعودة إلى بيوتهم. ولذلك كان كثيرون من الذين يخطنون يؤجلون الاعتراف بخطاياهم إلى ساعة الوفاة. ولما علم أو غسطينوس بذلك، نصح المؤمنين بوجوب الاعتراف بخطاياهم على الأقل مرة في كل عام، حتى يكون لهم نصيب في السماء.

وعلى الرغم من هذا النصح كان كثيرون يجمعون عن الاعتراف بخطاياهم خشية الفضيحة والعار، ولذلك صدرت قرارات في القرنين الرابع والخامس بأن الاعتراف يجب أن يكون سرياً أمام الأساقفة والقسوس وحدهم. كما صدرت قرارات تحرم على هؤلاء وأولئك إفشاء سر المعترفين، ومن ثم دعي الاعتراف "سراً" (بمعنى أمر يجب عدم ذكره أمام الغير) وكان أول من دعاه بهذا الاسم هو البابا "ليو" الأول سنة ٤٥٩م. وبعد ذلك أمر هذا البابا أن يعطي الأساقفة للمعترفين وثيقة تدل على حصولهم على

الغفران من الله، حتى تطمئن قلوبهم ولا تقوم ضدّهم دعوى من أحد بسبب الخطايا التي فعلوها، فكانت هذه الوثيقة نواة لصكوك الغفران التي ظهرت فيما بعد. ولكن نظراً لأن الأساقفة لم يكونوا قد ادعوا بعد أن لهم سلطاناً لغفران الخطايا كان بعض المسيحيين لغاية القرن الخامس يكتفون بالاعتراف بخطاياهم أمام الله دون سواه. (د) وبعد ذلك حدثت ثلاث مباحثات خطيرة بين الأساقفة من جهة الموضوعات الآتية (الأول) هل الاعتراف يكون لله أم لهم؟ فاستقر الرأي على أنه يكون لهم، لأنهم هم الذين يقدمون العشاء الرباني للمعترفين (الثاني) وهل الغرض من التأديب الذي يفرضونه هو الإصلاح أم التكفير؟ فاستقر الرأي على أنه للتكفير، وأنه بدون تنفيذه لا تغفر الخطية على الإطلاق<sup>٤٥</sup> (الثالث) وهل تقتصر سلطتهم على غفران الصغائر من الخطايا، أم تشمل الكبائر أيضاً، مثل الارتداد والزنا والقتل؟ فاستقر الرأي على أن لهم السلطة على غفران الصغائر والكبائر أيضاً، إذا نفذ الذين ارتكبوها التأديب الذي يفرض عليهم.

(هـ) ومع ذلك كان كثير من الأساقفة لا يسنّدون لأنفسهم سلطة الله في منح الغفران، وكل ما كانوا يفعلونه وقتئذ أنهم يعطون المعترفين ويفرضون عليهم التأديب الذي يتراءى لهم فرضه، وذلك لأجل إصلاحهم وإبعادهم عن الخطية. وإذا نفذوا التأديب المفروض عليهم، يعلنون لهم أن الله غفر لهم وصفح عنهم، ومن ثم كانوا

---

<sup>٤٥</sup> - وقد أغنانا عن الرد على هذا الاعتقاد الخاطيء معلم أرثوذكسي مشهور، فقد قال "من الذي يقدر أن يخلصنا ويفي العدل الإلهي حقوقه: هل دم يسوع المسيح أم التأديب؟ لا لعمرى، فإنه لو سفك جميع البشر دماءهم لما أمكنهم وفاء جزء من حقوق عدل الله". كما قال "إن التوبة والبكاء والصوم والرحمة هي من علامات الإيمان الحقيقي بالله والانسحاق القلبي أمامه والابتعاد عن الخطية، ولكنها لا تفي حقوق عدل الله الغير المحدودة" (أسرار الكنيسة السبعة ص ١٤٦ - ١٤٨)

يقولون للمعترف "الله الضابط الكل يرحمك ويغفر خطاياك" لكن لما عظم شأن الأساقفة بعد ذلك، أسندوا إلى أنفسهم سلطان الحل والربط، ليس بالمعنى الذي ذكرناه فيما سلف، بل بمعنى منح الغفران أو عدم منحه. فقد أخذ الواحد منهم يقول للمعترف "إني أحلك من خطاياك" أو "كن محلولا منها من فم الله ومن فمي"<sup>٥٥</sup>. فثار بعض المؤمنين وقتئذ ضد الأساقفة وأنكروا عليهم هذا السلطان، ولكن البعض الآخر أذعن لهم وانقاد لآرائهم خوفاً من غضبهم أو سخطهم، كما يقولون.

واستمرت الحال على هذا المنوال حتى جاء (اينوسنت الثالث) بابا روما في القرن الثالث عشر، فقرر أن الاعتراف يجب أن يكون إجبارياً لا اختيارياً. كما قرر أن الأساقفة هم نواب الله على الأرض، ومن ثم لهم أن يمنحوا الغفران للذين يعترفون بخطاياهم، فوجد قراره هذا أنصاراً كثيراً بسبب الجهل بكلمة الله بينهم. وفي سنة ١٥٥٠م التأم المجمع التريدينتي. وقرر فيما قرره من أمور، أن الاعتراف للأساقفة سر من الأسرار الإلهية، بمعنى عمل منظور عن طريقه يعطي الله بركة غير منظورة، هذا هو تاريخ الاعتراف بالخطية أمام القسوس، ومنه يتضح لنا أنه دخيل على المسيحية وليس أصلياً فيها.

لكن وإن كان الاعتراف بالخطية أمام الأساقفة أو القسوس لكي يخلونا من خطايانا أو يجلبوا لنا الغفران عنها دخيل على المسيحية كما رأينا، لكن من الجائز بل ومن النافع

---

<sup>٥٥</sup> - مما تجدر الإشارة إليه أن الكهنة لدى الأرثوذكس مع قولهم في القداس الغريغوري أن الله أعطاهم أن يغفروا الخطايا وأن يربطوا ويحلوا أيضاً، يصلون إلى الله قائلين "اللهم أنعم لنا بغفران خطايانا. باركنا. طهرنا. حائل سائر شعبك"، الأمر الذي يدل على أنهم لا يقفون بينهم وبين أنفسهم أن هم سلطان الحل بالمفهوم الأرثوذكسي والكاثوليكي. وأن هذا السلطان هو في يد الله دون سواه.

أيضاً أن نذكر لبعض إخواننا المتقدمين في حياة التقوى والإيمان ما نحس به من ضعف روحي وما يصدر منا من أخطاء بسببه، لكي نفيد من اختباراتهم ونصائحهم، ولكي يصلوا أيضاً معنا حتى ننال قوة من الله تنصرنا على ضعفنا وخطايانا. غير أن هذا العمل لا يدعى اعترافاً بالخطية لهم، وليس الغرض منه الحصول على غفران منهم أو بواسطتهم.

### اعتراف المؤمنين بخطاياهم بعد الإيمان

أخيراً يتساءل بعض الناس قائلين [إن كان المؤمنون الحقيقيون قد غفرت لهم كل خطاياهم بمجرد إيمانهم بالمسيح، فلماذا يجب أن يعترفوا بالخطايا التي أتوتها بعد الإيمان حتى يغفرها الله لهم. فقد قال الرسول لهم "إِنَّ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ" (١ يوحنا ١ : ٩)].

وللرد على ذلك نقول: بالرجوع إلى الكتاب المقدس، يتضح لنا أن الغفران الذي يمنحه الله للمؤمنين الحقيقيين بمجرد إيمانهم، ليس غفراناً عن فترة خاصة من الزمن، بل هو غفران عام عن خطاياهم الماضية والحاضرة والمستقبلية<sup>٥٦</sup>، لأن بهذا الإيمان تحسب كفارة المسيح تعويضاً عن نفوسهم، والنفوس لا تتجزأ إلى أجزاء كما ذكرنا. وهذا الغفران الأبدي العام مصحوب بالولادة الثانية من الله والحصول على الروح القدس،

---

٥٦- أما الدعوى بأن هذا الغفران يشجع المؤمنين الحقيقيين على عمل الخطية فلا مجال لها على الإطلاق، لأن هؤلاء المؤمنين مولودون من الله مرة ثانية، وبهذه الولادة سكن فيهم الروح القدس وأصبحوا شركاء لله في طبيعته الأدبية. ومن ثم فإنهم يكرهون الخطية بكل قلوبهم. وإن سقطوا فيها مرة لا يطبقون البقاء فيها لحظة، بل يسرعون إلى الرب لكي يشغلوا مركزهم أمامه بالتقوى والقداسة كما كانوا يفعلون من قبل.

وغايته النجاة من الدينونة والتمتع بالله إلى الأبد أيضاً (يوحنا ٣ : ٦). أما الغفران الذي يمنحه الله لهم عندما يعترفون بخطية يأتونها بعد الإيمان، فهو متعلق بالوقت الحاضر وعن هذه الخطية وحدها، والغرض من هذا الغفران ليس إعادة ولادتهم من الله [لأن هذه الولادة لا تحدث إلا مرة واحدة]. ولا إعادة إعطائهم الروح القدس [لأن هذا الروح وإن كان يجزى بسبب سوء تصرفهم (أفسس ٤ : ٣٠) لكن لا ينزع منهم على الإطلاق (أفسس ١ : ١٤)، إذ أنه معطى لهم ليس بناء على أعمالهم بل بناء على كفاارة المسيح الدائمة الأثر]، ولا إعادة تطهيرهم بالدم الكريم [لأن التطهير به يتم مرة واحدة عند الإيمان الحقيقي بالمسيح (أعمال ١٥ : ٩)]، ولا إعادة منحهم الحياة الأبدية [لأن هذه الحياة مضمونة لهم إلى الأبد بفضل كفاارة المسيح كما ذكرنا فيما سلف]، بل الغرض من هذا الغفران هو رفع ثقل الخطية التي فعلوها عن كاهلهم (٢ كورنثوس ٢ : ٥-١١)، ثم إعادتهم إلى حالة الشركة الروحية الصافية مع الله، حتى يستطيعوا التمتع به والقيام بخدمته في العالم الحاضر، كما كانوا يفعلون من قبل.

(ب) فنحن وإن كان لنا بفضل كفاارة المسيح غفران كامل إلى الأبد، لكن إن سقطنا في خطية ما بعد الإيمان، لا نستطيع أن نقرب إلى الله كما كنا نفعل من قبل (وذلك لقداسته المطلقة وكرهيته للخطية أينما وجدت)، ونظل على هذه الحالة من البؤس والحرمان حتى نأتى إليه بتذلل وانسحاق ونعترف بهذه الخطية أمامه، متعهدين بعدم العودة إلى مثلها. وحينئذ يزول ثقلها عن نفوسنا وتعود إلينا علاقتنا الطيبة معه. وقد وصف داود النبي حالته قبل أن يعترف بخطيته أمام الرب فقال "لَمَّا سَكَّتْ بَلِيَّتْ عِظَامِي مِنْ زَفِيرِي الْيَوْمِ كُلُّهُ ۚ لِأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَتْ عَلَيَّ نَهَاراً وَلَيْلاً. تَحَوَّلَتْ رُطُوبِي إِلَى

يُوسَةَ الْقَيْظِ". وكان من الجائز أن يظل على هذه الحال طوال حياته على الأرض لولا أنه اعترف بخطايه، فقال "أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيئَتِي وَلَا أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: [أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذُنُوبِي] وَأَنْتَ رَفَعْتَ أُنَامَ خَطِيئَتِي" (مزمور ٣٢: ٥).

فمثل المؤمنين الحقيقيين في حالة السقوط في الخطية مثل أبناء بررة لأب عطوف شفيق، فإنهم إذا أخطأوا لا ينكر أبوهم بنوهم له أو يطردهم من بيته، أو يجرمهم من الميراث الذي أعده لهم، بل يظهر فقط أسفه الشديد لسوء تصرفهم ويجرمهم من بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها من قبل (مثل الترحيب بهم في حضرته، والتحدث باللطف معهم، وإغداق الهدايا عليهم)، وهذا ما يجز في نفوسهم ويؤلمهم كثيراً. ولكن عندما يأتون إليه متأسفين لخطئهم، ومتعهدين بعدم العودة إلى مثله، يصفح عنهم، وبذلك يعودون للتمتع به، كما كانوا يتمتعون من قبل.

(ج) ومما تجدر ملاحظته أن الاعتراف بالخطية ليس مجرد طلب الغفران عنها، بل هو التصريح بما أمام الله. فيقول المعترف وهو في كامل الوعي أمامه تعالى أنه (مثلاً) أهمل في الصلاة ودراسة الكلمة والانقياد بالروح القدس، أو أنه أحب العالم وركض وراءه، أو أنه كذب أو راعى أو غش أو سرق أو تنجس، أو... أو...! والله يطلب منا أن نذكر الخطية كما هي أمامه، لأن في ذكرها نشعر بشناعتها ونتألم لارتكابها، ونعزم على عدم العودة إلى مثلها. إذ أنه لا يريد أن نعترف بخطايانا لكي نحصل فقط على الصفح عنها، بل لكي نهدب نفوسنا ونصلح إعوجاجها، لكن يجب ألا يغيب عنا أن الاعتراف وإن كان مذلاً للنفس، غير أنه ليس الثمن الذي عينه الله للغفران، بل هو فقط السبيل الذي يهيء نفوسنا للتمتع بهذا الغفران. لأن الثمن الوحيد للغفران هو كفارة المسيح، وهذه

الكفارة لا تزال محتفظة بقيمتها وستظل محتفظة بها إلى الأبد أيضاً كما ذكرنا فيما سلف. ولذلك إذا سقطنا في خطية بعد الإيمان لا يستدعي الأمر أن نقدم ذبيحة ما، أو نطلب من أحد أن يقدم هذه الذبيحة عنا، بل أن نعترف اعترافاً قلبياً بما أخطأنا به أمام الله، وفي نيتنا ألا نعود إلى مثله مرة ثانية، فنحظى للتو بالصفح والغفران ونتمتع بالراحة والسلام.

(د) أخيراً نقول: نظراً لكفاية كفارة المسيح وتحقيقها لكل مطالب عدالة الله وقداسته إلى الأبد من جهتنا نحن المؤمنين، فإن الغفران الذي ننال به بواسطة الاعتراف، لا يكون نابغاً من عطف الله ورحمته فحسب، بل ومن عدالته وأمانته أيضاً. فقد قال الوحي في الآية التي نحن بصدها أن الله "أَمِينٌ وَعَادِلٌ"، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ"، وهذا ما يؤكد لنفوسنا دليل قاطع أنه بمجرد الاعتراف القلبي بخطايانا، يغفرها الله لنا ويعود بنا إلى حياة الشركة الروحية التي كانت لنا معه من قبل، الأمر الذي لا يدع مجالاً أمام المؤمن الحقيقي لجرد التفكير في الاعتراف بالخطية أمام أي إنسان مهما كانت مكانته.

## ٦

## الاعتقاد بإمكانية خلاص الخطاة بعد موتهم

إن الفرصة التي يمكن أن يتمتع بها الإنسان بالخلاص، هي فرصة وجوده في العالم الحاضر، لأنه يستطيع في هذا العالم أن يتوب عن الخطية على الرغم من مغرياتنا الكثيرة. كما يستطيع أن يؤمن إيماناً حقيقياً يولد به من الله ولادة روحية تجعله أهلاً للتوافق معه في صفاته الأدبية السامية، ومن ثم فالقول بوجود فرصة خلاص الخطاة بعد موتهم، بواسطة صلاة رجال الدين لأجلهم كما يقول الأرثوذكس والكاثوليك، لا نصيب له من الصواب كما يتضح مما يلي:

## أولاً: أساس الاعتقاد بإمكانية خلاص الخطاة بعد موتهم:

١. [نظراً لأنه ليس هناك مجال للتمتع بالسماء إلا على أساس كفارة المسيح، فإن جميع مؤمني العهد القديم مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب ظلوا في الجحيم بسبب خطاياهم، حتى نزل المسيح إليهم بعد موته الكفاري على الصليب وخلصهم].

الرد: (أ) فضلاً عن أنه ليست هناك آية في الكتاب المقدس تدل على أن المسيح نزل إلى الجحيم بعد موته الكفاري على الصليب، فضلاً عن أن الفرصة التي يمكن للمرء أن يتمتع فيها بالخلاص هي فرصة الحياة الحاضرة، لأنها هي الفرصة التي يستطيع فيها أن يتوب عن الخطية ويؤمن بالمسيح إيماناً حقيقياً يولد به من الله ولادة روحية، تجعله أهلاً للتوافق معه في صفاته السامية كما ذكرنا نقول:



(أ) ليست هناك آية في الكتاب المقدس تدل على أن إبراهيم وإسحق ويعقوب قد ذهبوا إلى الجحيم بعد انطلاقتهم من العالم الحاضر. لأن المسيح وإن كان قد قدم نفسه كفارة على الصليب بعد موت هؤلاء المؤمنين بمئات السنين، لكن كفارته كانت معروفة لدى الله قبل إنشاء العالم. فقد قال الوحي عن المسيح "الَّذِي بَرُوحَ أَرْزَلِي قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِسَلَا عَيْبٍ" (عبرانيين ٩ : ١٤) وقال للمؤمنين "عَالَمِينَ أَنْكُمْ أَفْتَدَيْتُمْ لَا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمْ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقْلُدْتُمُوهَا مِنَ الْآبَاءِ، بَلْ بِدَمِ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِسَلَا عَيْبٍ وَلَا دَنْسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ" (بطرس ١ : ١٨-٢٠) ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك لأن الله يتصف باحبة أزلاً، والفداء لا يخرج عن كونه مظهراً من مظاهر المحبة، ومن ثم فإن روح الفداء ليس دخيلاً على الله بل أصلي فيه، مثل صفاته الذاتية الأخرى. ومن ثم فالله (بلغة الفلاسفة) فاد بالقوة في الازل وفاد بالفعل في الزمن.

(ب) ولذلك إذا رجعنا إلى العهد القديم، نرى أن الله كان يدعو القدماء إلى التوبة عن خطاياهم، وتقديم الذبائح الكفارية عن نفوسهم، وكانوا عندما يقومون بهذين العملين يعلن لهم الصفح والغفران (لاويين ٦ : ٦-٧)، ليس لأن التوبة والذبيحة الحيوانية كانتا كافيتين للتكفير عن الخطية، بل لأن الأولى كانت الدليل على الرغبة في الخلاص من الخطية، وأن الثانية كانت رمزاً للمسيح الذي يستطيع التكفير عنها. فكفارة المسيح لا تمتد فقط إلى المستقبل لكي تخلص الذين أتوا ويأتون بعدها من المؤمنين الحقيقيين، بل امتدت أيضاً إلى الماضي وخلصت كل المؤمنين الحقيقيين الذين عاشوا قبل الصليب، مرموزاً إليها بالذبائح الطاهرة التي أمرهم الله بتقديمها عوضاً عن نفوسهم. ومما يشته

ذلك أن أحنوخ وإيليا الذين صعدوا إلى السماء دون أن يريا الموت، وإبراهيم وموسى وغيرهما من مؤمني العهد القديم الذين ماتوا قبل مجيء المسيح إلى الأرض، قد دخلوا جميعاً إلى المجد بعد انتقائهم من العالم الحاضر مباشرة، كما يتضح من (عبرانيين ١١ : ١٥، لوقا ١ : ٢٢، متى ١٧ : ٣)، وقد أشار الوحي إلى معرفة هؤلاء المؤمنين بالمسيح (أو بالحري بكفارته) قبل مجيئه إلى الأرض، فسجل عن إبراهيم أنه رأى بالإيمان يوم المسيح (أو بالحري يوم خلاصه للبشرية) فتهلل وفرح (يوحنا ٨ : ٥٦) وسجل عن موسى أنه رأى بالإيمان صليب المسيح وخلاصه للبشرية، ولذلك احتقر قصر فرعون وازدراه (عبرانيين ١١ : ٦)

٢. [إن الله قال للمسيح قبل تجسده "أنا الربّ قد دعوتك بالبرّ فأمسك بيديك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمي لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة" (إشعيا ٤٢ : ٦-٧) وهذا دليل على أن المسيح كرز للذين انطلقوا إلى السجن بعد موتهم، فخرجوا منه].

الرد: (أ) بالتأمل في هذه الآيات يتضح لنا أن الخدمة الواردة بها، هي خدمة المسيح التي قام بها عندما كان على الأرض. وذلك للأسباب الآتية:

(١) لو كان المسيح قد قام بالخدمة المذكورة للأرواح التي في السجن، لما كانت تقابل بالمقاومة منهم، ولما كان الأمر يتطلب أن يعضد الله المسيح على أدائها، إذ أن جميع الأرواح كانت تقبل خدمته بسرعة لكي تخلص من السجن وآلامه. أما خدمته في العالم (كما يتضح من الكتاب المقدس)، فكانت تقابل بمقاومة عنيفة من وقت إلى آخر، ولذلك كانت تتطلب تعضيد الله له في إداؤها، لأنه من الناحية الإنسانية كان يحتاج إلى

التعصيد (٢) إن جعل المسيح عهداً للشعب (أو بالحري لليهود) ونوراً للأمم (أو بالحري للأمم الوثنية) كما هو وارد في الآيات التي نحن بصددھا، لا يمكن تطبيقه إلا على خدمته في العالم الحاضر، لأن السجن (أو الهاوية) ليس به يهود وأمم، إذ أن الكل هناك أرواح مجردة لا فرق في ذلك بين جنس وآخر على الإطلاق

(٣) أخيراً نقول أن المسيح نفسه اقتبس هذه الآيات عندما كان في العالم للتعبير عن خدمته فيه، فقد قال "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لِأَنَّهُ مَسَحَّنِي لِأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لِأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لِأُنَادِيَ لِلْمَاسُورِينَ بِالْإِطْلَاقِ وَلِلْعَمِيِّ بِالْبَصْرِ وَأَرْسَلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي لُحْرِيَّةٍ" (لوقا ٤ : ١٨)، ولذلك ليس هناك مجال للظن بأن الآيات المذكورة يراد بها أن المسيح قام بالكراسة للأرواح في السجن أو الهاوية.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، علمنا أن كلمة "الحبس" أو السجن" مستعملة هنا مجازاً للتعبير عن الدائرة الضيقة التعسة التي يزعج الخطاة أنفسهم فيها. وأن كلمة "المأسورين" مستعملة مجازاً للتعبير عن الخطاة، من جهة كونهم عبيداً للخطية وأسرى لها. وأن كلمة "الظلمة" مستعملة مجازاً للتعبير عن الجهل المطبق الذي يعيش فيه هؤلاء الخطاة، وما يثبت ذلك أن الوحي الإلهي أعلن لنا أن من يفعل الخطية هو عبد للخطية (يوحنا ٨ : ٣٤)، وأن إبليس اقتنص الخطاة لإرادته (٢ تيموثاوس ٣ : ٢٥)، كما أعمى أذهانهم عن معرفة الله (٣ كورنثوس ٣ : ٤) ومن الناحية الأخرى أعلن لنا أن المسيح هو الذي يجر الخطاة من خطاياهم (يوحنا ٨ : ٣٦)، كما أنه هو النور الذي يضيء لهم السبيل في العالم الحاضر (يوحنا ٨ : ١٢)

٣. [إن الرسول بولس قال عن مؤمني العهد القديم: "فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُوداً لَهُمْ بِالْإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ، إِذْ سَبَقَ اللَّهُ فَتَطَرَّ لَنَا شَيْئاً أَفْضَلُ، لَكِي لَا يُكْمَلُوا بِدُونِنَا" (عبرانيين ١١: ٣٩-٤٠)، وهذا دليل على أن المسيح كرز لهم بعد موته لكي ينالوا المواعيد ويصبحوا كاملين].

الرد: (أ) إن قول الرسول عن هؤلاء المؤمنين أنهم لم ينالوا المواعيد وأنهم لا يكملون بدوننا، لا يستنتج منه أن المسيح ذهب بعد الصليب وكرز لهم بالإنجيل، لأنه لو كان قد فعل ذلك، لكانوا قد قبلوه، ولكانوا تبعاً لذلك قد نالوا المواعيد وبلغوا الكمال الذي أعده الله لهم. ولكنهم (كما يتضح من هذه الآيات) لم ينالوا المواعيد بعد، أو بالحرى لم يبلغوا بعد الكمال الذي أعده الله لهم ولنا معاً.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أن عدم تكميل مؤمني العهد القديم بدوننا (أو بالحرى بدون تكميلنا نحن) يراد به أنهم لن يلبسوا الأجساد المجددة (التي تشبه جسد المسيح المجدد في السماء (لأن هذا هو الكمال الذي يتوقعه كل المؤمنين في كل زمان ومكان) طالما نحن لا نزال في العالم الحاضر. بل تظل أرواحهم كما هي أرواحاً مجردة حتى يأتي المسيح في المرة الثانية، وحينئذ يحضرها مع أرواح مؤمني العهد الجديد (الذين يكونون قد رقدوا وقتئذ) لكي تلبس كل هذه الأرواح معاً الأجساد المجددة. وبعد ذلك مباشرة يغير أجساد المؤمنين الذين يكونون أحياء على الأرض وقتئذ إلى مثل هذه الأجساد، ويأخذ الفريقين معاً إلى مجده الأبدي. فمكتوب "كَمَا لَبَسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ (أدم) سَتَلْبَسُ أَيْضاً صُورَةَ (المسيح) السماوي. فَإِنَّهُ سَيَبْقَى قِيَامُ الأموات (أي المؤمنون الحقيقيون الذين يكونون قد ماتوا وقتئذ) عَدِيمِي فَسَادٍ (أي بأجساد مجددة غير قابلة

للفساد) وَنَحْنُ (أي المؤمنون الحقيقيون الذين يكونون أحياء على الأرض عند مجيئه) نَتَغَيَّرُ" (١ كورنثوس ١٥ : ٤٢ - ٤٨)، أي نتغير إلى "صُورَةَ جَسَدٍ مَجْدِهِ" (فلسبي ٣ : ٢١)

٤. [إن المسيح قال على لسان داود النبي "لِذَلِكَ فَرِحَ قَلْبِي وَابْتَهَجَتِ رُوحِي. جَسَدِي أَيْضاً يَسْكُنُ مُطْمَئِناً. لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاطِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً" (مزمو ١٦ : ٩-١٠) وهذا دليل على أن روح المسيح ذهبت إلى الهاوية بعد الصليب، لكي تركز للأرواح التي كانت فيها].

الرد: لا يستنتج من هذه الآيات أن المسيح ذهب بالروح إلى الهاوية للكرازة وذلك لسببين (الأول) أن المسيح فرح وابتهج لأن الله لم يترك نفسه في الهاوية، والكرازه ليست بالأمر المخزن الذي يفرح المسيح ويبهج عندما يتركه (الثاني) لو كان المسيح ذهب بالروح إلى الهاوية للكرازة، لكان يغادر الهاوية من تلقاء ذاته عند انتهاء الكرازة، ولم يكن هناك داع لأن يخاطب الله بالقول "لِأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاطِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَاداً" وإذا كان الأمر كذلك، فما هي الهاوية، وما الغرض من ذهاب المسيح إليها؟ للإجابة عن هذين السؤالين نقول:

(أ) إن الهاوية لا يراد بها مقر عذاب الاشرار الأبدي المعروف بجهنم<sup>٥٧</sup> والتي وصفها الوحي بأن نارها لا تطفأ ودودها لا يموت (مرقس ٩ : ٤٦)، بل يراد بها القبر كما جاء في (تكوين ٤٢ : ٣٨، وأيوب ١٤ : ١٣، ومزمور ٩٨ : ٤٣، واكورنتوس ١٥ : ٥٥)، كما يراد بها أيضاً العالم غير المنظور الذي تذهب إليه الأرواح بعد انطلاقها من أجسادها، وتمكث فيه حتى يتقرر مصيرها الأبدي كما جاء في (لوقا ١٦ : ٢٣، ومزمور ٩ : ١٧) وبالرجوع إلى العهد القديم لا نعتز على كلمة خاصة يعبر بها عن المكان الذي تنتقل إليه أرواح المؤمنين الحقيقيين أو كلمة أخرى يعبر بها عن المكان الذي تنتقل إليه أرواح غيرهم من الناس، ولذلك كان يقال عن جميع الأرواح إنها تذهب إلى الهاوية<sup>٥٨</sup> بعد مغادرتها لأجسادها.

(ب) أما في العهد الجديد فقد رفع الوحي الستار عن المكان الذي تذهب إليه الأرواح بعد انطلاقها من أجسادها، فأعلن أن أرواح المؤمنين الحقيقيين تنطلق إلى الفردوس أو السماء الثالثة (٢ كورنتوس ١٢ : ١-٤) وأن أرواح غيرهم من الناس تنحدر إلى

---

<sup>٥٧</sup> - يقول علماء اللغة العربية أن كلمة "جهنم" معربة عن الفارسية (مختار الصحاح). ويقول علماء الكتاب المقدس أن هذه الكلمة هي في الأصل "جى هنوم" ومعناها الحرفي "وادي هنوم" وهو الوادي الذي كان الوثنيون (ومن اقتدى بهم من اليهود) يحرقون فيه أبناءهم قديماً مرضاة للضمين بعليم ومولوك (٢ أخبار ٢٨ : ٣، ارميا ٢٣ : ١). وكان ما لا تصيبه النار من أجساد أبنائهم يأكله الدود هناك. وقد اتخذ الوحي اسمها المعروف لدى الناس وتقتد لكي يعبر به عن مكان عذاب الأشرار الأبدي - غير أنه من الواضح أنه لا يراد بنار جهنم ودودها النار المادية أو الدود المادي (لأن المادة ليست من خصائص عالم الأرواح)، بل يراد بهذه النار عذاب النفس الذي يفوق عذاب النار المادية كثيراً، ويراد بالدود وخزرات الضمير اللادعة التي تفوق في آلامها نمش الديدان المادية.

<sup>٥٨</sup> - كلمة الهاوية ترد في العبرية "شبول" ومعناها "المكان الجهول". وقد سميت بهذا الاسم لأن الناس قديماً كانوا لا يعرفون شيئاً عنها، والكلمة اليونانية المرادفة لها هي "هادس" وتعني "العالم الجهول" أيضاً.

السجن أو الهاوية. فعن المكان الأول قال المسيح للص الذي آمن به عندما كان معلقاً على الصليب "إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدُوسِ" (لوقا ٢٣ : ٤٣)، ومن جهة المكان الثاني قال المسيح عن الغني الذي لم تكن له علاقة بالله، "فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَاطِيَةِ" (لوقا ١٦ : ٢٢)، أو "وهو في السجن" بحسب تعبير بطرس الرسول.

وغني عن البيان أن أرواح الابرار بمجرد دخولها إلى الفردوس يشع عليها المجد الأبدي الذي ستنقل إليه عند مجيء المسيح في المرة الثانية فتفرح وتبتهج، ولذلك قال بولس الرسول "لِيْ أَشْتَهَاءُ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا" (فيلبي ١ : ٢٣)، وإن أرواح الاشرار بمجرد دخولها إلى السجن أو الهاوية تشعر بنار جهنم التي ستنقل إليها بعد دينونة الأموات أمام العرش العظيم الأبيض. فتحزن وتولول. ولذلك قيل عن الغني السابق ذكره أنه "رَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَاطِيَةِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ"، وإذا كان ذلك كذلك، أدركنا أنه لو كان داود النبي الذي نطق بالآيات التي نحن بصدددها، قد استعمل لغة العهد الجديد، لكان قد قال بلسان المسيح "لن تترك نفسي في الفردوس"، لأن نفس المسيح ذهبت إلى الفردوس بعد موته على الصليب (لوقا ٢٣ : ٤٣)

(ج) مما تقدم يتضح لنا أن معنى الآيات التي نحن بصدددها، ينحصر في أن الله لم يكن ليترك روح المسيح الإنسانية في الهاوية (أو بالحري في الفردوس) إلى يوم القيامة، مثل أرواح القديسين الذين ماتوا من قبل، لأن المسيح لم يكن إنساناً عادياً ولا كان موته موتاً عادياً، حتى تبقى روحه مع أرواحهم هناك إلى هذا اليوم، بل كان هو ابن الله الوحيد، كما أن موته كان موتاً كفارياً لتحقيق مطالب عدالة الله وقداسته، الأمر الذي لا يشاركه فيه كائن ما. ولذلك لم تمر على موته المدة التي يحسب على أساسها الموت

موتاً (وهي ثلاثة أيام شرعية) حتى أعاد الله روحه إلى جسده وأقامه ظافراً. وقد أشار الوحي في موضع آخر إلى هذه الحقيقة، فسجل أن المسيح قال منذ القديم "وَلَا تُطَبِّقِ الهاوية عَلَيَّ فَأَهَا" (مزمور ٦٩ : ١٥)، أي لا تكون لها سلطة عليه كما لها على الناس جميعاً.

٥. [ليس من المعقول أن روح المسيح كانت بلا عمل من وقت موته إلى قيامته، ومن ثم لا بد أنها كانت تركز لأرواح الذين في الهاوية].

الرد: فضلاً عن أنه ليس لنا أن نستنتج استنتاجاً لم يشر إليه الكتاب المقدس، الأمر الذي لا يدع مجالاً لهذه الحجة نقول: إن المسيح قال قبل موته على الصليب للصلب الذي تاب وآمن به "اليوم تكون معي في الفردوس" ثم قال بعد ذلك للآب "يا أبتاه في يدك أستودع روحي"، وقوله هذا وذاك دليل على أن روحه الإنسانية<sup>٥٩</sup> لم تذهب إلى الهاوية لكي تركز بالإنجيل لأرواح أي فريق من الناس، بل ذهبت إلى الفردوس لكي تكون مع الآب. ووجودها معه هناك، وإن لم يعد بفائدة على الذين كانوا في الهاوية<sup>٦٠</sup>، كما لم يعد بفائدة على الذين ظلوا في شرورهم عندما كان المسيح على الأرض، لكن مما لا شك فيه أن روح المسيح أدخلت سرورا عظيما إلى النفوس التي كانت في الفردوس، كما

---

<sup>٥٩</sup> - روح المسيح ليست لاهوته بل روحه الإنسانية التي شاء أن يتخذها مع الناسوت، لأنه له الجسد اتخذ ناسوتاً كاملاً من جسد ونفس وروح.

<sup>٦٠</sup> - أن أرواح الاشرار لا تذهب بعد انطلاقتها من أجسادها إلى الجحيم، بل إلى الهاوية أو السجن. وتبقى هناك إلى أن تعلن إدانتها أمام العرش العظيم الأبيض، وحينئذ تطرح في جهنم أو الجحيم وتظل هناك إلى الأبد.



فعلت من قبل عندما كان المسيح على الأرض، في نفوس المؤمنين الذين كانوا عليها  
(لوقا ٢: ٣٨)

٦. [إن بطرس الرسول قال للمؤمنين "إِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ  
الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْأَثْمَةِ، لِكِي يُقَرَّبَنَا إِلَى اللَّهِ، مُمَاتًا فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُجِبِّي فِي  
الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً ذَهَبَ فَكَرَّرَ لِلْأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السَّجْنِ، إِذْ عَصَتْ قَدِيمًا، حِينَ  
كَانَتْ أَنَاةَ اللَّهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ" (١بطرس ٣: ١٨-٢٠)، وهذا دليل على أن  
المسيح كرز في الروح لأرواح الذين سبقوه، لكي تخلص من السجن].

الرد: إذا تأملنا هذه الآيات بمفردها نرى أنها لا تدل على أن المسيح كرز في الروح  
لمؤمنين عاشوا في العهد القديم، بل كرز لعصاة عاشوا في عصر نوح فحسب. ولكن إذا  
تأملناها في ضوء الوحي الإلهي عامة، نرى انه لا يمكن أن يكون المراد بها أن المسيح  
ذهب في الروح لكي يكرز لهؤلاء العصاة، لأنهم كانوا قد سمعوا الكرازة

١٠٧

من نوح زهاء مائة عام دون أن يتوبوا، وليس من العدالة في شيء أن يذهب المسيح  
بعد ذلك إليهم ليكرز لهم في السجن، دون الموتى الذين لم تكن لديهم فرصة طويلة  
لسماع الكرازة مثلهم.

وإذا كان ذلك كذلك، فمن هو الذي قام بالكرازة الوارد ذكرها في الآيات التي نحن  
بصددها، ولمن ومتى قام بها؟ (الجواب) بما أن هذه الآيات تنص على أن الكرازة حدثت  
حين كانت أناة الله تنتظر مرة في أيام نوح، وبما أن الوحي يسجل لنا في موضع آخر أن

نوحاً كان كارزاً للبر (٢ بطرس ٢: ٥)، إذاً يكون هو الذي قام بهذه الكرازة للعصاة الذين كانوا في عصره، وذلك أثناء المدة الطويلة التي كان يبني فيها الفلك، والتي كان الله يظهر فيها طول أناته عليهم.

وإزاء هذه الحقيقة يعترض البعض بالقول [إن الآيات السابق ذكرها تنص على أن روح المسيح هو الذي كرز، وأنه كرز ليس لأشخاص في الجسد بل لأرواح، وأنه كرز لها ليس على الأرض بل في السجن، ومن ثم لا يمكن أن يكون المراد بهذه الآيات أن نوحاً هو الذي كرز للعصاة الذين كانوا في عصره]، وللرد على ذلك نقول:

(أ) إن الكتاب المقدس يعلن لنا أن روح المسيح هو بعينه الروح القدس الذي كان يتكلم في الأنبياء قديماً، وقد سمي بهذا الاسم لأنه كان يشهد على ألسنتهم عن المسيح. فقد قال بطرس الرسول (الذي سجل الآيات التي نحن بصددنا) للمؤمنين عن الخلاص، "الْخَلاصَ الَّذِي فَتَشَّ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ (العهد القديم)، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النَّعْمَةِ الَّتِي لِأَجْلِكُمْ، بَاحْتِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ" (١ بطرس ١: ١١)، ولذلك لا مجال للاعتراض على التفسير أن نوحاً هو الذي قام بالكرازة المذكورة، لأنه كان الواسطة المنظورة التي استخدمها روح المسيح (أو الروح القدس) للقيام بهذه الكرازة.

(ب) أن العصاة الذين كرز لهم نوح، كانوا أرواحاً عندما كتب بطرس الرسول الآيات التي نحن بصددنا، ومن ثم كان من البديهي أن يتحدث الرسول عنهم في هذه الآيات كأرواح، وذلك باعتبار ما كانوا وقتئذ. وإذا كان الأمر كذلك فلا مجال للاعتراض

على التفسير أن الكرافة كانت للأرواح، لأنها كانت لهذه الأرواح عندما كانت في أجسادها على الأرض.

(ج) كما أننا إذا تأملنا الآيات المذكورة بشيء من التدقيق، يتضح لنا أنها لا تقول عن المسيح إنه ذهب في الروح إلى السجن ليكرز للأرواح التي فيه، بل تقول "كرز للأرواح التي في السجن" ومن ثم فليست الكرافة هي التي كانت في السجن، بل هذه الأرواح هي التي كانت فيه. وإذا كان ذلك كذلك، يكون الوحي قد قصد بهذه الآيات أن يعلن لنا أن العصاة الذين رفضوا كرافة نوح لهم، عندما كانوا في أجسادهم على الأرض، توجد أرواحهم الآن في السجن وذلك لكيلا يعصى الآن أحد من البشر صوت الله مثلهم، فيكون ماله مآلهم.

(د) فإذا أضفنا إلى ذلك (أولاً) أنه ليس هناك مجال للكرافة للأرواح بعد انطلاقها من أجسادها، فقد قال الوحي "وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ" (عبرانيين ٩: ٢٧) (ثانياً) أن أرواح الأشرار لا يمكن أن تنتقل من الهاوية إلى السماء، لأن بينها وبين السماء هوة عظيمة لا يستطيع عبورها مهما كانت الظروف والأحوال (لوقا ١٦: ٢٦) (ثالثاً) أن الكرافة لا يمكن أن تكون لأرواح العصاة الذين كانوا في أيام نوح دون غيرهم من العصاة. لا يبقى لدينا شك في أن الكرافة المذكورة حدثت على الأرض بواسطة نوح كما ذكرنا<sup>٦١</sup>

---

<sup>٦١</sup> - وما تجدر الإشارة إليه أنه جاء في طرح واطس الخاص بدورتي عيد الشعانين والصليب المستعمل في الكنيسة الأرثوذكسية "في هذا اليوم كان الخلاص والفرح لجنس البشرية بالباشارة الخبية والميلاد البتولي والقيامة الشريفة التي بها كان الخلاص من يد العدو، والمنتقلون في الجحيم خلصوا، وأشرق عليهم مجد لاهوت المسيح ونور قيامته، وعادوا إلى الفردوس مرة أخرى"، فهذه العبارة تنص على أن نور القيامة أشرق على المنتقلين في الجحيم. وبما أن الاعتقاد العام لدى

٧. [إن بطرس الرسول قال في موضع آخر "فإنَّهُ لأجل هَذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضاً، لكي يُدْأِنُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ، وَلَكِنْ لِيُحْيُوا حَسَبَ اللَّهِ بِالرُّوحِ" (١ بطرس ٤ : ٦)، وهذا دليل على أن البشارة كانت موجهة لموتى في الهاوية وليس لأشخاص أحياء على الأرض].

الرد: (أ) بالرجوع إلى الكتاب المقدس في الأصل اليوناني واللغات الأجنبية، يتضح لنا أن الفعل "بشر" يرد في صيغة الماضي، وأن المراد بالموتى ليس أشخاصاً كانوا قد ماتوا قبل حدوث البشارة (had died)، بل أشخاصاً موتى في الزمن الحاضر (are dead)، لذلك تكون البشارة قد وجهت إلى هؤلاء الأشخاص ليس بعد موته بل قبل موته، كما وجهت الكرامة التي تحدثنا عنها فيما سلف للأرواح قبل دخولها إلى السجن وليس بعد دخولها إليه. ومما يؤيد هذه الحقيقة أن الرسول لم يقل عن الموتى المذكورين (لكي يحيا حسب الله بالروح) فقط، بل قال أيضاً "لكي يدانوا حسب الناس بالجسد"، وتوقيع الدينونة عليهم حسب الناس بالجسد يقتضي وجودهم في العالم الحاضر أثناء توقيعها عليهم، لأنه ليس هناك مجال لذلك إلا في هذا العالم. ومن ثم تكون البشارة الواردة في الآية التي نحن بصددنا قد وجهت حتماً إليهم عندما كانوا في أجسادهم على الأرض.

---

الأرثوذكس والكاثوليك هو أن المسيح كرز للأرواح التي في السجن بعد موته على الصليب مباشرة (أو بالحري قبل قيامته)، لذلك فمن المحتمل أن يكون المراد بـ"الذين في الجحيم" في العبارة المذكورة، الخطاة الذين على الأرض، والذين هم في حكم الموجودين في الجحيم لأن هؤلاء بالإيمان الحقيقي بموت المسيح وقيامته، يحصلون على الخلاص.

(ب) فضلاً عن ذلك، لو فرضنا أن المسيح ذهب بالروح لكي يركز لأرواح الموتى الذين سبقوه، لكانت هذه الأرواح جميعاً (بما فيها أرواح أهل سدوم وعمورة) قد قبلت كرازته وانتقلت إلى الفردوس، وأصبحت تبعاً لذلك أحسن حالاً من أرواح غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم الذين أتوا ويأتون بعد المسيح، مع أنه يوجد بين أولئك وهؤلاء اشخاص أفضل من سكان سدوم وعموره كثيراً، كما يتضح من كتب التاريخ. وبما أن هذا الوضع لا يتفق مع العدالة على الإطلاق، أضف إلى ذلك أنه توجد آيات كثيرة تنص على أن أشرار العهد القديم (مثل أشرار العهد الجديد) سيكونون جميعاً في جهنم إلى الأبد (يهوذا ٧)، إذاً فلا مجال للظن بأن البشارة الوارد ذكرها في الآيات التي نحن بصددنا، كانت موجهة لأي فريق من الناس بعد موته.

٨. [إن بولس الرسول قال عن المسيح "وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنَّهُ نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلًا إِلَى أَقْسَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَى. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ" (أفسس ٤: ٩ - ١٠)، وأقسام الأرض السفلى هي الهاوية، ونزول المسيح إليها دليل على أنه كرز للأرواح التي فيها حتى تخلص وتنتقل إلى الفردوس].

الرد: لا يستنتج من هذه الآيات أن روح المسيح الإنسانية ذهبت إلى الهاوية لكي تركز بالإنجيل لمن فيها من أرواح أياً كان نوعها، لأن غرض الرسول من العبارة المذكورة كما يتضح لنا من سياق الحديث، هو المقارنة بين الحضيض الذي نزل إليه المسيح، وبين المجد الرفيع الذي صعد إليه بعد ذلك. والكرازة بالإنجيل (على فرض أنها حدثت في الهاوية كما يعتقد بعض المسيحيين) ليس فيها شيء من الحضيض على

الإطلاق، حتى يمكن أن تقارن بالصعود إلى السماوات. وإذا كان الأمر كذلك، فما المراد بأقسام الأرض السفلى؟

للإجابة على ذلك نقول:

(أ) بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الهاوية (بقسميها الفردوس والسجن) ليست في باطن الأرض بل خارج الأرض. فقد قال بولس الرسول عن انطلاقه إلى الفردوس "إِنَّهُ اخْتِطَفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ" (٢ كورنثوس ١٢ : ٤) وقال المسيح عن ذهاب الأشرار إلى الهاوية: "فَيَطْرَحُونَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ" (متى ٨ : ١٢). وإذا كان ذلك كذلك فالاصطلاح "أقسام الأرض السفلى" لا يقصد به إلا القبر الذي دُفن فيه جسد المسيح بعد موته. ومما يثبت هذه الحقيقة أن المسيح بعد نزوله بجسده إلى القبر، صعد بجسده هذا فوق جميع السماوات لكي يملأ الكل (كما هو وارد في الآية التي نحن بصددتها)، وصعود المسيح لكي يملأ الكل، هو النتيجة الطبيعية لكفارته التي انتهت به إلى القبر، وليس للكرازة في عالم الأرواح، إن كان قد قام بمثل هذه الكرازة، كما يقال.

(ب) مما تقدم يتضح لنا أن هذه الآيات مرادفة لقول الرسول في موضع آخر عن المسيح "الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسَبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَاطِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي إِهْيَةِ كَانَسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّالِبِ" (فيلبي ٢ : ٦-٨) "ولذلك رَفَعَهُ اللَّهُ أيضاً (أي رفعه من الناحية الإنسانية)، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَعْبُثُوا بِاسْمِ

يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ<sup>٦٢</sup>، وَيَعْتَرِفُ كُلُّ لِسَانٍ أَنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هُوَ رَبُّ لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ " (فلبى ٢ : ٩-١١)

ومن ثم فإن الآيات التي نحن بصدددها، مثل غيرها من الآيات السابقة، لا تدل مطلقاً على أن روح المسيح ذهبت إلى الهاوية للكرازة كما يقال وإذا كان ذلك كذلك، فالقول أن المسيح "نزل إلى الجحيم من قبل الصليب" الوارد في القداس، ليس بصواب، اللهم إلا إذا كان المقصود منه أن المسيح احتمل على الصليب عوضاً عنا عذاب الجحيم، الذي كنا نستحقه إلى الأبد بسبب خطايانا.

٩. [إن الاعتقاد بنزول المسيح إلى الجحيم بعد الصليب موجود في الكنيسة منذ القرون الأولى للمسيحية، ومن ثم يكون من تعليم الرسل أنفسهم].

الرد: إن صدق أي عقيدة لا يتوقف على قدمها أو على مكانة الأشخاص الذين يتمسكون بها، بل على ما جاء في الكتاب المقدس بشأنها كما ذكرنا وبما أن العقيدة المذكورة فضلاً عن أنه ليس لها أساس في هذا الكتاب، تتعارض كل التعارض مع عدالة الله وقداسته. لذلك لا يجوز التمسك بها بحال.

---

<sup>٦٢</sup> - العبارة "تحت الأرض" لا يراد بها "باطن الأرض" كما يظن بعض الناس، لأن باطن الأرض ليس هو تحتها، وإذا كان ذلك كذلك تكون هذه العبارة مقابلة لكلمة "السماء" الواردة في الآيات التي نحن بصدددها، لأن السماء يعبر عنها بـ "فوق" (يوحنا ٣ : ٣١) وبما أن الكائنات الموجودة في السماء من فوق هي الملائكة، تكون الكائنات الموجودة في المكان المعبر عنه بأنه "تحت الأرض"، هي أرواح الشياطين وسكان الهاوية، والله أعلم.

ومع كل فبالرجوع إلى التاريخ يتضح لنا أن هذه العقيدة لم تظهر إلا في أوائل القرن الثالث. ولعل أول من أشار إليها هو الإنجيل المزيف المنسوب إلى نيقوديموس، والذي ظهر في هذا الوقت مع غيره من الأناجيل المزيفة. (مدخل إلى حياة المسيح: Introduction to the Life of Christ، ص ٥٣).

### ثانياً: الحجج الخاصة بجواز خلاص الخطاة بعد موتهم، والرد عليها:

٣. [إن بولس الرسول صلى مرة لأجل انيسيفوروس بعد موته لكي يعطيه الرب رحمة في ذلك اليوم (٢ تيموثاوس ١: ١٨)، فكيف لا يجوز لنا أن نصلي لأجل الموتى؟].  
الرد:

(١) إن صلاة بولس هذه، لا يستنتج منها أن صلاة الأحياء لأجل الموتى تنقلهم من السجن إلى الفردوس (على فرض أن انيسيفوروس كان قد مات وقتئذ)<sup>٦٣</sup>، لأنه لا مجال لذلك على الإطلاق كما ذكرنا فيما سلف. ولذلك فإن صلاة بولس الرسول إلى الله كانت لكي يعطي أنيسيفوروس أن يجد فقط رحمة، وهذه الرحمة بعينها هي التي طلبها لأهله الذين كانوا أحياء على الأرض (عدد ١٦)، الأمر الذي يدل على أن الرحمة التي

<sup>٦٣</sup> - إن الذين يقولون أن انيسيفوروس كان قد مات وقتئذ، يبنون قولهم هذا على أن الرسول طلب الرحمة لبيته. لكن هذه الطلبة لا تقوم دليلاً على أن انيسيفوروس كان قد مات. فنحن في حاجة إلى رحمة الله ليس فقط بعد أن يموت من يعولنا، بل نحن في حاجة إليها في كل وقت من الأوقات. ومع كل فإن انيسيفوروس (كما يتضح من الرسالة إلى تيموثاوس) كان يسكن في مدينة أفسس مع أفراد عائلته، لكن عمله كان يدعو الذهاب إلى رومية من وقت إلى آخر ومن ثم كان يتغيب عنهم كثيراً. ولذلك كان من البديهي أن يطلب بولس الرحمة لأجلهم، أو بالحري اللطف والعناية والمساعدة. لكننا في ردنا أعلاه افترضنا أنه كان قد مات (كما يعتقد أصحاب الحجة التي نحن بصدددها) حتى تبدو الحقيقية على أسوأ الفروض.



طلبها له ليست هي النقل من السجن إلى الفردوس (كما يعتقد أصحاب هذه الحجة)، بل هي اللطف والسعة والوجود، أو بالحرى المكافأة الطيبة عن أعمال المحبة التي كان يقوم بها أنيسفوروس نحو الرسول (عدد ١٦-١٧).

ومن البديهي أن يكون الأمر كذلك، لأن هذه الأعمال وإن كانت لا تستطيع أن تكفر عن الخطية أو تمنح فاعلها طبيعة روحية جديدة تؤهله للتوافق مع الله في صفاته السامية، لكن لها مكافأتهما كما ذكرنا فيما سلف. وهذه المكافأة أساسها في الواقع رحمة الله أيضاً [لأنه فضلاً عن اننا مهما عملنا من بر، فنحن عبيد بطالون لانستحق جزاء ما" (لوقا ١٧ : ١٠)، فإنه لولا عمل نعمة الله في نفوسنا لما استطعنا القيام بأي عمل صالح في نظره تعالى]. ولذلك فالرسول بصلاته المذكورة، لا يرجو لانيسفوروس شيئاً يتعارض مع مشيئة الله بل يتوافق معها كل التوافق.

٢. [إن كل الناس، بما فيهم أعظم القديسين، يموتون بخطايا كثيرة يعرفون بعضها ولا يعرفون البعض الآخر لذلك إذا كنا لا نصلي لأجل كل الناس بعد موتهم، لا يمكن أن يدخل واحد منهم إلى الفردوس].

الرد: إذا كان الموتى مؤمنين حقيقيين قد فعلوا في حياتهم خطية ما، فإن الله يكون قد قادمهم للتوبة عنها، كما يكون قد أدبهم بسببها أثناء وجودهم على الأرض لكي لا يدانوا مع العالم (١ كورنثوس ١١ : ٣٢)، ولذلك يكونون قد دخلوا إلى الفردوس بمجرد انتقالهم إلى العالم الآخر مثل اللص الذي آمن على الصليب، ومن ثم لا يكونون في حاجة إلى أن يصلي أحد عليهم أو لأجلهم بعد موتهم.

وإذا كانوا مؤمنين بالاسم أو غير مؤمنين، فإنهم يكونون قد انتقلوا إلى الهاوية ليقبوا فيها حتى يوم الدينونة، وحينئذ سوف يطرحون في جهنم إلى الأبد، ومن ثم فإن الصلاة لأجلهم أو عليهم لا تفيدهم بشيء. لأن التمتع بالسماة يتوقف على توافق النفس مع الله في صفاته السامية، وليس على صلاة الآخرين لأجلها. وتوافق النفس مع الله يبدأ في العالم الحاضر، لأن في هذا العالم يمكن للنفس أن تتوب عن الخطية وتؤمن إيماناً حقيقياً، تولد به من الله وولادة روحية تجعلها أهلاً للتوافق معه كما ذكرنا.

٣. [طالما أن الحكم بالدينونة لم يصدر بعد، وطالما أن الله يسمع الصلاة ويستجيبها، لذلك لا شك أنه يستجيب الصلاة لأجل الموتى في الوقت الحاضر، فينقلهم من السجن إلى الفردوس، وهذا ما يشجعنا على الصلاة لأجلهم مرات كثيرة].

الرد (أ) حقاً أن الله يستجيب الصلاة، ولكن على شرط أن تكون متفقة مع مشيئته، فقد قال الرسول "وَهَذِهِ هِيَ الثِّقَّةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ أَنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا" (١ يوحنا ٥ : ١٤) وبما أن الصلاة لأجل نقل أشخاص من السجن إلى الفردوس تتعارض كل التعارض مع حق الله، لأنه لا يدخل إلى الفردوس إلا من تاب بمحض رغبته عن الخطية، وآمن بالمسيح إيماناً حقيقياً نال بواسطته طبيعة روحية جديدة من الله تؤهله للتوافق معه، لذلك لا مجال لاستجابة الصلاة المذكورة.

(ب) كما أننا إذا وضعنا أماننا أن الذين يصلون لأجل الموتى مرات كثيرة يطلبون من الله في كل مرة أن يغفر لهم خطاياهم وأن يفتح باب الفردوس أمامهم اتضح لنا إما أنهم لا يفهمون ما يقولونه بأفواههم، أو أنهم لا يعتقدون في قرارة نفوسهم أن الله استجاب صلاتهم من أجل الموتى في المرة أو المرات السابقة. فإن كانوا لا يفهمون ما يقولونه

بأفواههم لا يجوز أن نعتد عليهم، وإن كانوا لا يثقون أن الله يستجيب صلاتهم، فلماذا نطلب منهم أن يصلوا من أجل الأموات أو الأحياء؟

٤. [إن الصلاة على الموتى المنتشرة في كل الأديان دون استثناء، دليل على أن هناك فرصة لخلاص الخطاة بعد موتهم].

الرد (أ) إننا لا نبني إيماننا على ما يعتقد الناس، حتى إذا كان مؤسساً على أسباب معقولة لديهم، بل نبني إيماننا على ما ورد في الكتاب المقدس دون سواه، وبما أنه لا توجد آية واحدة في هذا الكتاب تطلب منا الصلاة لأجل الموتى، تكون الصلاة لأجلهم أمراً بعيداً عن حق الله كل البعد. فإذا أضفنا إلى ما تقدم أن الصلاة لأجل الموتى كانت منتشرة بين الوثنيين الأشرار. كما يتضح من كتبهم وآثارهم، اتضح لنا أنه ليس هناك مجال للحجة التي أمامنا مجال.

٥. [إن الاستشفاع بالقدسين الموجودين الآن مع الله في الجسد، لكي يتوسطوا له لأجل الذين في الهاوية، يعود عليهم بفائدة كبيرة، لاسيما وأن هذا الاستشفاع قديم في الكنيسة، الأمر الذي يدل على أنه قام على حق إلهي].

الرد (أ) إن القديسين بعد انتقالهم من العالم الحاضر يصبحون تحت تأثير مجد الله دون سواه. وقد أشار بعض الأرثوذكس الأفاضل إلى هذه الحقيقة فقالوا "إن أرواح الطاهرين في الأبدية لاتتصور شيئاً من الخلائق أو ترتبط به، لأن الله يكون لها هو الكل في الكل". كما قالوا "القديسون في العالم الآتي لا يصلون لأن عقولهم قد ابتلعت منهم بالروح وهم يسكنون في الدهس (أو بالحري الاستغراق الكلي) في ذلك الجسد الأبدى"

وقالوا أن دخول العقل (أو النفس) خلف حجاب قدس الأقداس لا يعطيه الله لإنسان حتى لو قامت الخليقة كلها تتوسل نيابة عنه. أما استحقاق هذا الدخول فهو طهارة نفسه، أو بالحري إيمانه الحقيقي بالمسيح. (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ٨٣، ١٢٠، ٢٧٩) فضلاً عن ذلك فإن القديسين محدودون في معرفتهم وقدرتهم، كما أنهم لا يستطيعون أن يكفروا عن خطية إنسان أو يمنحوه طبيعة روحية تؤهله للتوافق مع الله (لأن هذا هو عمل المسيح دون سواه، وذلك للذين يؤمنون به إيماناً حقيقياً في العالم الحاضر كما ذكرنا فيما سلف)، ومن ثم فإن شفاعاة القديسين، إن كانت لهم شفاعاة، لاتنقل أحداً من الهاوية إلى الفردوس على الإطلاق.

(ب) وهكذا الحال من جهة القول [بوجود الاستشفاع بالقديسين في الكنيسة منذ القديم]، فليس بصواب، وكل ما في الأمر أن بعض الوعاظ في القرون الأولى اعتادوا في خطبهم التي كانوا يلقونها أمام الشعب، أن يناجوا الشهداء (كما يفعل الساسة أثناء خطبهم الحماسية في كل زمان ومكان من جهة شهداء المعارك والحروب) لكي يثيروا عواطف الأحياء ويدفعوهم للاقتداء بهم في الإيمان والشجاعة. فلما قرأ هذه الخطب بعض المتأخرين خيل إليهم أن الوعاظ المذكورين كانوا يخاطبون القديسين الذين انتقلوا إلى العالم الآخر، لكي يصلوا لأجلهم ويمدوا إليهم يد العون والمساعدة.

(ج) فإذا أضفنا إلى ذلك أن الله أعلن لنا أنه إذا أخطأت إليه أرض وخانت خيانة، فمد يده عليها وكسر لها قوام الخبز وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة نوح ودانيال وأيوب. فإنهم إنما يخلصون أنفسهم فقط ببرهم (حزقيال ٤: ١٢-٢٤)، لتتضح لنا أنه إذا كان الله يرفض شفاعاة أصفيائه من جهة رفع كوارث أرضية بسيطة عن الخطاة، فلا شك أنه

يرفض شفاعتهم (إن كانت لهم شفاعة)، من جهة رفع القصاص الأبدي عن هؤلاء الخطاة. لأن رفع القصاص عنهم وتأهيلهم للوجود مع الله لا يتمتع به إلا الذين تابوا بإرادتهم عن الخطية في العالم الحاضر وآمنوا إيماناً حقيقياً حصلوا به على طبيعة روحية تتوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية كما ذكرنا.

(د) أما الدعوى [بأن توسل الغني بعد موته لأجل أقربائه لدى إبراهيم خليل الله، يدل على أن الموتى يصلون لأجل الأحياء] فلا يجوز الأخذ بها، إذ فضلاً عن أن توسل الغني لم يجد على أقربائه خيراً (لوقا ١٦)، فإن الوحي قصد بهذا الحديث أن يعلن لنا أن فرصة الحصول على الخلاص هي في الوقت الحاضر فحسب، وأنه إذا انتقل الإنسان من هذا العالم دون أن يحصل على هذا الخلاص، لا يمكن أن يحصل عليه في الأبدية بحال.

كما أننا إذا وضعنا أملنا أنه لو كانت الصلاة تفيد الموتى، لما أفادت إلا الأغنياء والعظماء، لأن هؤلاء هم الذين يستطيع ذووهم أن يجزلوا العطاء لرجال الدين، حتى يصلوا لأجلهم بعد موته، اتضح لنا أن الصلاة لأجل الموتى لا تتفق مع الحق الإلهي من أية ناحية من النواحي.

٦. [إن كل الناس حتى أفضل القديسين يموتون بخطايا كثيرة، ولذلك يجب أن يمروا بعد موته في نار المطهر، حتى يتطهروا من خطاياهم ويصبحوا أهلاً للتمتع بالسما. وقد أشار الرسول إلى هذه الحقيقة فقال "وَسَتَمْتَحِنُ النَّارَ عَمَلٌ كُلٌّ وَاحِدٌ مَا هُوَ. إِن بَقِيَ عَمَلٌ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَيَسْأَلُ أَجْرَهُ. أَنِ احْتَرَقَ عَمَلٌ أَحَدٍ فَيَسْخَرُ وَأَمَّا هُوَ فَيَسْخَرُ وَلَكِنْ كَمَا بَنَاهُ" (١ كورنثوس ٣ : ١٤-١٥)

الرد (أ) إن النار المذكورة في هاتين الآيتين ليست (كما يتضح لنا) للتنقية والتطهير بل هي للفحص والامتحان. وهي مستعملة هنا بالمعنى المجازي بوصف النار هي التي يمتحن بها الذهب لتتضح مقدار نقاوته، إذ أنها تحرق كل زغل فيه، دون أن تؤثر عليه هو. فالمراد بالآيتين المذكورتين إذاً أن المؤمنين الحقيقيين الذين خدموا الرب بإخلاص في العالم الحاضر، سوف يأخذون أجره (أو بالحري أكاليل) بالإضافة إلى تمتعهم بالسماء، لأن هذا التمتع هو هبة لهم بفضل كفارة المسيح (رومية ٦: ٢٣). أما المؤمنون الحقيقيون الذين لم يخدموا الرب بإخلاص فسيخسرون الأجره (أو بالحري الأكاليل)، ولكنهم سيخلصون من العذاب الأبدي بفضل كفارة المسيح (يوحنا ٣: ١٦)، إنما كما بنار، أي كأشخاص شبت النار في بيوتهم فأحرقت كل ما لديهم، أما هم فقد خلصوا بمفردهم (أو بجلدهم كما يقولون)، كما كانت الحال مع لوط قديماً (تكوين ١٩).

(ب) فضلاً عن ذلك، فإن الأسس التي قامت عليها فكرة المطهر لا تتفق مع الكتاب المقدس للأسباب الآتية:

(١) أن الغفران والحصول على حياة روحية تتوافق مع الله في صفاته السامية، مرتبطان كل الارتباط بالتوبة والإيمان الحقيقي، ولا مجال لهذين إلا في العالم الحاضر. لأن في هذا العالم يستطيع المرء أن يبتعد عن الخطية بمحض إرادته، وأن يقبل أيضاً في نفسه الرب يسوع المسيح مخلصاً وحياة له.

(٢) أن النار التي يقال بوجودها في المطهر لا تستطيع (إن كان لها أو للمطهر وجود) أن تعيد الناس إلى حالة القداسة التي كانوا عليها قبل السقوط في الخطية، أو تجعلهم بما

يقاسونه من الآم أن يكفروا عن خطية واحدة من خطاياهم، لأن الذي يقوم بالعمل الأول هو الروح القدس، والذي يقوم بالعمل الثاني هو كفارة المسيح، وذلك للذين يتوبون عن خطاياهم ويؤمنون به إيماناً حقيقياً.

(٣) هناك هوة عظيمة بين سكان السجن وبين السماء، لا يستطيع أن يعبرها واحد منهم مهما بذل كل ما لديه من جهد (لوقا ١٦ : ٢٦) فضلاً عن ذلك فإنه بمجرد دخول المؤمنين الحقيقيين إلى السماء، سيعلق الباب أمام غير المؤمنين والمؤمنين بالاسم (متى ٢٥ : ١٠)، ومن ثم ليس هناك مجال للظن بوجود مجال للغفران أو التطهير بعد الانتقال من العالم الحاضر.

٧. [إن الاعتقاد بوجود مطهر تتطهر فيه نفوس الناس بعد موته حتى تصبح أهلاً للتمتع بالسماء، موجود في الكنيسة منذ نشأتها، ومن ثم لا بد أنه قام على أساس من الحق الإلهي].

الرد: بالرجوع إلى التاريخ يتضح لنا ما يأتي:

(أ) أن بعض الوثنيين وعلى رأسهم أفلاطون كانوا يعتقدون أن نفوس بعض الناس تتطهر بعد خروجها من أجسادها بعذاب شديد، حتى تخلص من أدرانها. وقد عمل فرجيل أهم شعراء اللاتين في القرن الأول<sup>٦٤</sup> قصصية عن مصير الأرواح بعد مفارقتها

---

<sup>٦٤</sup> - (فرجيل): من أهم شعراء اللاتين في القرن الأول، وكان يهتم بالطبيعة اهتماماً عظيماً، كما كان يميل إلى الزهد والتشفي كثيراً. وقد عالج الكثير من الموضوعات الأخلاقية والأدبية، ويميز أسلوبه بالدقة والعدوية.

لأجسادها، ذكر فيها أن النفوس تنطلق إلى مكان يدعى المطهر تتعذب فيه بالنار لمدة طويلة من الزمن، حتى تصبح أهلاً للدخول إلى الفردوس.

(ب) وقد تأثر بعض المسيحيين القدامى مثل أوريجانوس وأيرونييموس بآراء أفلاطون وفرجيل وغيرهما، ولكنهم قالوا أن الأشرار سيظلون في النار إلى الأبد، أما القديسون فإنهم سيمرون في نار خاصة برهة من الزمن فحسب. وقد عللوا ذلك بأن القديسين بما فيهم العذراء مريم<sup>٦٥</sup>، يظل فيهم شيء من النقائص حتى عند إنطلاقهم من هذا العالم، ومن ثم فإن الله يدع نفوسهم جميعاً تمر دفعة واحدة في هذه النار في اليوم الأخير، حتى تنقى وتكون أهلاً للتمتع به في السماء.

أما البعض الآخر من المسيحيين مثل بوليكر بوس وأثيناغوروس وأغنطايوس واكليمنضس الإسكندري وكيريانوس، فقد رفضوا فكرة عذاب نفوس القديسين بعد انطلاقها من العالم الحاضر، وقالوا "ليس من السهل التصديق بوجود مثل هذا العذاب". (ج) ومع ذلك [فإن الاعتقاد بأن النفوس تتطهر بالنار بعد الموت] قد انتشر بين بعض الناس انتشاراً عظيماً، حتى أصبح كحقيقة دينية في عهد غريغوريوس الكبير في القرن السادس، ومن ثم أخذوا يقدمون العطايا والقرابين لأجل نفوس موتاهم، لكي (حسب اعتقادهم) يخفف الله عنها عذاب المطهر أو يقصر مدته.

---

<sup>٦٥</sup> - ولعل هذا هو السبب الذي من أجله يقال في القديس الغريغوري "يفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أروضك منذ البدء. وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين"، مع أنهم في مواضع أخرى يطلبون من الله أن يقلبهم بفضل شفاعتها.



(د) وفي القرن السابع نشرت في إيطاليا قصائد فرجيل عن مصير الأرواح فثبتت في إذهان الناس فكرة وجود المطهر. وفي القرن الثالث عشر نشر دانتي<sup>٦٦</sup> "الكوميديا" الإلهية التي اعتمد فيها على الكثير من أقوال فرجيل، فزادت فكرة المطهر تعمقاً في نفوس الناس.

(هـ) وفي مجمع فلورنسا سنة ١٤٣٩ صار الاعتقاد بوجود المطهر قانوناً من قوانين الإيمان المسيحي العامة، وفي المجمع التريدينتي صار تعليماً أساسياً في الكنيسة الكاثوليكية له قدسيته وأهميته الخاصة.

٨. [إن الصلاة والقداصات لأجل نفوس الموتى كانت موجودة في الكنيسة منذ القرون الأولى، ومن ثم لا بد أنها بنيت على أساس وطيد من الحق الإلهي].  
الرد: بالرجوع إلى التاريخ يتضح لنا ما يأتي:

(أ) إن فكرة الصلاة لأجل الموتى نشأت في القرنين الثالث والرابع، وقد أشار إليها أوريجانوس وكبريانوس وكيرلس وذهي الفم، غير أن كبريانوس وكيرلس ترددوا في فائدتها. فقال الأول "متى انتقلنا من هذا العالم، لا يوجد مجال للتوبة" وقال الثاني "كثيرون يقولون "ما المنفعة التي تعود على النفس، إن كانت قد خرجت من العالم بخطايا أو بدون خطايا، ثم ذكرها الأحياء في الصلاة؟! "ووافقهما على رأيهما

---

<sup>٦٦</sup> - (دانتي): من أشهر شعراء إيطاليا في القرن الثالث عشر، وكان من المصلحين البارزين في هذا القرن. والكوميديا التي عملها هي قصيدة عن رحلة خيالية إلى الهاوية والمطهر (الذي قال عنه فرجيل) ثم إلى الفردوس بعد ذلك. ومما جاء في هذه الكوميديا، أن المطهر على هيئة جبل به سبع مناطق يمر بها الخطاة واحدة بعد الأخرى في سعيهم وراء التوبة والعفران. فإذا ما بلغوا المنطقة السابعة اجتازوا في نار تحرق شهواتهم وأهواءهم، حتى يصبحوا أهلاً للفردوس.

أوغسطينوس فقال "لا نقدر أن نعبر إلى الأبدية... ما لم نكن قد تحولنا مع الأبدى ابن الله بالاتحاد الروحي معه، أثناء وجودنا على الأرض" (الله مخلصي ص ١١٤) وغريغوريوس النزيزي فقال "يمكن أن يجد الناس علاجاً لحالتهم الروحية عندما يكونون في العالم الحاضر، أما فيما بعد فلا يوجد سوى الوثائق (أو بالبحري القبول الأبدية)" وأكريوس فقال "لو كانت صلاة الأحياء تنفع الموتى، لما كانت هناك حاجة إلى التقوى والاجتهاد في الأعمال الصالحة في العالم الحاضر، وكان يكفي أن نوصي أصدقاءنا وأقرباءنا أن يصلوا لأجلنا بعد موتنا" وإيرونيموس فقال "ينبغي لكل واحد أن يحمل حمل نفسه"، أي أن صلاة الواحد لا تنفع الآخر، وتقوى الواحد لا تنفع الآخر.

(ب) أما القداسات لأجل الموتى، فقد نشأت في القرن السابع عندما دب الهلع في نفوس الناس بسبب ما سمعوه عن وجود المطهر والنار الحامية التي فيه، وقد شجعهم رجال الدين على الإكثار من هذه القداسات لكي يحصلوا على أكبر مبلغ من المال للكنائس. غير أن هذه القداسات لم تتقرر كتعليم من التعاليم الكنسية الأساسية إلا في القرن السادس عشر بواسطة المجمع التريدينتي، من هذا يتضح لنا أن الصلاة لأجل الموتى ورفع قداسات لأجلهم، لا أساس لهما في الكتاب المقدس، بل بنيتا على آراء بعض الناس في العصور القديمة. أما الصلاة والوعظ لتعزية أهل المتوفى، ورفع قلوبهم إلى الله، فعمل نافع وواجب.

(ج) أخيراً نقول: حقاً أن نفوس موتانا عزيزة لدينا، ونتمنى من كل قلوبنا أن ينجوا جميعاً من العذاب الأبدى، لكن يجب ألا ننسى أن الله له ناموسه الثابت الذي يخضع له كل الأحياء والأموات. فالذين حصلوا منه بواسطة الإيمان الحقيقي في العالم الحاضر على

طبيعة روحية تجعلهم أهلاً للتوافق معه في صفاته السامية، سوف يتمتعون به إلى الأبد، أما الذين لم يحصلوا منه على هذه الطبيعة فسوف يجرمون منه إلى الأبد أيضاً. لأنه كما تكون النفس في هذا العالم سوف تكون في العالم الآخر تماماً، إذ أن الموت لا يغير من طبيعتها شيئاً.

وقد شهد بهذه الحقيقة كثيرون من القدماء فقال إقليدس أسقف روما في القرن الثاني "فلنتب عن الشر الذي ارتكبناه بالجسد حتى نخلص. لأنه بعد خروجنا من العالم لا يمكننا القيام بالاعتراف القلبي أو التوبة" وقال اكليمنضس الاسكندري في القرن الثالث "متى انتقلنا من هذه الحياة، لا يوجد لنا مجال في الحياة الأخرى لكي نعترف ونتوب" وقال كبريانوس في القرن الثالث أيضاً "متى انتقلنا من هنا، لا يوجد مجال للتوبة. بل إن الحياة الأبدية نخسرها هنا، ونجدها هنا أيضاً. لذلك فالمؤمن الحقيقي ينتقل من العالم مباشرة إلى الغبطة والخلود" (الآباء في القرون الثلاثة الأولى ص ١٨، ربحانة النفوس ص ١٠٩ - ١١٤، أسرار الكنيسة السبعة ص ١٣٨).

وإذا كان ذلك كذلك، لا يسعنا الا أن نضع أيدينا على أفواهنا، فالله لا يغرمنا بأكثر من آثامنا (أيوب ١١ : ٦)، وعلينا أن نعمل من جانبنا طالما نحن في العالم الحاضر على أن نخلص على أي حال قوماً (١ كورنثوس ٩ : ٢٢) مختطفين الاشرار من النار التي يسعون إليها، ومحافظين على حياة الطهارة والقداسة كل المحافظة (يهوذا ٢٣).



## ٧

## مشيئة الله وخلص البشر

إن الله الذي أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية، لا يمكن أن يقسو على بعض الناس ويسمح بطرحهم في جهنم دون سبب ما. ومن ثم فالقول [بأن الخلاص يتوقف على مشيئة الله واختياره، وليس على إيمان الناس أو أعمالهم]، لا نصيب له من الصواب. وفيما يلي الحجج التي يعتمد عليها أصحاب هذا القول مصحوبة بالرد عليها:

١. [قال بولس الرسول عن الله إنه "كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قَدَيْسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَّا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسْرَّةٍ مَشِيئَتِهِ" (أفسس ١: ٤-٥) وقال أيضاً "لَأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ" (رومية ٨: ٢٩)، وقال بطرس الرسول عن المؤمنين إهم "مُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللَّهِ الْآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (ابطرس ١: ٢)، ولذلك فكل عمل يقوم به الناس للحصول على الخلاص لا يجدي، إلا إذا كان الله قد اختارهم من قبل لهذا الخلاص].

الرد: وإن كان الوحي يعلن لنا أن الله قد اختار المؤمنين الحقيقيين للخلاص، لكنه يعلن من الناحية الأخرى أن المسيح قال لجميع الناس "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ" (متى ١١: ٥) ١٢٣

كما قال لهم "مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا" (يوحنا ٩ : ٣٧) وإنه خاطب أورشليم مرة بالقول "كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادِكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا" (متى ٢٣ : ٣٧)، كما أعلن أن الله "إِنِّي لَا أُسْرُ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ، بَلْ بَأَنْ يَرْجِعَ الشَّرِيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا" (حزقيال ٣٣ : ١١)، وأنه "يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ" (اتيموثاوس ٢ : ٤).

وبمقابلة هذه الآيات مع الآيات الواردة في حجة المعارضين، يتضح أن الله وإن كان قد اختار المؤمنين الحقيقيين للخلاص، غير أنه لا يأتي بهم إليه رغماً عنهم بل بإرادتهم، الأمر الذي يدل على أن هناك علاقة مباشرة بين اختيار الله الأزلي لهم، وبين إيمانهم وطاعتهم له في الزمن الحاضر. لذلك وإن كنا لا نعرف كل شيء عن الاختيار الأزلي لسمو أفكار الله عن أفكارنا (رومية ١١ : ٣٣)، لكن يمكننا أن نقول بكل يقين أن هذا الاختيار لا يقوم عقبه أمام أي إنسان في سبيل التوبة والإيمان الحقيقي، لأن الاختيار ليس إلا مظهراً من مظاهر نعمة الله الذي يؤكد للراغبين في الإتيان إليه بإخلاص، بأنهم معروفون لديه منذ الأزل، وأنه عينهم من هذا الوقت (إن جاز أن يسمى الأزل وقتاً) للخلاص والحياة معه إلى الأبد.

(ب) لذلك فكل خاطيء يضع في قلبه أن يتوب عن خطاياها ويقبل إلى المسيح، سوف يرى أن الله يعضده ويساعده ويبعث إلى نفسه بكل رجاء وأمل. وسوف يعلم في النهاية (إن كان يؤمن إيماناً حقيقياً) أن الفضل في خلاصه لا يرجع إلى وجود صلاح فيه أكثر من غيره من الناس، بل إلى نعمة الله التي أنقذته. أما الذي يظل في خطاياها ويقول (إن كان الله قد اختارني، فلا بد أنه سيأتي بي أنه رغماً عني في يوم من الأيام)، وهكذا يظل

عائشاً في خطاياها، ففضلاً عن أنه يبني اعتقاده على غير أساس، فإن قوله هذا دليل على أنه يصير على البقاء في الخطية، وبالتالي على أنه غير أهل للخلاص منها، لأن الله لا يخلص أحداً من الخطية رغماً عنه. إذ أنه خلق الإنسان بإرادة حرة لكي يكون مسئولاً عن قبول الخلاص أو رفضه.

ولذلك فكل من يحتج بالاختيار الأزلي ولا يسلم حياته للمسيح، لا يمكن أن يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، وليس هذا فحسب بل وتدهو حالته كثيراً، ويكون مثله مثل الجائع الذي يقول: إذا أراد الله أن يطعمني، فإنه يرسل إلي الغذاء الذي أحتاجه، دون أن أعمل أو أشقى، ومن ثم فإنه يظل في جوعه حتى يموت، محكوماً عليه من نفسه بأنه لا يستحق الحياة.

مما تقدم يتضح لنا أن المسيح يعرض نفسه على جميع الناس، والناس لهم أن يقبلوه ولهم أن يرفضوه. فإن قبله واحد منهم بالإيمان الحقيقي يصبح للتو ابناً لله له حياة أبدية معه. وإن رفضه آخر أو آمن به إيماناً اسمياً، يظل في خطاياها ويجلب على نفسه شقاءً أبدياً وبتس المصير.

٢. [إن كان الخلاص يقدم لجميع الناس دون استثناء، فلماذا قال الوحي عن عيسو ويعقوب قبل ولادتهما "إِنَّ الْكَبِيرَ يُسْتَعْبَدُ لِلصَّغِيرِ" (رومية ٩: ١١)].  
الرد: (أ) إن استعباد عيسو ليعقوب، أو بالبحري صيرورته أصغر منه مقاماً أمر متعلق بالزمن الحاضر وليس بالأبدية (تكويين ٢٧: ٢٨ - ٢٩)، لأنه ليس هناك في الأبدية مجال لاستعباد أحد للآخر. ولذلك لا يراد بالآية التي نحن بصدددها أن الله أنعم بالخلاص للأبدي على يعقوب دون عيسو، بل أنه أعطى الميراث الأرضي للأول دون الثاني.

ويرجع السبب في ذلك (كما يتضح من الكتاب المقدس) إلى أن الله كان يعلم منذ البدء أن عيسوس يكون مستبيحاً (تكوين ٢٥ : ٢٩ - ٣٤)، أما يعقوب فسيكون حريصاً (تكوين ٢٧ : ٢٥ - ٢٩)، والحريص أولى بالميراث من المستبيح.

(ب) كما أنه بدراسة الاصحاح الواحدة في هذه الآية، يتضح لنا أن الله قصد بهذا التصرف الذي لا يؤثر على عيسو من جهة الأبدية في قليل أو كثير، مثلاً يعلن به للبشر مبدأ معاملته معهم من جهة الخلاص الأبدي، حتى لا يدعي بعض الناس أن لهم الأولوية على غيرهم من جهته، لكونهم (مثلاً) أكبر أو أقوى منهم، بل أن يعتمدوا جميعاً على نعمة الله التي تشمل كبيرهم وصغيرهم سواء بسواء، طالما يتوافر فيهم الإيمان الحقيقي. لأن الله لا يحب شخصاً لأنه كبير في عيني نفسه أو أعين الناس، ولا يحتقر آخر لأنه صغير في عيني نفسه أو أعين الناس، بل يحب الجميع ويدعو الجميع دون استثناء. وقد وجه الرسول أنظار اليهود بصفة خاصة إلى هذه الحقيقة، حتى لا يعتمدوا على الادعاء بأن لهم (بسبب نسبتهم إلى إبراهيم، أو بسبب إيمانهم بالله قبل باقي الامم) الأفضلية على سواهم، بل يعلموا أنهم مع كل الامم على قدم المساواة أمام الله إذ أنهم خطاة مثلهم وفي حاجة إلى نعمته ورحمته مثلهم.

٣. [إن الله نفسه قال "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو" (رومية ٩ : ١٣) الأمر الذي يدل على أن خلاص بعض الناس وهلاك البعض الآخر، يتوقف أولاً وأخيراً على مشيئة الله وحدها].

الرد: (أ) لما كبر عيسو ويعقوب، انحرف كل منهما في سلوكه عن الله: فالأول احتقر البكورية وازدراها. والثاني خدع أباه كما خدع حماه. وبناء على عملهما كانا لا



يستحقان معاً محبة من الله أو عطفاً. ولكن الله أحب يعقوب الصغير (أي عامله بالرحمة) وأبغض عيسو الكبير (أي عامله بالعدل)<sup>٦٧</sup>، ولا اعتراض على معاملة الله لأي منهما على الإطلاق، لأن الله كما يتصف بالرحمة يتصف بالعدل أيضاً. فضلاً عن ذلك فقد عامل يعقوب بالرحمة لأن يعقوب كان يشعر أنه إنسان ضعيف في ميسس الحاجة إلى رعاية الله (تكوين ٢٢: ١-١٢)، وعامل عيسو بالعدل لأن عيسو كان يعتز بقوته ويفخر بها كثيراً (تكوين ٢٧: ٤١)، وتصرف الله هذا يتوافق مع حكمته وكماله كل التوافق.

(ب) أما الاعتراض [لماذا لم يرحم الله عيسو كما رحم يعقوب؟]. فليس له مجال على الإطلاق، لأن الله لا يعمل عملاً إلا وله مبرراته التي لا يستطيع أمامها كائن أن يعترض أو يحتج (رومية ٣: ١٩) فعيسو احتقر البكورية وامتيازاتها الطيبة التي آلت إليه مجاناً، كما كان (وهو إنسان لا حول له ولا طول) يعتز بقوته وبطشه اعتزازاً كبيراً، لذلك لا يكون أهلاً لأن يعامله الله بالنعمة الأجنبية، لأن من شأن هذه النعمة أنها لا تتجه إلا للذين يشعرون بحاجتهم الماسة إليها، هذا مع العلم بأن الذي يعترض بالاعتراض المذكور لا يشفق على عيسو بل يشفق على نفسه هو. إذ يريد مع حياة الإباحة التي يجيها، أن ينال من الله رحمة ولطفاً. لكن لن تجدي عليه المماحكة في الكلام خيراً، لأنه أن لم يتب

---

<sup>٦٧</sup> - هذا مع العلم بأن الرجوع إلى (سفر ملاخي ١: ١، ٢) يوضح لنا أن الحديث عن اخية ليعقوب والبغضة لعيسو، لم يكن عنهما بصفة شخصية أو خاصاً بخلاص أو هلاك أحدهما، بل كان عن معاملات الله السياسية في العهد القديم، للأمم التي تكونتا من هذين الرجلين على الأرض لأسباب خاصة.

عن خطاياهم ويقدر نعمة الله الغنية ويؤمن بالمسيح إيماناً حقيقياً، فإنه يهيء نفسه للشقاء الأبدي، إذ أن الله لا يشمخ عليه، فما يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً (غلاطية ٦ : ٧).

٤. [إن الله قال "إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ وَأَتْرَأُ عَلَى مَنْ أَتْرَأُ" (رومية ٩ : ١٥)، وهذا دليل على أن الإنسان ليس له يد في الحصول على رحمة الله وخلصه].

الرد: إن الله لا يقول إنه يرحم من يرحم ويظلم من يظلم، بل يقول إنه "يَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ وَيَتْرَأُ عَلَى مَنْ يَتْرَأُ" ولذلك لا يجوز أن يتخذ أحد هذا القول، دليلاً على أنه تعالى ظالم أو متعسف. إذ أنه يعلن عن رحمته ورافته، يعلن للبشر أنه لا يعاملهم على أساس سلوكهم وتصرفاتهم بل على أساس رحمته ورافته، الأمر الذي يفتح المجال للخلص أمامهم جميعاً، إذا تابوا والتجأوا إليه بالإيمان الحقيقي.

٥. [قال الرسول "فَإِذَا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ" (رومية ٩ : ١٦)، وهذا دليل على أن سعي الإنسان نحو الخلاص لا يجدي عليه نفعاً، وأن مصيره الأبدي متعلق بقضاء الله دون سواه].

الرد: بالتأمل في هذه الآية مع الآيات السابقة واللاحقة لها، يتضح لنا أنه لا يراد بها أن الله لا يعطي الخلاص للذين يسعون إليه بالتوبة والإيمان الحقيقي، بل أنه لا يعطيه للذين يسعون إليه بالبر الذاتي، كما كان اليهود يفعلون من قبل.

فقد قال الرسول بعد هذه الآية مباشرة "إِنَّ الْأُمَّمَ الَّذِينَ لَمْ يَسْعَوْا فِي أَثَرِ الْبِرِّ أَدْرَكُوا الْبِرَّ - الْبِرُّ الَّذِي بِالْإِيمَانِ. وَلَكِنَّ إِسْرَائِيلَ وَهُوَ يَسْعَى فِي أَثَرِ نَامُوسِ الْبِرِّ لَمْ يُدْرِكْ

نَامُوسَ الْبَرِّ! لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لَيْسَ بِالْإِيمَانِ بَلْ كَأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رومية ٩ : ٣٠)

٦. [إن الله قال لفرعون "إِنِّي لَهَذَا بَعِينِهِ أَقْمَتُكَ لِكِي أَظْهَرَ فِيكَ قُوَّتِي" وقد فسر بولس الرسول هذه العبارة فقال "فَإِذَا هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ" (رومية ٩ : ١٨ - ١٩)، وهذا دليل على أن الله هو الذي يقسي قلوب بعض الناس، وبالتالي هو الذي يجرمهم من الخلاص].

الرد: إن الله كان قد أعلن عن ذاته لفرعون بمعجزات متعددة، لكن فرعون أصر على عدم الإيمان به، ومن ثم قسى الله قلبه أو بالحري تركه لقساوته<sup>٦٨</sup> الطبيعية. والله بتصرفه هذا، لم يظلم فرعون على الإطلاق، لأن فرعون استغل حلم الله وطول أناته في المعاندة والمقاومة، ومن ثم حق لله أن يعامله بالمعاملة التي تليق به، أو بالحري أن يتركه وشأنه ليحصد نتائج عصيانه، وهذه هي معاملة الله ليس مع فرعون فحسب، بل وأيضاً مع كل الذين يأبون الإصغاء لصوته. فمثلاً قال الرسول عن الرومان الذين كانوا يدعون الحكمة وهم فجار وعبدة للأوثان "وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُقْبَلُوا اللَّهُ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسَلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيْقُ" (رومية ١ : ٢٨) وهذه المعاملة معاملة عاجلة لأن الذين لا يستثمرون عقولهم التي أعطاهم الله لهم في التعرف عليه والسير في

<sup>٦٨</sup> مما تجدر الإشارة إليه أن الوحي يسند أحياناً بعض تصرفات الشرار إلى الله نفسه، ليس لأنه فاعلها بل لأنه يسمح لهم بأن يفعلوها لشهرهم. فمثلاً قال إشعياء النبي عن الله أنه أعمى عيون اليهود وأغلظ قلوبهم (يوحنا ٤٠ : ١٢). والمراد بمبدأ القول ليس أن الله هو الذي قام بمذنبين العمليين لهم، بل أن اليهود هم الذين قاموا بمحمل لأنفسهم، وقد سح الله لهم بعملهما لأهم رفضوا وصاياه رفضاً تاماً.

سبيله، يستحقون أن يتركهم الله في الجهل الذي أحبوه، إذ أن من له (ثمر للإيمان بالله) سيعطى ويزداد، أما من ليس له (هذا الثمر) فالذي عنده (من الفهم والإدراك) يؤخذ منه" (متى ١٢: ١٣)

٧. [قال الرسول "أَمْ لَيْسَ لِلخَزَافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُنْتَلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟ فَمَاذَا إِنْ كَانَ اللَّهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ غَضَبَهُ وَيُبَيِّنَ قُوَّتَهُ أَحْتَمَلَ بِأَنَاءٍ كَثِيرَةٍ آيَةً غَضَبَ مُهَيَّأَةً لِلْهَلَاكِ - وَلَكِي يُبَيِّنَ غَنَى مَجْدِهِ عَلَى آيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ الَّتِي أَيْضاً دَعَانَا نَحْنُ إِيَّاهَا لَيْسَ مِنَ الْيَهُودِ فَقَطْ بَلْ مِنَ الْأُمَمِ أَيْضاً" (رومية ٩: ٢١ - ٢٤). وهذه العبارة دليل على أن الإنسان ليس في يده أن يخلص أو يهلك، بل إن الخلاص والهلاك، هما في يد الله دون سواه].

الرد (أ) إن هذه العبارة لا تدل مطلقاً على أن الإنسان ليس في يده أن يخلص أو يهلك، بل تدل على أن الله إذا أراد أن يظهر عدالته (وله الحق وكل الحق في ذلك)، فإنه يظهرها مع العصاة الذين يحتملهم بصر كثير، ومع ذلك يتوغلون في شرورهم وآثامهم. وإذا أراد أن يظهر نعمته (وله الحق وكل الحق في ذلك)، فإنه يظهرها مع الأشخاص الذين يهابونه ويطلبون رحمته، ليس من بين اليهود فقط، كما كانوا يظنون بسبب نسبتهم إلى إبراهيم، بل ومن جميع الأمم أيضاً.

(ب) وإذا كان ذلك كذلك، فليس هناك مجال أمام أي فريق من الناس للتباهي أمام الله بأعمالهم، أو الاعتراض على معاملته معهم، لأن من يحصل على الغفران والحياة الأبدية، لا يحصل عليهما بناء على استحقاقه الذاتي، بل بناء على قبوله لخلاص الله

الجاني. ومن يحرم من الغفران والحياة الأبدية، لا يحرم منهما لأن الله لا يحب، بل لأنه رفض هذا الخلاص مع أنه مقدم إليه مجاناً، كما هو مقدم إلى غيره سواء بسواء. فالله يمد يده إلى جميع الناس دون استثناء بالرحمة والعطف، مقدماً لهم جميعاً غفراناً كاملاً وحياة أبدية على أساس كفارة المسيح، وما على الذين يريدون التمتع بهذا الإحسان إلا قبوله بالإيمان الحقيقي هبة مجانية من يده الكريمة. أما الذين يرفضونه، فطبعاً سيحرمون منه إلى الأبد، محكوماً عليهم من أنفسهم بأنهم لا يستحقون غفراناً أو حياة أبدية.

## ٨

## الخلاص وآراء القدماء المختلفة بشأنه

اتضح لنا من الفصول الستة الأولى أن معظم المنتمين إلى الأرثوذكسية والكاثوليكية، عوضاً عن أن يدرسوا آراء بعض القدماء عن الخلاص من الخطية في ضوء الكتاب المقدس ليعرفوا ما فيها من خطأ أو صواب، درسوا الكتاب المقدس في ضوء آراء هؤلاء القدماء، ومن ثم أولوا (بكل أسف) معاني بعض الآيات الكتابية حتى تكون متوافقة مع هذه الآراء. ولم يبق علينا الآن إلا أن نعرف الأسباب التي دعتهم إلى هذا التصرف، وما ترتب عليه من نتائج، وأن نعرف أيضاً آراء البعض الآخر من القدماء الذين تمسكوا بأقوال الكتاب المقدس وليس بآرائهم الشخصية، حتى بضدها تتميز الأمور كما يقولون.

### أولاً: أسباب التمسك بآراء بعض القدماء، وخطأ التمسك بها:

١. [الاعتقاد بأن أقرب الناس إلى الرسل أكثرهم فهماً لتعليمهم]، فضلاً عن أن الأرثوذكس والكاثوليك يتمسكون بآراء بعض القدماء دون البعض الآخر لغرض خاص لديهم، الأمر الذي لا يدع مجالاً أمامهم لهذا الاعتقاد، نقول: إن الاعتقاد المذكور ليس من الضروري أن يكون صواباً. فكثيرون من الذين عاصروا الرسل أنفسهم قد انحرفوا عن تعليمهم، ولذلك ضلوا ضلالاً مبيهاً. فيولس الرسول يحدثنا عن غلاطيين قالوا أن الخلاص يكون بحفظ الناموس والختان (٣: ١، ٢٤، ٥: ١)،

وكولوسيين قالوا أن الاتصال بالله يكون عن طريق وسطاء من الملائكة (٢: ١٦ - ١٩)، وعبرانيين رجعوا إلى الطقوس والتقاليد اليهودية وتقديس بعض الأيام والشهور (غلاطية ٤: ١٠) كما يحدثنا عن أشخاص زاغوا عن الحق وزيفوه (٢ تيموثاوس ٢: ١٨، ٣، ١٣)، وآخرين اتخذوا لأنفسهم معلمين مستحكة مسامعهم (٢ تيموثاوس ٤: ١٤)، وأصغوا إلى خرافات يهودية ما أنزل الله بها في كتاب (تيطس ١: ٤)، وعن أشخاص غيرهم يتكلمون بأمر ملتوية ليجتذبوا المؤمنين وراءهم، وهم مثل الذئاب الخاطفة التي لا تشفق على الرعية بحال (أعمال ٢٠: ٣٠).

ويوحنا الرسول يحدثنا عن أشخاص أنكروا مجيء المسيح في الجسد (١ يوحنا ٤: ٣)، وآخرين جعلوا أنفسهم رؤساء على المؤمنين (٣ يوحنا ٦)، وعن أشخاص تمسكوا بتعليم إيزابيل<sup>٦٩</sup> والنيقولاويين<sup>٧٠</sup> (رؤيا ٢: ٧، ١٤، ٢٠)، وعن مضلين كثيرين دخلوا إلى العالم لكي ينشروا بدعهم فيه (٢ يوحنا ٧)

ويهوذا يحدثنا عن أشخاص محتلمين (أو بالحري أشخاص يركضون وراء تصورات ذهنية وليس وراء حقائق كتابية) يفترون على المؤمنين الحقيقيين الذين مجدهم الله، مع المسيح، وفي الوقت نفسه يسلك هؤلاء المحتلمون طريق قايين الذي ذهب إلى أن القبول أمام الله يكون بجهاد الإنسان لا بالفداء (على النقيض من أخيه هابيل)، وبلعام الذي

<sup>٦٩</sup> - كان هذا التعليم يدعو بكل أسف إلى الرنا والأكل مما ذبح للأوثان.

<sup>٧٠</sup> - كان هؤلاء النيقولاويون يقولون أن المؤمنين ليسوا جميعاً أخوة (على النقيض مما يعلن الكتاب المقدس) بل يجب أن يكون بينهم رؤساء ومرؤوسون.

كان يجري وراء المال في سبيل القيام بأعمال الكهنة أو العرافة، وقورح الذي أراد أن يشغل مركزاً كهنوياً خاصاً، ليس من حقه أن يشغله (يهوذا ٨ - ١١).

لذلك كان الرسل يقامون هؤلاء الأشخاص بكل قواهم، كما كانوا يحدرون المؤمنين من مخالطتهم أو الاستماع إليهم. وإذا كان ذلك كذلك، فهل يجوز لنا أن نتمسك بأقوال القدماء كأنها وحي من الله لا يأتيها الباطل من أي ناحية من النواحي؟! طبعاً كلا.

أما القول [إن القدماء المذكورين كانوا أشخاصاً أتقياء، ومن ثم يكونون على حق في آرائهم] فلا يجوز الأخذ به، إذ فضلاً عن أن التقوى ليست هي الزهد والتقشف بل هي الإمتلاء بالروح القدس عن طريق الإيمان الحقيقي بالمسيح: فإن هؤلاء القدماء هم على أي حال بشر، والبشر غير معصومين من الخطأ سواء أفي التعليم أم في السلوك، ولذلك لا يجوز اتخاذ أقوالهم حجة نعتد عليها، بل يجب أن تكون حجتنا الوحيدة هي كلمة الله المنزه عن الخطأ.

٢. [الاعتقاد بأن المسيحية هي اليهودية كاملة، لأن المسيح قال إنه لم يأت لينقض الناموس بل ليكمله] وهذا الاعتقاد ليس بصواب أيضاً، لأنه بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن الغرض من تكميل المسيح للناموس (متى ٥: ١٧) هو نقله من المعنى الحرفي الذي اصططح اليهود عليه قديماً إلى المعنى الروحي الذي قصده تعالى. فمثلاً كان اليهود يعتقدون أن الزنا هو بالفعل فقط، بينما في نظر الله هو مجرد النظرة النجسة والأفكار الدنسة، وكانوا يظنون أن العطف والإحسان يكونان للقريب فحسب، بينما هما في نظر الله يجب أن يكونا لكل البشر على السواء (متى ٥/٦/٧)



كما أنه بالرجوع إلى الكتاب المقدس يتضح لنا أن العبادة اليهودية ليست أساساً للعبادة المسيحية، بل كانت فقط رمزاً وظلاً لها، والرمز لا يكون أساساً للمرموز إليه بل مجرد إشارة تدل عليه، والظل لا يكون أساساً للحقيقة بل مجرد دليل على وجودها. وكما أن الرمز لا يتطور إلى الرموز إليه والظل لا يتطور إلى الحقيقة، فظل البيت (مثلاً) لا يتحول إلى البيت ولا يقوم البيت عليه، هكذا الحال من جهة اليهودية، فإنها لم تتحول إلى المسيحية ولا المسيحية قامت عليها. فاليهودية ديانة أرضية والمسيحية ديانة سماوية، ومن ثم فالفرق بينهما مثل الفرق بين الأرض والسماء.

وللإيضاح نقول: غن هيكل الله في اليهودية كان بناء من حجارة، أما في المسيحية فهو قلوب المؤمنين (١ كورنثوس ٦: ١٩) والتكفير عن الخطية في الأولى كان بالذبايح الحيوانية عديمة القدر بالنسبة إلى الإنسان الذي تكفر عنه، ومن ثم كان يتكرر تقديمها من وقت إلى آخر، أما في المسيحية فلا مجال لأي ذبيحة كفارية مهما كان نوعها، لأن ذبيحة المسيح وفت جميع مطالب العدل الإلهي إلى الأبد من نحو المؤمنين (عبرانيين ٩: ٢٧)، ومن ثم فالذبايح في المسيحية هي ذبايح روحية محض مثل تقديس الحياة لله والتسيح الدائم له وفعل الخير مع جميع الناس (رومية ١٢، عبرانيين ١٣: ١٥، ١٦). ودائرة العبادة في الأولى كانت على الأرض وفق أنظمة وطقوس خاصة، أما في الثانية فهي بالروح في السماء (عبرانيين ٤: ١٦) والتطهير في الأولى كان بغسل الجسد بالماء المادي، أما في الثانية فيتم بنزع الشر من القلب بواسطة وضعه تحت تأثير كلمة الله (أفسس ٥: ٢٦) والختان في الأولى كان قطع الغرلة من الجسد، أما في الثانية فهو قطع الصلة بين القلب وبين الخطية (كولوسي ٢: ١١) والكهنوت في الأولى كان محصوراً في

فريق خاص من الناس، أما في الثانية فهو لكل المؤمنين الحقيقيين (رؤيا ١ : ٥) والكاهن في الأولى كان يجب أن يرتدي ملابس بيضاء عند قيامه بالعبادة، أما في الثانية فالمؤمن الحقيقي لا يمكن أن يصلي لله إلا إذا كان قلبه في غاية الطهر والنقاوة (عبرانيين ١٠ : ٢٢) أما لون الملابس فلا مجال له على الاطلاق.

٢ . [الاعتقاد بأن الكنيسة هي الدائرة التي يعيش فيها رجال الدين ويمارسون الطقوس الدينية لديهم، وأنها (أي الكنيسة) هي أهمهم التي ولدتهم، ومن ثم لها السلطة والسيادة عليهم. وهذا الاعتقاد ليس بصواب كذلك، لأن الكنيسة هي المؤمنون الحقيقيون في كل العالم، ولذلك فرجال الدين إن لم يكونوا من هؤلاء المؤمنين، لا يكونون أمام الله أعضاء في الكنيسة. أما من جهة الطقوس، فطالما أن الكتاب المقدس لم ينص عليها، يكون من الخطأ استعمالها، لا سيما وقد عرفنا أن العبادة المسيحية عبادة روحية لا شأن لها بالعبادة اليهودية على الاطلاق.

كما انه بالرجوع إلى الكتاب المقدس لا نرى أنه يدعو الكنيسة أمّا لنا، ولا غرابة في ذلك، لأنه إذا كانت الكنيسة هي نفسها المؤمنون الحقيقيون، فكيف يكون هؤلاء المؤمنون أمّا لأنفسهم؟! فالاعتقاد بأن الكنيسة هي أم المؤمنين لا يتفق إذاً مع الوحي أو العقل على الاطلاق. فضلاً عن ذلك فقد ترتب عليه انحراف عظيم عن الله. فكثير من الأرثوذكس والكاثوليك أصبحوا يتمسكون بالكنيسة أكثر من التمسك بالله، ويسعون للإتيان بالناس إليها دون الإتيان بهم إليه، ويحضونهم على ممارسة الطقوس أكثر من الحصول على الحياة الجديدة بالإيمان الحقيقي بالمسيح. وقد ركب بعضهم في سبيلهم هذا متى الشطط حتى زعموا أن أي مسيحي (مهتما كان شأنه) لا يوجد داخل

الأرثوذكسية أو الكاثوليكية يكون كافرًا ولا خلاص له على الإطلاق، لأن هاتين الكنيستين (حسب زعمهم) أم المؤمنين ومستودع البركات الروحية، وليت شعري أيهما تكون الأم الحقيقية وأيهما الأم المزيفة، لأنه لا يمكن أن تكون هناك أمان مختلفتان للمؤمنين برب واحد..

وهكذا لعبت الجسدانية دوراً كبيراً لدى الأرثوذكس والكاثوليك، إذ عندما عرفوا أن الله هو أب للمؤمنين، اتجهت إذهانهم إلى أن تكون لهم أم أيضاً. لكن لو أدرخوا أن الله نفسه هو الذي ولدنا مرة ثانية ولادة روحية [فمكتوب عنه أنه "وَلَدْنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءِ حَيِّ" (١ بطرس ١ : ٣)، وأنه "شَاءَ فَوَلَدْنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكِي نَكُونَ بَأَكْوَرَةَ مِنْ خَلَاتِنَه" (يعقوب ١ : ١٨)]، لما اتجهت أذهانهم إلى اتخاذ أم لهم بأي معنى من المعاني. وإن كان لا بد من أم لنا، فهذه الأم هي كلمة الله لأنها هي التي ولدنا الله بها، ومن ثم علينا أن نتغذى بها ونسمع لصوتها ونهتدي بهديها، كما علينا أن نحيا ونكرمها ونتمسك كل التمسك بها.

٤. [الاعتقاد بأن المسائل الدينية يجب أن تقبل كما هي دون بحث أو مناقشة]، وهذا الاعتقاد خطأ أيضاً مثل الاعتقادات السابقة، لأن الإيمان المسيحي ليس هو الإيمان الأعمى بل الإيمان المبصر. وإن كانت المسائل الدينية تشمل أموراً لا نستطيع إدراكها لكن هذه الأمور لا تتعارض مع العقل بل تسمو فقط فوق إدراكه. وهناك فرق شاسع بين الأمور التي تسمو فوق إدراك العقل وبين التي تتعارض معه. فالأولى تنفق في

مبادئها معه، لكن لعظمتها لا يستطيع الإحاطة بها، أما الثانية فلا تتفق معه لا في مبادئها أو في نتائجها<sup>٧١</sup>.

ولذلك إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس، نراه يحدثنا كثيراً عن وجوب الفهم، فيعلن لنا أن المسيح "حينئذ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ (التلاميذ) لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ" (لوقا ٢٤ : ٤٥) ولما خافوا من الأمواج قال لهم "كَيْفَ لَا تَفْهَمُونَ؟" (مرقس ٨ : ٢١)، ولما تحدث معهم عن الفرق بين النجاسة الطقسية والنجاسة الحقيقية قال لهم "أَسْمَعُوا وَأَفْهَمُوا" (متى ١٥ : ١٠) ولما عجز اليهود عن الإيمان به على الرغم من معجزاته الكثيرة التي عملها أمامهم، قال لهم "لِمَاذَا لَا تَفْهَمُونَ كَلَامِي؟" (يوحنا ٨ : ٤٣) وفيلس لما وجد الحبشي يقرأ سفر إشعياء النبي سأله قائلاً: "أَلَعَلَّكَ تَفْهَمُ مَا أَنْتَ تَقْرَأُ؟" (أعمال ٨ : ٣٠) وقال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "افْهَمُ مَا أَقُولُ. فَلْيُعْطِكَ الرَّبُّ فَهْمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ" (٢ تيموثاوس ٢ : ٧) وقال للمؤمنين "أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَا تَكُونُوا أَوْلَادًا فِي إِذْهَانِكُمْ" (١ كورنثوس ١٤ : ٢٠) فضلاً عن ذلك كان يصلي لأجلهم "مُسْتَنْبِرَةً عَيْونَ إِذْهَانِكُمْ" (أفسس ١ : ١٨)، "وَهَذَا أُصَلِّيهِ: أَنْ تَزْدَادَ مَحَبَّتِكُمْ أَيضاً أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ فِي الْمَعْرِفَةِ وَفِي كُلِّ فَهْمٍ، حَتَّى تُمَيِّزُوا الْأُمُورَ الْمُتَخَالِفَةَ" (فيلبي ١ : ٩)، "أَنْ تَمْتَلِثُوا مِنْ مَعْرِفَةِ مَشِيئَتِهِ،

---

<sup>٧١</sup> - فمثلاً القول (إن الله لا يعياً بالناس) كما يقول بعض الفلاسفة، يتعارض مع العقل. لأن المفروض أن الله يحب الناس لأنه خلقهم على صورته كشيءه. أما القول (إن الله أحب الناس حتى كفر بنفسه عن خطاياهم) الذي أعلنه الكتاب المقدس، فلا يتعارض مع العقل بل يسمو فوق إدراكه. لأن المفروض هو أن الله يحب الناس (إذ أن الخالق يحب خليقته)، ونظراً لأن الله لا حد له في ذاته، تكون محبته أيضاً لا حد لها في ذاتها، ومحبة لا حد لها في ذاتها، تعمل أعمالاً طيبة لا يستطيع العقل إدراكها.

في كُلِّ حِكْمَةٍ وَفَهْمٍ رُوحِيٍّ" (كولوسي ١ : ٩)، "لِمَعْرِفَةِ سِرِّ اللَّهِ الْآبِ وَالْمَسِيحِ، الْمُنْذَخِرِ فِيهِ جَمِيعِ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ" (كولوسي ٢ : ٢-٣) .  
وإذا كان ذلك كذلك، يجب أن نناقش المسائل الدينية بكل هدوء ووداعة، وبروح الصلاة في حضرة الله، ولدينا النية الصادقة أن نتمسك بكلمته، حتى إذا اتضح لنا أنها تتعارض مع آرائنا الشخصية، فيعلن لنا حقه بكل وضوح وجلاء، فقد قال الوحي "وَيُعَلِّمُ الْوُدْعَاءَ طُرُقَهُ" (مزمور ٢٥ : ٩)، كما قال "إن أراد أحد أن يعمل مشيئته، يعرف التعليم" (يوحنا ٧ : ١٧) .

### ثانياً: الخلاص لدى الأرثوذكس والكاثوليك

وكانت النتيجة الطبيعية لاعتماد الأرثوذكس والكاثوليك على آراء القداماء الذين انحرفوا عن حق الله، أنهم قالوا: أن الإيمان هو فقط أول خطوة لخلاص غير المسيحيين، ولكن المولودين في المسيحية والداخلين إليها يخلصون فعلاً بالمعمودية، إذا كانوا ينتمون إلى الأرثوذكسية والكاثوليكية، غير أن المعمودية وحدها ليست بكافية لخلاصهم خلاصاً كاملاً، لأنهم إذا لم يمسحوا بالميرون لا ينالون الروح القدس، ومن ثم تكون حياتهم كلها هالكة وباطلة. ونظراً لأن المعمودية والروح القدس لا يمنعان أحداً من السقوط في الخطية، لذلك فجميع الذين اعتمدوا ومسحوا بالميرون معرضون للهلاك الأبدي. ومن ثم يجب أن يعترفوا بخطاياهم من وقت إلى آخر لكي يتجددوا. ولما كانت التوبة هي سر الاعتراف، يجب أن يعترفوا بهذه الخطايا أمام الكهنة الموجودين في هاتين الكنيستين حتى ينالوا الصفح والغفران. وبعد حصولهم على الصفح والغفران لا يكون

أيضاً قد تم خلاصهم إذ يجب أن يتناولوا من ذبيحة العشاء الرباني لكي تحمى خطاياهم بدم المسيح. وحتى بعد قيامهم بكل هذه الأعمال إلى آخر نسمة من حياتهم على الأرض، لا تكون لهم ثقة في الخلاص الأبدي، لأنهم على أي حال خطاة وتصدر منهم خطايا متعددة لا يشعرون بها. ولذلك يجب أن يصلى لأجلهم وترفع القدايس عن أرواحهم من وقت إلى آخر بعد انتقائهم من هذا العالم.

هذه هي عقيدة الخلاص التي انتهوا إليها، والتي وصفوها بأنها تتفق مع البساطة التي في المسيح ويبدلون كل ما في وسعهم لئلا يفسد أحد (كما يقولون) أذهانهم من جهتها، معتمدين في ذلك على الآية الواردة في (٢ كورنثوس ١١: ٢، ٣)، مع أن هذه الآية يراد بها عدم الإصغاء إلى أي تعليم يحول الاتجاه عن المسيح، فقد قال الرسول فيها، فإني أغار عليكم غيرة الله لأني خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح، ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء قديماً بمكرها، تفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح".

وإنه ليؤسفني كل الأسف أن رجال الدين الأرثوذكس والكاثوليك، وكثيرون منهم لديهم درجات جامعية، قد وصفوا العقيدة السابق ذكرها بأنها عقيدة الخلاص البسيطة، مع أنها كما يتضح لنا، عقيدة عدم الخلاص (لأنها لا تمنح أحداً ثقة في الخلاص)، وفي الوقت نفسه هي عقيدة معقدة كل التعقيد.

أما طريق الخلاص الذي نادى به الكتاب المقدس فواضح كل الوضوح، وقد أشرنا إليه أكثر من مرة فيما سلف، ونجعله الآن في القول: إن المسيح بموته على الصليب قد كفر عن خطايانا جميعاً، لأنه وفي مطالب العدل الإلهي من جهتنا إلى الأبد، ومن ثم فكل من

يتوب عن خطايه ويتخذ المسيح بالإيمان الحقيقي نائباً عنه أو بالحري رباً وفادياً له، تنتقل إليه كل البركات التي تترتب على كفارته، فيخلص من قصاص الخطية ويتمتع بالقبول الأبدي أمام الله، كما يولد منه ولادة روحية يحصل بها (بواسطة الروح القدس الذي يسكن فيه) على طبيعة روحية يستطيع بها التوافق مع الله في صفاته الأدبية السامية في العالم الحاضر والآتي معاً، ولذلك فمؤمن مثل هذا لديه كل المؤهلات التي تكفي لحفظه في حالة القداسة مع الله في كل حين.

وإن سقط مرة في خطية لسبب ما، لا يستطيع البقاء فيها بسبب الطبيعة الروحية التي نالها من الله بالولادة منه، ومن ثم فإنه يعود إليه فوراً نادماً على الخطية التي أتاها، معترفاً بأسى لارتكابها ومتعهداً بعدم العودة إلى مثلها، فيصفح الله عنه ويعود به إلى حالة الشركة معه التي كان يتمتع بها من قبل. وإن أخطأ خطية شنيعة في نظر الله، فإن الله يوقع عليه في الوقت الحاضر ما يراه مناسباً من التأديب حتى لا يدان مع العالم، ليس لأن الله يقف إزاءه موقف المحاباة، بل لأن كفارة المسيح التي آمن بها هذا المؤمن إيماناً حقيقياً، قد وفّت جميع مطالب العدل الإلهي من جهته إلى الأبد، ولذلك فالغرض من هذا التأديب ليس الانتقام بل الإصلاح، حتى يشترك في قداسه تعالى (عبرانيين ١٢: ١٠).

أما من جهة الأعمال الصالحة، فهذا المؤمن لا يستطيع أن يقصر في شيء منها لأن الروح القدس الساكن فيه يقوده من وقت إلى آخر للقيام بكل ما يستطيع القيام به منها. كما أنه مهما أكثر من هذه الأعمال لا يكون قد قام بما يوازي ذرة مما يجب عليه إزاء الخلاص الذي أحسن الله به إليه. ومع ذلك فإن الله في نعمته الغنية يكافئه عن

الأعمال المذكورة بأكاليل خاصة في الأبدية، بجانب القبول الكامل الذي له بفضل كفارة المسيح.

هذا هو كل ما يتعلق بطريق الخلاص المعلن على صفحات الوحي، والذي يستحق أن يسمى "طريق الخلاص"، كما أن هذا الطريق واضح كل الوضوح ولا يمكن أن يتسرب الشك إلى أحد من جهته على الاطلاق، لأنه مؤسس على كفارة المسيح التي وفّت كل مطالب عدالة الله.

### ثالثاً: نقض بعض المسيحيين القدماء لآراء الأرثوذكس والكاثوليك

وإن كان بعض القدماء هم الذين وضعوا عقيدة الخلاص المعروفة لدى الأرثوذكس والكاثوليك في الوقت الحاضر، لكن هناك قدماء آخرين درسوا الكتاب المقدس دراسة دقيقة، ولذلك عرفوا طريق الخلاص الوارد به معرفة حقيقية.

وقد اقتبسنا من أقوالهم فيما سلف الشيء الكثير عن الموضوعات التي بحثناها في هذا الكتاب، ومن ثم نكتفي بأن نضع الآن شيئاً من أقوالهم عن الخلاص، أمام الذين لا يزالون يعتمدون على آراء القدماء، عسى أن يكون في ذلك فصل الخطاب.

١. فمن جهة ثمن الخلاص، قال مار افرام السرياني لله "آثرت أن تخلصنا مجاناً نحن الخطاة" (السيب طلبات لمشاهير الكيسة ص ١٩٨) وقال أوغسطينوس "دعنا نعرف أن النعمة ضرورية لنا. ولنصرخ مع بولس الرسول الذي قال "ويحيي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت؟"



هذا السؤال الحائر، إجابته الوحيدة هي: نعمة الله بالمسيح ربنا هي التي تنقذنا" كما قال دفاعاً عن هذه النعمة "إني أرفع صوتي منادياً: بدون النعمة لا يتبرر أحد". وقال ذهبي الفم "ما أعظم محبة الله!! فحن الذين كنا أعداء وكنا في خزي، أصبحنا في طرفة عين قديسين وأبناء لله. وبما أن القداسة<sup>٧٢</sup> والتبني (الذين حصلنا عليهما من الله) هما هبة منه، لذلك لا يمكن أن تزولا عنا حتى الموت، بل إنهما تميزان الإنسان على الأرض (وتصحبانه) في رحلته إلى الأبدية" (كتاب الخلاص للقمص زكريا بطرس) وقال مكاريوس الكبير "بالإيمان ينال الإنسان نعمة ويكون أهلاً لدخول ملكوت الله، لكن يجب عليه أن يحافظ على روح النعمة" (الصلاة الأرثوذكسية ص ٣٧٦)، وهذا ما يفعله كل مؤمن حقيقي. وقال كيرلس الكبير أن "الله من فرط محبته للإنسان هياً له

<sup>٧٢</sup> - يقصد ذهبي الفم بالقداسة هنا، ليس القداسة العملية (وإن كانت هذه لها قيمتها الخاصة في الحياة المسيحية) بل يقصد القداسة الاكتسابية التي خلعها الله علينا بفضل كفارة المسيح كالتبرير تماماً. وقد أشار الرسول إلى هذه القداسة فقال عن المؤمنين الحقيقيين جميعاً أنهم "مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً" (عبرانيين ١٠ : ١٠)، كما قال لهم "لَكِنْ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ الْهَيْتَا" (١ كورنثوس ٦ : ١١) وهذه القداسة (مثل التبرير) كاملة في نظر الله كل الكمال لأنها نتيجة لكفارة المسيح التي تفوق في قيمتها كل قيمة في الوجود، ومن ثم لا تحتاج من جانبنا إلى أي عمل لكي تكون أكثر كمالاً، وأشخاص (أصبحوا مقدسين فعلاً في نظر الله وسكن فيهم روح القدس، من شأنهم أن يلاحظوا القداسة العملية في أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم. ولذلك يقول لهم الرسول "مُكَمِّلِينَ الْقَدَاسَةَ فِي خَوْفِ اللَّهِ" (٢ كورنثوس ٧ : ١)

لكن التقديس العملي الذي نلاحظه في سلوكنا ليس هو أساس قبولنا أمام الله، لأن هذا التقديس مهما بلغ أقصى درجات السمو لا يجعلنا كاملين في نظره تعالى، بل الذي يجعلنا مقبولين وكاملين أمامه هو التقديس الاكتسابي الذي خلعه علينا المسيح على أساس كفارته كما ذكرنا، لأنها هي التي وقت جميع مطالب عدالة الله من نحونا إلى الأبد. أما التقديس العملي فإنه يجعلنا أهلاً للتمتع بالله وخدمته في العالم الحاضر، كما يهيننا للحصول على مكافأة خاصة في السماء بجانب القبول الأبدي، الذي لنا بفضل كفارة المسيح، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بالتفصيل في كتاب طريق الخلاص.

طريق الخلاص والفداء، وذلك بالإيمان بالله الآب والابن والروح القدس، والاعتراف بهذا الإيمان أمام الجميع (لأنه بذلك) ينتقى من خطاياها، ويمتلىء بغنى الروح القدس ويشترك في الطبيعة الإلهية ويحصل على نعمة التبنى ("الله مخلصي"، للقمص تادرس يعقوب ص ٣٤).

وفي الوقت الحاضر قال بعضهم إن "الخلاص عطية مجانية لأننا بالنعمة نحن مخلصون، وإلا فماذا لدينا نحن البشر أو ماذا نملك به يمكننا أن نشترى خلاصاً أعدده لنا الرب الكريم بدم صليبه، ودفعه بنفسه ليكون في متناول أيدينا بقيامته" ("كنيستي أم ولود" ص ١٠٨). وإن "الحياة التي تؤسس على معرفة الرب يسوع المسيح حق المعرفة والإيمان به إيماناً صحيحاً، هي الحياة التي تمنح الخطاة اليقظة والبر والتجديد والخلاص" وإن "الواسطة الوحيدة التي أعدها الله لنوال الخلاص هي الإيمان بالوسيط الوحيد والمخلص الأوحده ابن الله المتجسد يسوع المسيح". وإن "طريق الخلاص هو الإيمان بالرب يسوع المسيح والاعتماد على اسمه" ("إيضاحات الخلاص" للشماس اسكندر حنا، ص ١٥ / ١٤٤ / ١٤٦)

وأقوال هؤلاء الأفاضل تدل على أنهم يعتقدون أن الخلاص لا يكون بالأعمال أو بالعمودية أو ... أو ... بل بنعمة الله دون سواها، وأن السبيل للحصول عليه من جانبنا هو الإيمان أو بالحري الإيمان الحقيقي.

٢. ومن جهة خلاص النفوس قالوا: "إن معجزات أنطونيوس كانت سبباً في تثبيت الإيمان (للمؤمنين) وخلاص النفوس (للخطاة)". وإن أم أو غسطينوس كانت تبكي من أجل خلاص نفسه، وإن السائح الروسي قابل شخصاً يسعى لخلاص النفوس، وإن

الروح القدس يستخدم الصلاة وقراءة كلمة الله لخلاص الألوفا. وإن الصليب باب مفتوح للخلاص والعبور إلى الملكوت المعد للمؤمنين. لأنه قوة المسيح للخلاص ("الصلاة الأرثوذكسية" ص ٤٤٦ / ٤٥٤ / ٥٥٠ / ٦٢٠ / ٦٢٦)، الأمر الذي يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الخلاص لا يكون بالمعمودية، بل باستخدام الروح القدس للقداء الذي تم على الصليب، في التأثير على قلوب الناس وضماثرهم.

٣. ومن جهة الولادة من الله، قالوا: "إن الصلاة تجدد الإنسان بجملته وتجعله إنساناً جديداً. وإن بشارة الإنجيل تعمل لولادة النفوس للملكوت السموات. وإن مسرة الكنيسة أن يكون بها أعضاء عاملون على تجديد النفوس وولادتهم وولادة حقيقية في الروح. وأن تجديد العقل يكون بعمل الروح القدس" وقال الأب يوحنا لتلميذه "اشكر الله لأنه جددك واقنادك مرة أخرى للحياة الأبدية بعد أن سقطت في الموت. وهو لم يقم بهذا العمل بسهولة، ولكنه قدم لعدائنا ابنه الوحيد الحبيب الذي تألم وذاق الموت لأجلنا". وإن أم أوغسطينوس كانت تصلي لكي لا يسمح الله بتأجيل تجديد ابنها (الصلاة الاثوذكسية ص ٢٠١، ٢٣٣، ٢٩٠، ٤٧٢، ٦٠٨، ٦٢١)، الأمر الذي يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الولادة الجديدة لا تكون بالمعمودية بل بعمل الروح القدس في القلب أثناء الصلاة أو قراءة كلمة الله.

٤. ومن جهة وصف التجديد أو الولادة الجديدة قالوا: "إن الشخص يجوز تغييراً عاماً يشمل كل حياته الداخلية والخارجية معاً، وتنتقل حواسه انتقالاً واضحاً من المادية إلى الروحانية" وقالوا "ويحدث في زيارة النعمة الإلهية (لنفس)، أنها من فيض السرور (بالنعمة) تنتقل إلى حالة مذهلة تنسى معها أنها تحيا في الجسد المادي. وإن هذه الزيارة

ترزع في قلب المرء اتضاعاً وتحب له السجود المتواصل والقراءة المستتيرة وتفتح ذهنه لفهم المكتوب، كما تحب له عمل الخير ومساعدة المرضى" (الصلاة الأرثوذكسية: ص ١٧٠، ١٧٢، ١٩٢)، الأمر الذي يدل على أنهم أدركوا أن الولادة الجديدة ليست هي المعمودية، بل هي التغيير الكلي الذي يحدث في النفس عندما تقبل نعمة الخلاص.

٥ . ومن جهة كون الأعمال الصالحة هي ثمر الإيمان، وأنها ليست الوسيلة للخلاص، قال يوحنا ذهبي الفم "الخلاص يكون بالإيمان وليس بالأعمال" وإن "القيام بالأعمال الصالحة والعيشة بالقداسة يكونان أيضاً بنعمة الله وليس بمجهودنا الشخصي، ومن ثم لا يكون لنا فضل في هذه أو تلك". وسجل مجمع قرطجنة "إن فائدة نعمة الله التي بررتنا بالمسيح لا أن تغفر لنا خطايانا فحسب، بل وأن تعيننا في تجنب السقوط فيها وتمنحنا قوة لعمل الصلاح أيضاً" الأمر الذي يدل على أنهم أدركوا أن الأعمال الصالحة في نظر الله هي من عمل روحه في نفوسنا، ومن ثم لا تكون ثمناً للخلاص أو جزءاً من ثمنه، إن كان الخلاص يتجزأ.

٦ . ومن جهة التفرقة بين الإيمان الحقيقي والإيمان الإسمي، قالوا: "بؤساء الذين لم يجدوا المسيح بعد. إنهم لم يتذوقوا حرارة وعظمة الإيمان. أما الذين وجدوه، فبسبب الخلاوة التي يتذوقونها في اسمه، وبسبب لمساته الخفيفة اللذيذة التي يمس بها قلوبهم، تجدهم يلتصقون به أكثر وأكثر. وفي التصاقهم به يجدون سعادة لا ينطق بها، ولا يدركها العالم" (الصلاة الأرثوذكسية ص ٢٤٠). كما قالوا "إن الوحي يعلمنا أن الإيمان شجرة ثمرها

أعمال البر والصلاح والفضيلة، وكما أنه لا توجد ثمرة بلا شجرة، كذلك لا تعرف الشجرة إلا بثمرتها. وكل شجرة لا تعطي ثمراً يكون وجودها وعدمها على حد سواء. أعني كما أنه لا يوجد بر ولا صلاح ولا فضيلة إلا بالإيمان بربنا يسوع المسيح، كذلك كل إيمان لا يثمر عمل القداسة والكمال لا يعتبر إيماناً بل هو شر من عدم الإيمان" الأمر الذي يدل على أنهم اختبروا حياة الله فيهم بواسطة الإيمان الحقيقي، وليس بواسطة المعمودية أو غيرها من الوسائل.

### وبناء على ذلك

يجب على جميع المؤمنين الحقيقيين في كل الطوائف أن يرجعوا إلى كلمة الله في كل أمر من الأمور، فإنها السراج لأرجلنا والنور لسبيلنا (مزمو ١٩٩ : ١٠٥) ولكمالها تستطيع أن ترد النفس وتصير الجاهل حكيماً (مزمو ١٩ : ١٠) وقد رأى بولس الرسول هذه الحقيقة فقال عن الكتاب المقدس: "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَىٰ بِهِ مِنَ اللَّهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبَرِّ، لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانٌ اللَّهُ كَامِلًا، مُتَّهَبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢ تيموثاوس ٣ : ١٦ - ١٧) هذا وقد اختبر الأب متى المسكين قيمة كلمة الله فقال "الإنسان فقد مركز استقراره، وهو الآن في أشد الحاجة إلى قاعدة ثابتة تلهمه الحياة وتقوده وتشير عليه، وتكون صاحبة سلطان يآتمر بها عن وعي ورضا، على أن تكون من الرصانة والحق ما يمكنها أن ترد عنه كل انحرافات الفكر الحديث وشوائب العلم والسلوك.. الحاجة إذاً شديدة إلى كلمة الله، فهي تلك القاعدة بلا نزاع في صورتها الأصلية الشفافة التي تعلن وتلهم الحق وكل الحق"

(كتاب كلمة الله ص ٣)، وقوله "في صورتها الأصلية الشفافة" (كما نرى) استبعاد للعقائد البشرية التي حجبت جمال كلمة الله وكمالها عن كثير من المسيحيين. أخيراً نقول: إن الرسول الذي أحب المؤمنين من كل قلبه وضحي بأعلى ما لديه في سبيل خلاصهم وغوهم الروحي، لم يجد عندما ودعهم الوداع الأخير ملجأ يستودعهم إليه سوى الله وكلمة نعمته. ولذلك قال لهم "وَالآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي لِلَّهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ الْقَادِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثاً مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ" (أعمال ٢٠ : ٣٢)، فألى كلمة الله وإليها وحدها يجب أن يتجه كل الذين يريدون أن يسيروا في سبيله. ويتمتعوا برضاه.

الخدمة العربية للكرآزة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. للمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرآزة بالإنجيل